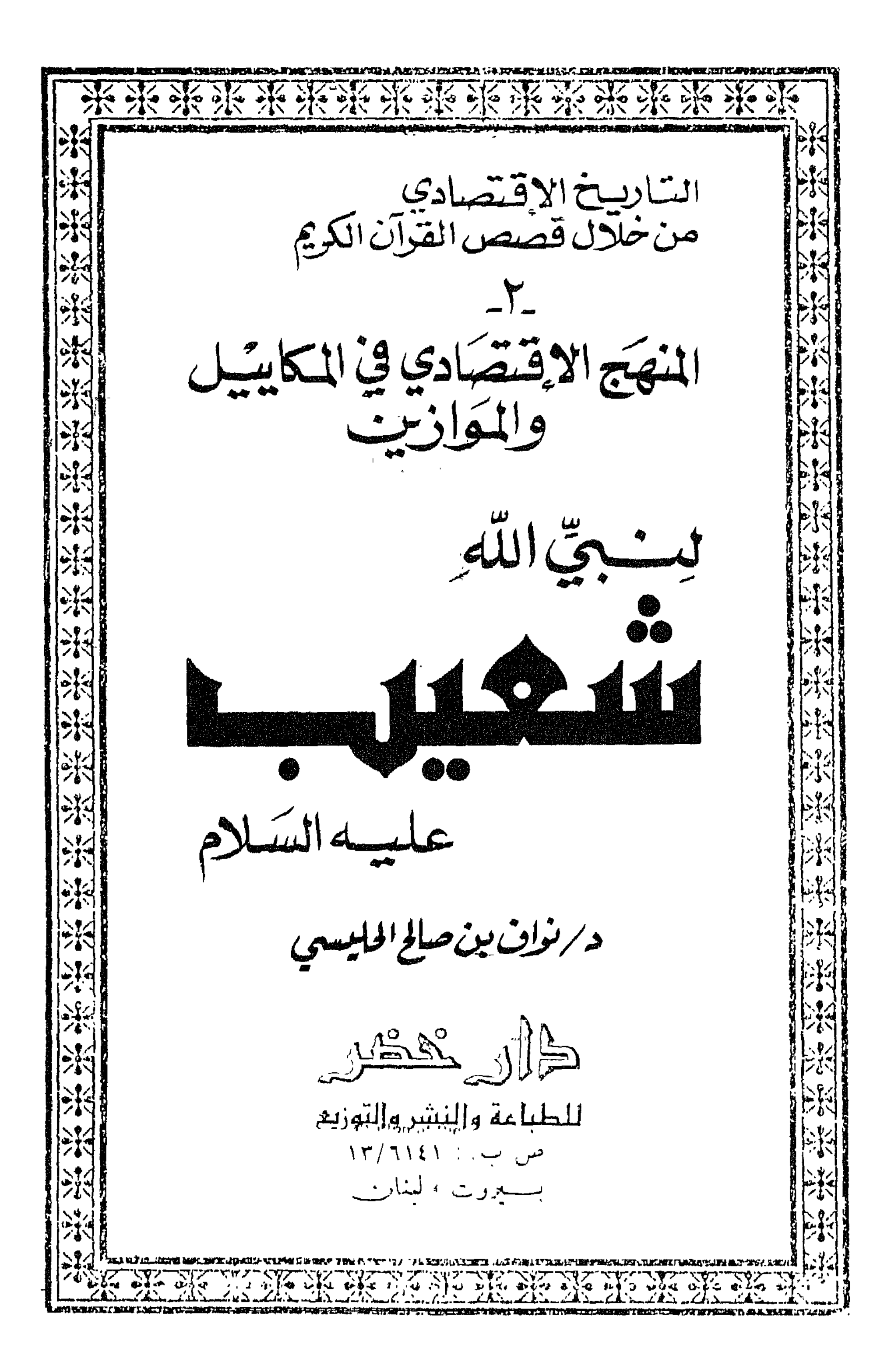


التاريخ الإقتصادي
من خلال قصص القرآن الكريم

-٢-

المنهج الإقتصادي في المكاييل والموازين

لنبيّ الله شعيب عليه السلام

د/ نواف بن صالح الحليسي

دار خضر
للطباعة والنشر والتوزيع
ص ب : ١٣/٦١٤١
بيروت ، لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩١م

مقدمة

جاءت الرسالات لتحدد العلاقة بين العبد والرب ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾. الآية (٢) سورة النحل.

على أنه على إذا صلحت علاقة العبد بربه تلتها علاقة الإنسان بالإنسان، ومن ثم اهتمت الرسالات بهذه العلاقات.. فللرسالة جانبان تعتمد الرسالة الإلهية كل الاعتماد على الجانب الإيماني أساسه العدل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الآية (٩٠) من سورة النحل.

وفي العدل مظهر من مظاهر الاقتصاد بل إنه الأساس الاقتصادي، والعدل عند البيع والشراء مطلب إيماني **﴿ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾** الآيتان (١، ٢) سورة المطففين، وفي سلسلة دراستنا للتاريخ الاقتصادي من خلال قصص القرآن الكريم يقودنا شعاع الإيمان تجاه المنهج الإقتصادي في مجال المكاييل والموازين في رسالة شعيب عليه السلام.

ويعتبر شعيب عليه السلام من الرسل الذين كلفهم الله عز وجل بدعوة قومه «أهل مدين أو أصحاب الأيكة وهم عرب على الأرجح» إلى عبادة الله وحده وأن يتقوا الله تبارك وتعالى.. وأن يوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا يكونوا من الخاسرين.. وألا يعثوا في الأرض فسادا.. وألا يبخسوا حقوق الناس.. وقد ذكرهم شعيب عليه السلام بما حدث وأصاب من سبقهم من

الأقوام مثل قوم نوح أو هود أو صالح أو لوط عليهم السلام.. كما دعاهم شعيب عليه السلام إلى الإسراع بالتوبة واستغفار الله تبارك وتعالى...

ولكن قومه كذبوه فكان العقاب الإلهي.. حيث أخذهم عذاب يوم الظلة وأخذتهم الرجفة.. فأصبحوا في دارهم جاثمين...

في مجال التاريخ الاقتصادي لقصص القرآن الكريم.. نجد أن للمكيال والميزان وضرورة اتباع الحق والعدل في أي منهما أثراً كبيراً بالنسبة لحياتنا الاقتصادية.. ولا شك أن لكل من الميزان والمكيال خصائص معينة وذلك فيما يتعلق بأنواعهما وكيفية استعمالهما.. كما أن للمكيال والميزان مفاهيم وسمات إسلامية في الاقتصاد حاولت قدر إمكاني القاء الضوء عليها... وفي نفس الوقت حرصت على توضيح المنهيات والمحظورات الإسلامية في كل من الموازين والمكاييل.

لو تدبرنا قوله تعالى: ﴿**وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا**﴾ الآية (٣٥) الإسراء.. وقوله تعالى: ﴿**ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان**﴾ الآية (٩) سورة الرحمٰن، فالآيتان مكيتان نزلتا في بداية الدعوة الإسلامية.. وإن ما نزل بمكة يؤكد أن منهج الحق سبحانه وتعالى فيما أمر به قوم شعيب من العدل هو هو نفس منهج الحق سبحانه وتعالى فيما شرع به لأمة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، كما تأكد لدينا أن سلسلة التاريخ الاقتصادي متصلة الحلقات فيما يتعلق بمنهج الله تبارك وتعالى الذي دعا إليه الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام...

وقد تحدثت عن المنهج الإسلامي في المال والاقتصاد بالنسبة للموازين والمكاييل.. كما تحدثت عن سلطة الدولة الشرعية لحماية الاقتصاد في المكاييل والموازين.. وأوضحت دور العلاقات التجارية بين الشعوب فيما يختص بالموازين والمكاييل..

وإذا كان كتابي هذا مجرد خواطر إيمانية دارت في فلك اقتصادي فما

ذلك إلا لأنني أردت أن أضع أمام القارىء صورة حية لما ينبغي أن تكون عليه حياة المسلم من صدق مع الله تعالى والناس، ذلك أن شرع من قبلنا هو شرع لنا.

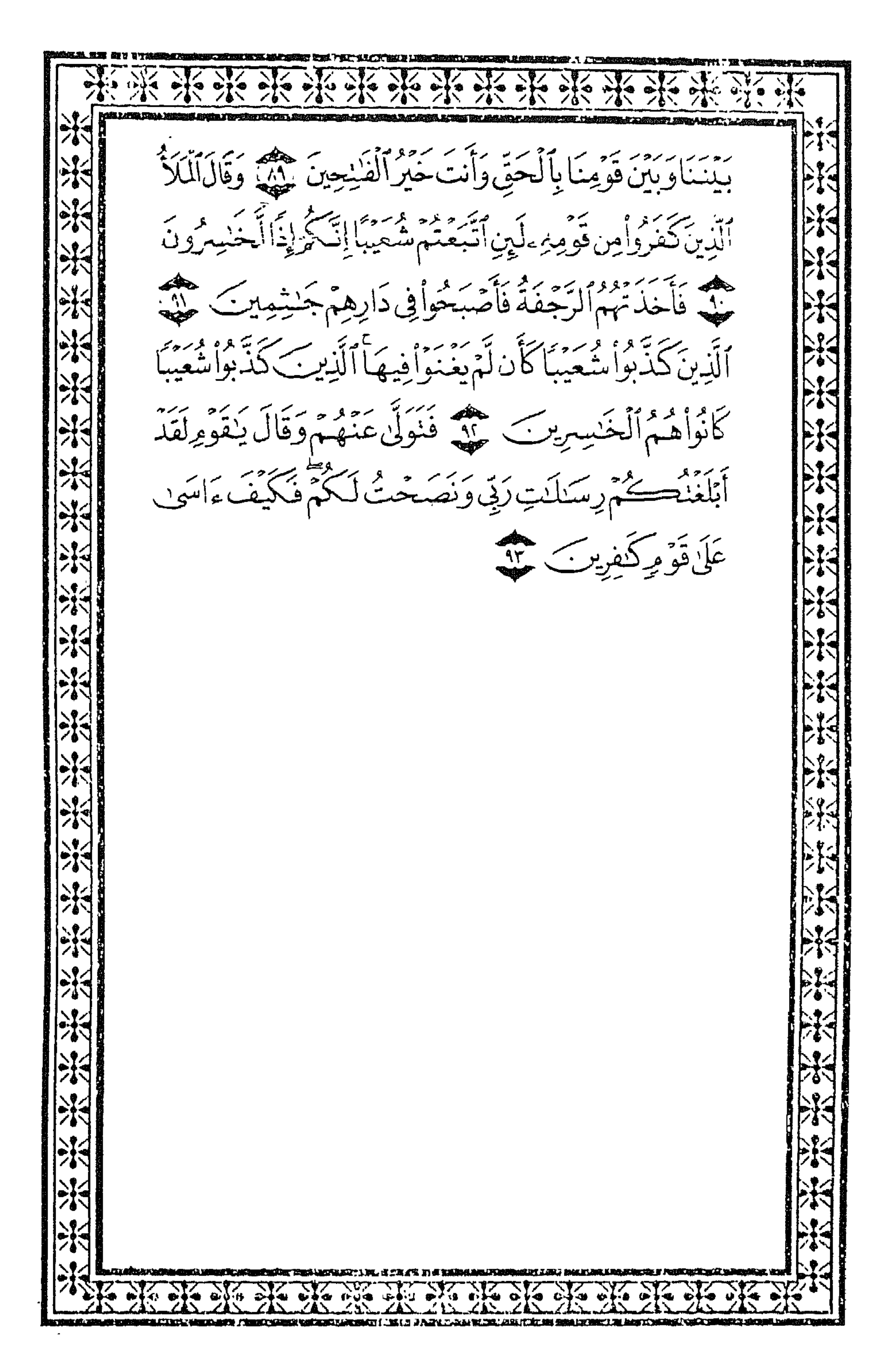
فإذا ما جاء محمد ﷺ منادياً بشريعة الحق والعدل وإذا ما قال الحق سبحانه ﴿**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة**﴾ الآية (٤٧) سورة الأنبياء، فأولى بنا أن نعدل في حياتنا الدنيا حتى نظفر بعدل الله يوم القيامة. وإذا ما قال الحق سبحانه: ﴿**إن الله يأمر بالعدل**﴾الآية (٩٠)، سورة النحل، فأجدر بنا أن نستجيب لأمر الله تبارك وتعالى القائل: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**....﴾ الآية (٣١) سورة آل عمران.

وقد أكدت هذه الخواطر حول قصة شعيب عليه السلام وأهميتها في حياتنا الاقتصادية بأن الإسلام الذي ختم به محمد عليه الصلاة والسلام رسالات الرسل والأنبياء يؤكد دعوة شعيب عليه السلام...

والله ولي التوفيق...

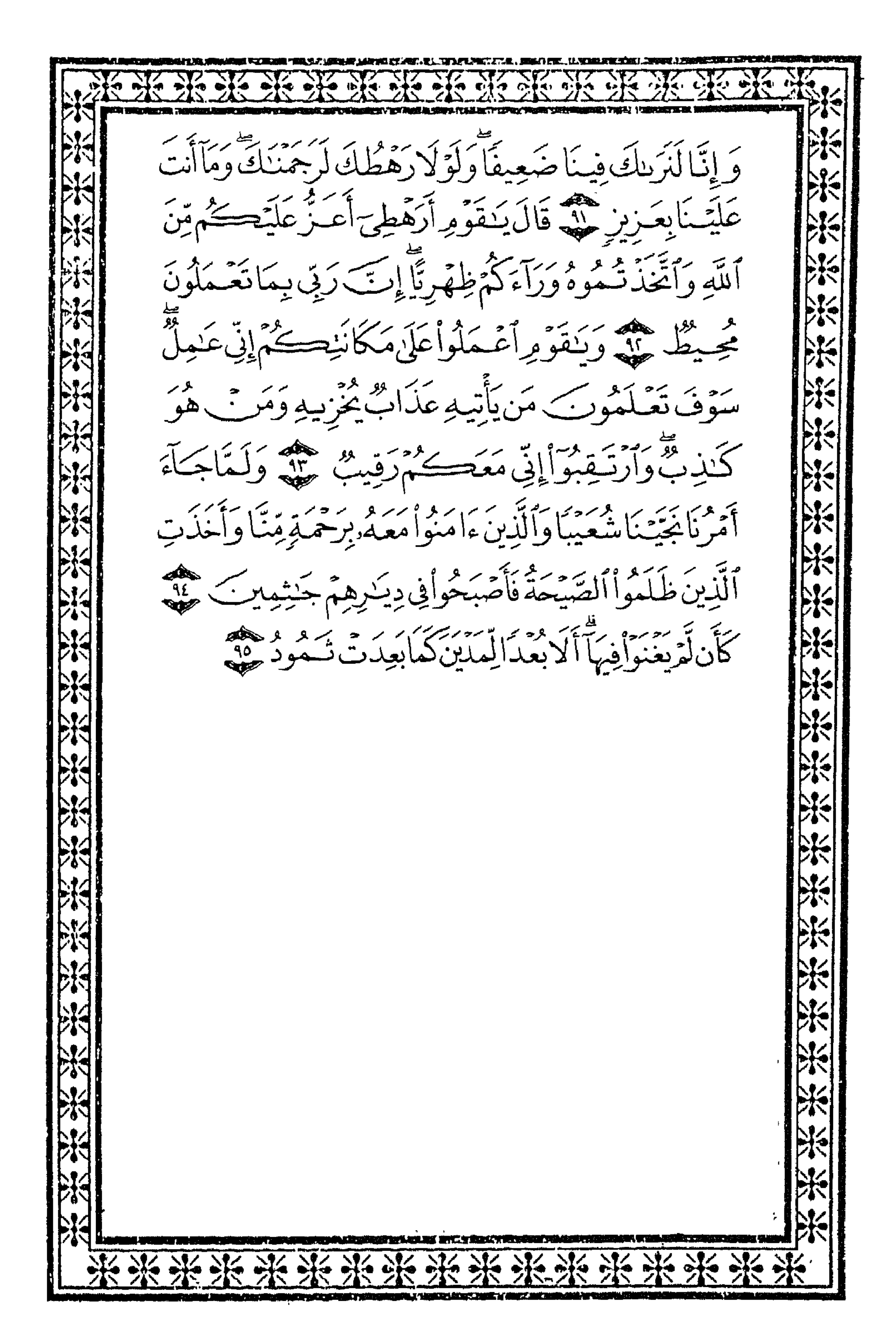
الآيات التي تحدثت عن شعيب عليه السلام
سورة الأعراف (من الآية ٨٥ حتى الآية ٩٣)

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ
مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن
رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟
ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ
إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ
﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا
وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُوا۟
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ
مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟
فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾
۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ
كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم
بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ
ٱللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ

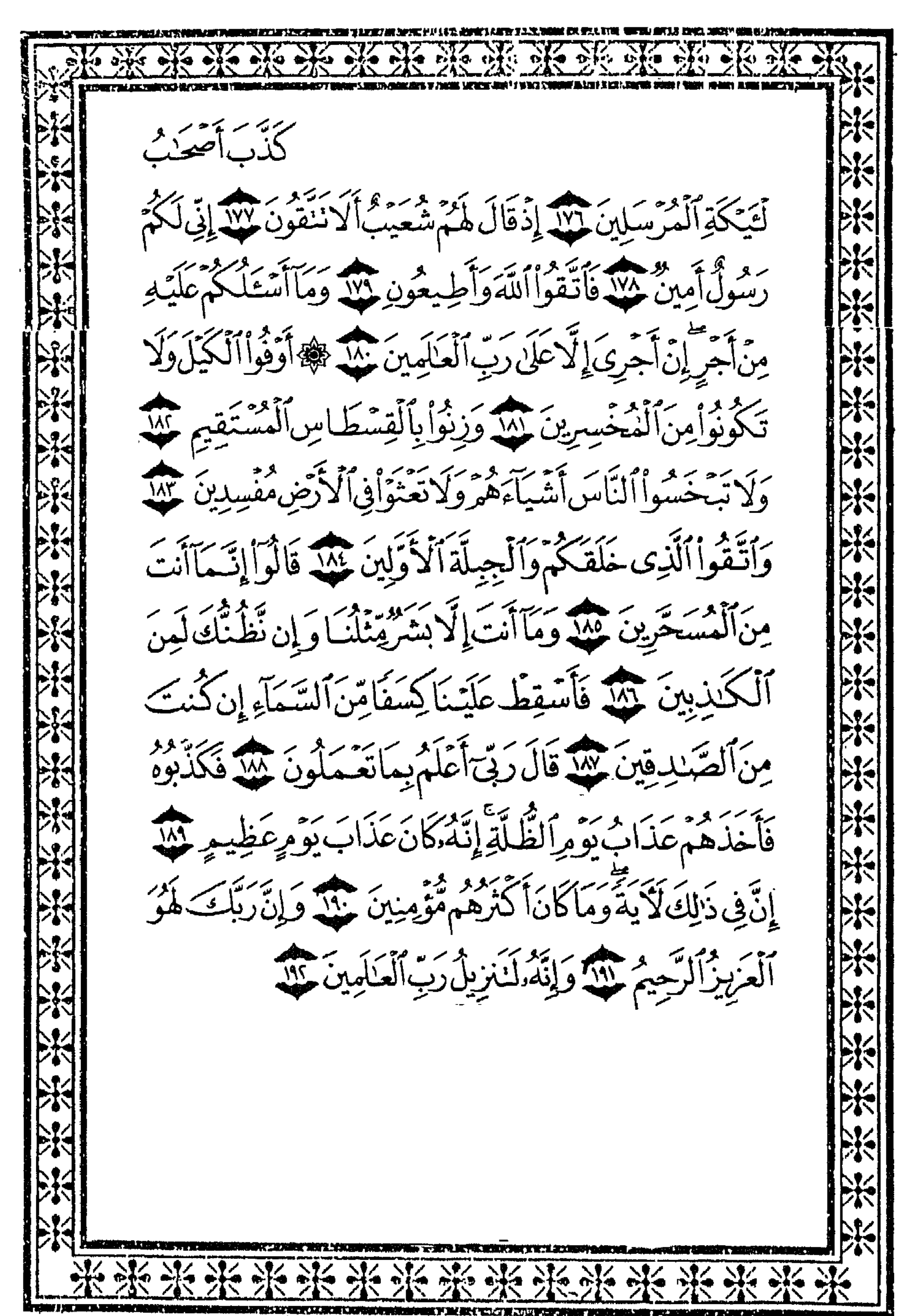


بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ
﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا
كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ
أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ
عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾

۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ
وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ
عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ
أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟
ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾
بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم
بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن
نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ
إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن
كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ
أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ
مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾
وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ
قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم
بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى
رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ

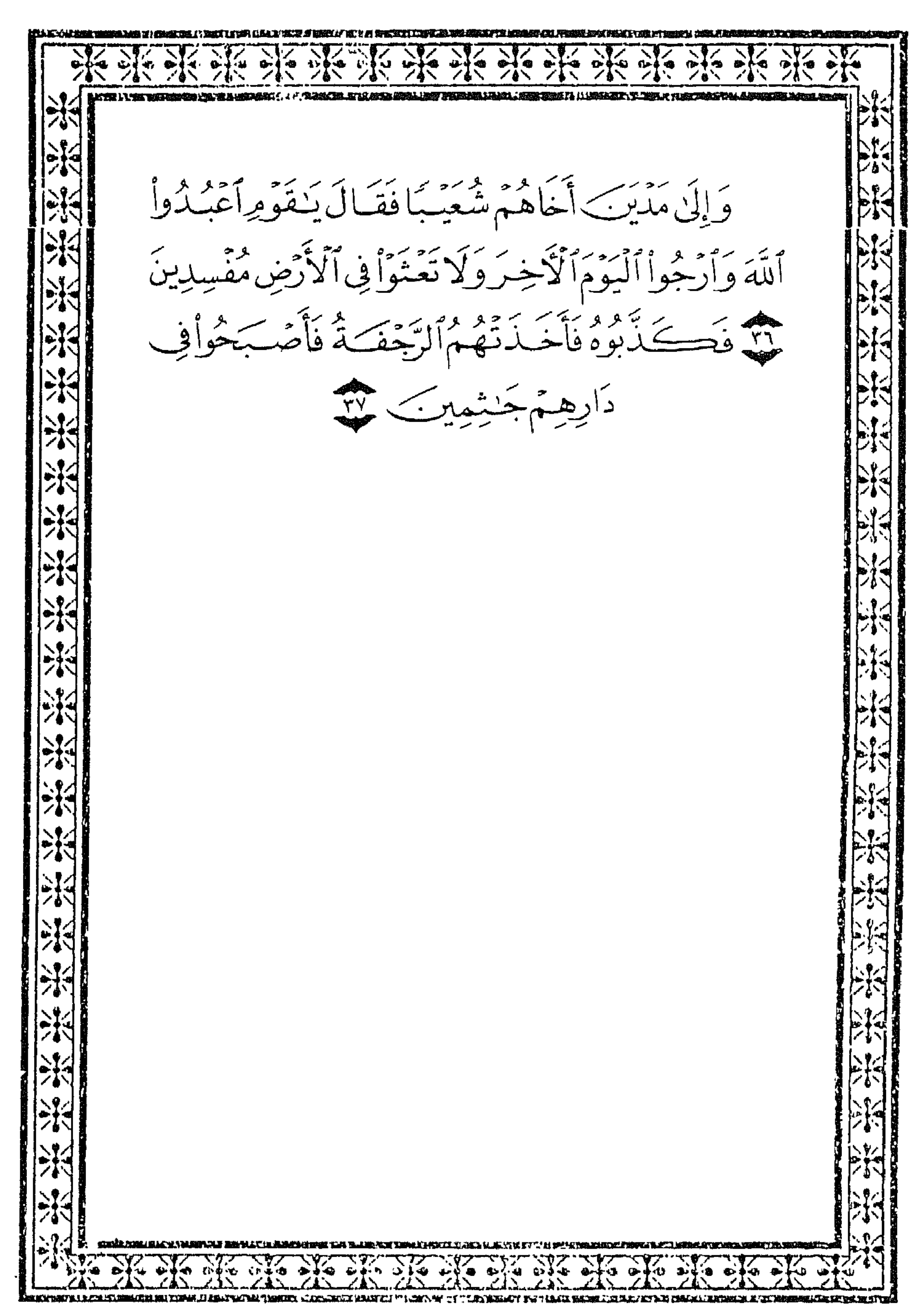


وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ
عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ
ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ
مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ
سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ
كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ
أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾
كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾



كَذَّبَ أَصْحَٰبُ

لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا
تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾
وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾
وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ
مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾


وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى
دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾

المبحث الأول:

المغزى الحق للتاريخ الإقتصادي
لقصة شعيب عليه السلام

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد ﷺ. .
وبعد. .

فقد تضمنت قصص القرآن الكريم العديد من الحكم والمواعظ التي تحث المسلم المؤمن على التمسك بدينه. . كما تحدثت هذه القصص عن أخلاقيات وصفات الأنبياء ورسالاتهم ودعواهم الناس على مر العصور للتوحيد وعبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد. . كما تناولت قصص القرآن. . الصعاب والعقبات التي واجهها الأنبياء والرسل. . إلا أنني سأعالج في بحثي هذا الجوانب الاقتصادية. . وقصة شعيب عليه السلام ذكرت في القرآن الكريم في سورة الأعراف الآيات (من ٨٥ حتى ٩٣)، وفي سورة هود، الآيات (من ٨٤ حتى ٩٥)، وفي سورة الشعراء الآيات من (١٧٦ حتى ١٩٢). . . وفي سورة العنكبوت الآيتان (٣٦، ٣٧).

وتتلخص قصة شعيب عليه السلام في دعوة قومه لعبادة الله وحده. . وإيفائهم الكيل والميزان وعدم الإفساد في الأرض. .

ولهذه القصة مغزى ومعنى في حياتنا الاقتصادية الإسلامية. . فقد ألقت الضوء على جانب هام من التاريخ الاقتصادي فيما يتعلق بتطبيق الاقتصاد في حياتنا وهو الأساس لموضوع بحثي هذا. .

وفيما يلي سأحاول أن أستخلص المغزى الحق للتاريخ الإقتصادي لقصة شعيب عليه السلام . . .

١ ـ أرسل الله عز وجل أنبياءه إلى القرى ليهديهم إلى الحق والعدل وعبادة الله وحده . . كما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف:

﴿ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾

الآية (١٠١) سورة الأعراف.

٢ ـ وتتلخص رسالة شعيب عليه السلام في دعوة قومه لعبادة الله وهدايتهم وإصلاح أنفسهم ومجتمعهم وإلى عدم الفساد في الأرض . . وقد بين الله لنا أن شعيباً كان أميناً في تبليغ رسالة ربه إلى قومه، وقد ذكر فيها ما ذكر من دروس وعظات لقومه، وهي في الوقت نفسه دروس وعظات لنا (لقد كان في قصصهم عبرة . . .) «فاعتبروا . . .»، فعلينا أن نتأسى بها في حياتنا إذ أنها إلى جوار كونها دعوة للتوحيد تضع الأسس الدقيقة لنظام اقتصادي أقره الإسلام وقرره نظاماً . . يقول الله تعالى في سورة الشعراء عن أمانة شعيب عليه السلام في تبليغ رسالته إلى قومه وصدقها .

﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ الآيات (من ١٧٦ حتى ١٧٨).

وقد رتب سبحانه وتعالى على الأمانة والصدق وجوب الطاعة والتقوى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ ﴾ .

٣ ـ أوضحت لنا قصة شعيب عليه السلام، أحد الأنشطة الاقتصادية التطبيقية في الإسلام، وذلك عندما قدم الله تعالى دروساً اقتصادية في المكاييل

والموازين في صورة أوامر ونواهٍ بل وعقوبات رادعة للمخالفين حيث يقول سبحانه في سورة هود:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾

الآيتان (٨٤، ٨٥).

وهكذا كان التوجيه الإلهي لبناء اقتصاد تطبيقي سليم في مجتمعنا الإسلامي بتعاملنا في أسواقنا ومتاجرنا فيما يختص بالبيع والشراء بأن نوفي ونعطي الحق في الكيل والميزان وأن لا نبخس ونتحايل ونغش ونتلاعب في موازيننا ومكاييلنا. . .

كل هذه الدروس الإقتصادية تضمنتها قصة شعيب عليه السلام، وما ذكرت في القرآن إلا لتكون لنا أساساً نبني عليه مجتمعاً دينياً من ناحية التوحيد، واقتصادياً من ناحية العدل في التعامل والإصلاح في الأرض، ومن ثم فإن في قصة شعيب معلم من معالم التاريخ الاقتصادي.

٤ - يعتبر الرزق الحلال من الموضوعات الاقتصادية الهامة التي ألقت عليها قصة شعيب عليه السلام الضوء. . فقد أوضحت هذه القصة كيف يكون الرزق الحلال من خلال إيفاء الكيل والميزان وكيف لا. وقد كانت دعوة شعيب عليه السلام لقومه بعدم الإفساد في الأرض ونهيهم عن الرزق الحرام بضرورة عدم بخس الناس أشياءهم وترك المعاصي. . وبهذا أوضحت لنا هذه القصة القرآنية كيف نبني الاقتصاد السليم على أسس من الرزق الحلال وترك المحرمات التي نهانا الله عز وجل عنها.

٥ - حقاً إن الرائد لا يكذب أهله فهو القدوة والمثل ومن ثم وجب على المشرع الإلتزام بما يشرع قبل أن يلزم غيره. . يقول سبحانه وتعالى في سورة هود:

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾

الآية (٨٨.

إنها الآيات البينات التي تؤكد صدق المرسل: ﴿**أرأيتم إن كنت على بينة من ربي...**﴾، كما تؤكد على أن الرزق الحسن ما كان حلالاً.. بل إنها لتوجب صدق النية (إن أريد إلا الإصلاح) على أن جهد البشر محدود ﴿**وما توفيقي إلا بالله...**﴾.

٦ - أشارت قصص القرآن الكريم إلى التحذير مما حدث وأصاب الأقوام السابقة عندما ضلوا وأعرضوا.. وبالتالي فإنه لمن الواجب علينا أن نتعظ ونتعلم وندرك ونتفهم الحقائق التي أكدها الرسل والأنبياء من قبل من خلال دعوتهم للتوحيد وطاعة الله فيما أمر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم الإفساد في الأرض.. ففي ذلك كله دروس مستفادة في حياتنا اليومية بكل جوانبها بصفة عامة وتاريخنا الاقتصادي بصفة خاصة، واقرأ إن شئت في ذلك.

﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾﴾

الآية (٨٩) من سورة هود: .

٧ - بين الله لنا في قصة شعيب أن قومه ارتكبوا ذنوباً ومعاصي تخالف شريعة الله، وقد بين شعيب عليه السلام لهم نتيجة عملهم وأفعالهم وما ينتظرهم من عقاب في الآخرة.. ومن ذلك نستفيد في بناء اقتصادنا العملي بأن نبتعد عن كل ما نهى الله تبارك وتعالى عنه على ضوء تاريخنا الاقتصادي من خلال قصص القرآن الكريم حتى لا نقع فيما وقع فيه غيرنا وحتى النجاة برحمة من الله...

يقول الله تعالى في سورة هود: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾

الآيتان (٩٣، ٩٤).

٨ - أرست قصة شعيب عليه السلام قواعد أساسية في حياتنا الاقتصادية اليومية، فكانت دعوته عليه السلام بإيفاء الكيل والميزان، والوزن بالقسطاس والعدل والحق دعوة صريحة واضحة للإبتعاد عن الحرام والغش، وأن نقتنع بالرزق الحلال، فهو سبيل الخير والفلاح..

وهكذا.. فإن قصة شعيب عليه السلام لها مغزى حق لتاريخنا الاقتصادي وبالذات عن الاقتصاد التطبيقي، والذي سنفسره لاحقاً..

إنها المبادىء السامية لمن شاء أن يستقيم...

﴿ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾.

الآيات (١٨١ حتى ١٨٣) من سورة الشعراء.

فيا أمة القرآن هذا بيان للناس:

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

الآية (٨٥) من سورة الأعراف.

ومن ذلك نقول: أرشدنا الله تعالى إلى المغزى الحق لقصة شعيب عليه السلام في جانبها الاقتصادي التطبيقي نظام الموازين

والمكاييل. . . وكذلك بين سبحانه عاقبة الفساد في الأرض وجزاء إصلاحها.

٩ - أرشدنا الله تعالى إلى أن شعيباً أرسله الله ليهدي قومه إلى الطريق السليم وعدم الفساد في الأرض، ولكنهم لم يطيعوه، ولهذا فإن تاريخنا الاقتصادي لقصة شعيب عليه السلام يعطينا مغزى آخر عن مدى الفساد في الأرض - والذي سنتحدث عنه لاحقاً - ولهذا فإنه لبناء اقتصادي إسلامي سليم بين الله لنا من خلال تلك القصة بأن نبتعد عن جميع المفاسد في الأرض وما حرمه الله علينا وما نهانا الله عنه. . وإذا كان جلب المصالح ودرء المفاسد يرجى به صلاح الأرض، فلا شك أن رجاء الآخرة أعظم وطريقه العبادة الخالصة وعدم الإفساد في الأرض. . وصدق الله القائل: -

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾.

الآيتان (٣٦، ٣٧) من سورة العنكبوت.

١٠ - لا يعني ما ذكرناه أن قصص القرآن اقتصادي بحت، فقد اشتمل القصص القرآني على معانٍ كثيرة متعددة وحكماً وعظات قيمة. . . فقد كلف الله تبارك وتعالى أنبياءه ورسله دعوة أقوامهم كل على حسب طبيعة هؤلاء القوم إلى عبادته عز وجل. . وعلى الرسل إبلاغ قومهم برسالة التوحيد ولك بالنصح والإرشاد والتوجيه والتحذير والوعد والوعيد. . فانظر إلى آثار رحمة الله: ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**﴾ الآية (١٥) من سورة الإسراء، ﴿**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض. . .**﴾ الآية (٩٦) من سورة الأعراف.

١١ - إن التاريخ الاقتصادي من خلال قصص القرآن الكريم يؤكد أن قصة شعيب عليه السلام هي الدرس الأول في الاقتصاد التطبيقي من ناحية الوزن والكيل الذي يؤثر في حياتنا اليومية وتعاملنا الاقتصادي والمالي

والتجاري في مختلف المجالات التي تحتاج إلى إيفاء كل من الكيل والميزان كي تستقيم المعاملات بين الناس.

تفسير الآيات التي تتعلق بموقع «مدين» ونسب شعيب عليه السلام:

ونحن بصدد الحديث عن المغزى الحق للتاريخ الاقتصادي لقصة شعيب عليه السلام، يهمنا ذكر بعض مما أورده كبار الأئمة والعلماء الأفاضل عن الموقع الجغرافي لـ «مدين»، وتأثير ذلك في النواحي الاقتصادية، وعن نسب شعيب عليه السلام وذلك من خلال تفسيرهم لمعاني الآيات التي ذكرت في كل من سورة الأعراف وهود والشعراء والعنكبوت وهي السور التي تحدثت عن قصة شعيب عليه السلام.

وقد ذكرت الآية (٨٥) من سورة الأعراف موقع «مدين» ونسب شعيب:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾.

قال الإمام الطبري[١]:

ـ معناه ـ وأرسلنا إلى ولد مدين ومدين هم ولد مدين بن إبراهيم خليل الرحمن.

أما الإمام ابن الجوزي[٢] فقال:

قوله تعالى: ﴿وإلى مدين﴾ هو اسم قبيلة.. وقال بعضهم: هو اسم للمدينة.. فالمعنى: وإلى أهل مدين.

---

(١) الإمام الطبري ـ سوره الأعراف ـ الآية (٨٥) ـ ص ١٦٦ ـ م ٤.

(٢) الإمام ابن الجوزي ـ سورة الأعراف ـ الاية (٨٥) ـ ص ٢٢٨ ـ م ٣.

وجاء في تفسير الإمام الفخر الرازي[1]:

﴿**وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيباً**﴾.. قيل: إنه اسم القبيلة بسبب أنهم أولاد مدين بن إبراهيم عليه السلام، ومدين صار إسماً للقبيلة، وشعيب من أولاده، وهو شعيب بن نويب بن مدين بن إبراهيم خليل الرحمن.

وقال الإمام ابن كثير[2]:

كان أهل مدين قوماً عرباً يسكنون مدينتهم مدين التي هي قرية من أرض معان من أطراف الشام مما يلي ناحية الحجاز قريباً من بحيرة قوم لوط، وكانوا بعدهم بمدة قريبة ومدين قبيلة عرفت بهم القبيلة وهم من بني مدين بن مديان بن إبراهيم الخليل وشعيب نبيهم.

وقال أيضاً الإمام ابن كثير[3] في تفسيره:

قال محمد بن إسحٰق: هم من سلالة مدين بن إبراهيم وشعيب هو ابن ميكيل بن يشجر قال واسمه بالسريانية يثرون (قلت) مدين تطلق على القبيلة وعلى المدينة وهي التي بقرب معان من طريق الحجاز.. قال الله تعالى: ﴿**ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون**﴾[4] وهم أصحاب الأيكة..

وفسر الإمام الشوكاني[5]:

قوله: ﴿**وإلى مدين أخاهم شعيباً**﴾ أي وأرسلنا. ومدين اسم قبيلة، وسميت باسم أبيهم، وهو مدين ابن إبراهيم...

وقوله: ﴿**أخاهم شعيباً**﴾ وهو شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين بن إبراهيم. وقد تحدثت أيضاً الآية (٨٤) من سورة هود عن موقع ونسب شعيب عليه السلام.. فجاء فيها:

---

(١) الإمام الرازي - سورة الأعراف - الآية (٨٥) ص ١٧٢ م ١٢.

(٢) البداية والنهاية - الحافظ بن كثير - سورة الأعراف - الآية (٨٥) جـ أول ص ١٨٦.

(٣) الإمام ابن كثير - الآية (٨٥) سورة الأعراف - ص ٢٣١.

(٤) سورة القصص - الآية (٢٣).

(٥) فتح القدير - سورة الأعراف - من الآية (٨٥) ص ٢٢٣ - م ٢ - جـ ٩.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾... الآية (٨٤) سورة هود.

ويقول الإمام الرازي[1] في تفسيره -

كثير من المفسرين يذهب إلى أن مدين اسم مدينة بناها مدين بن إبراهيم عليه السلام. والمعنى على هذا التقدير: وأرسلنا إلى أهل مدين.

يقول الإمام ابن كثير[2]: -

يقول تعالى: وقد أرسلنا إلى مدين وهم قبيلة من العرب كانوا يسكنون بين الحجاز والشام فأرسل الله إليهم شعيباً وكان من أشرفهم نسباً، ولهذا قال: **﴿أخاهم شعيباً﴾**.

ويقول الإمام القاسمي[3]:

(وإلى مدين) أي وأرسلنا إلى مدين و(مدين) بلد بين الحجاز والشام أخاهم شعيباً.

وجاء في تفسير الشيخ محمود حجازي[4]: -

وأرسلنا إلى قبيلة مدين - وكانت تسكن الحجاز مما يلي الشام وكانوا في غنى وسعة إلا أنهم طففوا الكيل ونقصوا الوزن، وعاثوا في الأرض الفساد.. أرسلنا لهم شعيباً من أوسطهم نسباً وأعلاهم خلقاً.

ويقول الشيخ سيد قطب[5] في تفسيره للآية (١٧٦) من سورة الشعراء...

---

(١) الإمام الرازي سورة هود - الآية ٨٤ ص ٣٩ ٦ م ج ١٦.
(٢) الإمام ابن كثير - سورة هود - الآية (٨٤) ص ٤٥٥.
(٣) الإمام القاسمي - سورة هود - الآية (٨٤) ص ١٥٥ م ٩.
(٤) الشيخ محمود حجازي - سورة هود - الآية (٨٤) ص ٣٧ ج ١٢.
(٥) الشيخ سيد قطب - سورة الشعراء - الآية (١٧٦) ص ١٦١٤.

﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين﴾.

هـذه قصة شعيب ـ السورة ـ وأصحاب الأيكـة هم ـ غـالبـاً ـ أهـل مـدين... والأيكة «الشجـر الكثيف الملتف»... ويبدو أن مـدين كـانت تجاورها هذه الغيضة الوريفة من الأشجـار... وموقـع مدين بين الحجـاز وفلسطين حول خليج العقبة.

كما ذكرت نفس الآية في سورة العنكبوت موقع ونسب شعيب عليه السلام:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾... الآية (٣٦).

جاء في تفسير الإمام الرازي[١]:

وإلى مدين أخاهم ـ أنه اسم رجل في الأصل وحصل له ذرية فاشتهر في القبيلة. (أخاهم) قيل لأن شعيباً كان منهم نسباً، وفي الآية مسائل:

قال الله تعالى في سورة نوح: ﴿**ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه**﴾، قدم نوحاً في الذكر عرف القوم بالإضافة إليه وكذلك في إبراهيم ولوط، وههنا ذكـر القوم أولاً وأضـاف إليهـم أخاهم شعيبـاً، فنقـول الأصـل في جميـع المواضع أن يذكر القوم ثم يذكر رسولهم لأن المرسل لا يبعث رسولاً إلى غير معين. وإنما يحصل قوم أو شخص يحتاجون إلى أنبـاء من المرسـل فيرسل إليهم من يختاره، غير أن قوم نوح وإبراهيم ولوط لـم يكن لهـم اسم خاص ولا نسبة مخصوصة يعرفون بها، فعرفوا بالنبي فقيل قوم نوح وقوم لوط. وأما قوم شعيب وهود وصالح فكان لهم نسب معلوم اشتهروا به فجرى الكلام على أصله وقال الله: ﴿**وإلى مدين أخاهم شعيباً**﴾، وقال: ﴿**وإلى عاد أخاهم هوداً**﴾.

وأما شعيب فكان بعد انقراض القوم فكان هو أصلاً أيضاً في التوحيد فبدأ به وقال: ﴿**اعبدوا الله**﴾.

---

(١) الإمام الرازي ـ سورة العنكبوت ـ الآية (٣٦) ص ٦٤.

كذلك قال الشيخ المراغي[1] في تفسيره عن نسب شعيب في سورة الشعراء ما يلي: -

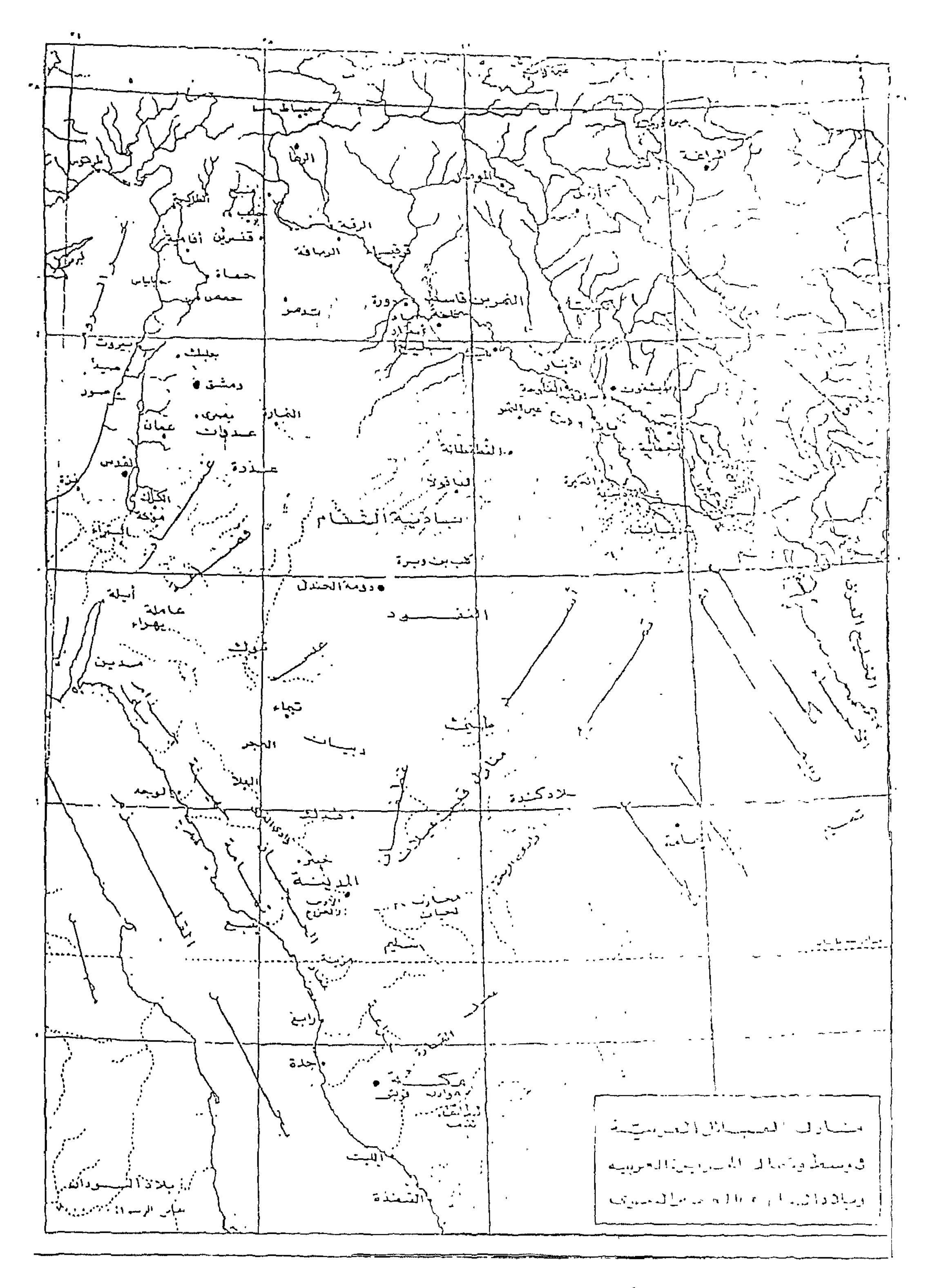
بَيَّنَ سبحانه وتعالى في سورة الشعراء أن الله أرسل شعيباً إلى أصحاب الأيكة وهم أخوة مدين في النسب، أخرج ابن عساكر عن ابن عباس في قوله: ﴿**كذب أصحاب الأيكة المرسلين**﴾، قال: كانوا أصحاب غيضة بين ساحل البحر ومدين، وفي ذلك دليل على أن الله أرسله إلى أهل مدين وإلى من اتصل بهم إلى ساحل البحر.

التحليل:

ومن خلال تفاسير أفاضل العلماء عرفنا نسب النبي شعيب عليه السلام وقومه، أما فيما يختص بموقع سكن قومه على الخريطة في الوقت الحاضر، فقد ذكر كثير من أفاضل العلماء أن قوم شعيب عليه السلام كانوا يسكنون بين الشام والحجاز. . وكان لفظ مدلول بلاد الشام يطلق على الحدود السياسية الحالية بين الأردن وفلسطين وسوريا، وتبين الخريطة موقع مدين.

---

(١) الشيخ مصطفى المراغي - سورة الشعراء - الآية (١٧٦) ص ٢١٩ ج ٩.



د. حسين مؤنس أطلس تاريخ الإسلام ص ٣٤.

٣ ـ موقع مدين من الجغرافيا الاقتصادية

وفيما يختص بموقع مدين ونسبهم، فقد سبق أن ذكرنا ذلك في تحليل قصة شعيب عليه السلام في التاريخ الاقتصادي من خلال قصص القرآن الكريم. . . وقد تبين لنا أن قوم شعيب قد حدد موقعهم حسب تفاسير أفاضل العلماء. . . وعلى ضوء ذلك فإن لموقع مدين من الجغرافيا الاقتصادية وجغرافية السكان مدلولات ومفاهيم اقتصادية نذكرها فيما يلي: ـ

١ ـ أجمع كثير من العلماء على أن مدين تطلق على اسم القبيلة وعلى المدينة، أما بخصوص موقعها الجغرافي فقد أشار العلماء على أنها بقرب «معان» من طريق الحجاز وبين فلسطين وحول خليج العقبة أي شرق الأردن، وكما أشار إلى ذلك الدكتور حسين مؤنس في كتابه الأطلس الإسلامي[1].

٢ ـ يتميز موقع قوم شعيب بأنه ملتقى قوافل الطرق التجارية سواء القادمة من الشمال من الشام في طريقها إلى الجزيرة العربية أو اليمن، كما أن هذا الموقع يعتير ملتقى مفارق الطرق المحلية والدولية (في ذلك العصر). . . وهكذا فإن موقع قوم شعيب بالنسبة لعلم الجغرافيا الاقتصادية يعتبر من المواقع الاقتصادية الهامة بالنسبة لقوافل التجارة، فهو ذو أهمية بالغة. . . ففيه تتزود القوافل التجارية بالماء وتستريح الدواب من عناء السفر، كما أنه مركز احتكاك اقتصادي كبير.

٣ ـ لقد تميزت قصة شعيب عليه السلام بعدم إيفاء قوم شعيب في الكيل

---

(١) الدكتور حسين مؤنس ـ الأطلس الإسلامي ـ ص ٥٩.

والميزان بالبخس والتطفيف، كما أكدها القرآن الكريم في سورة المطففين، ونتيجة لذلك فإن السمة الأساسية لقوم شعيب أنهم كانوا تجاراً ويعتمد اقتصادهم القومي على التجارة بالبيع والشراء سواء محلياً أو مع القرى والمدن الأخرى وكمركز تجاري تلتقي فيه قوافل التجارة، ويتم فيه تسويق البضائع لكافة القبائل المجاورة.

٤ ـ يتضح لنا من خلال قصة شعيب عليه السلام، أن الصفة الأساسية لقوم شعيب هي شهرتهم الكبيرة، ومعرفتهم بدروب التجارة، وبالتالي فإن المقومات البشرية لقوم شعيب جعلت أفراد القبيلة يكتسبون الخبرة في التجارة والحنكة في المعاملات التجارية، ولكن أوضحت الآية الكريمة أن طبيعة عمل ومهن قوم شعيب التجارية كان لها طابعاً مميزاً وهو مزاولتهم المحرمات مثل البخس والتطفيف في الكيل والميزان.. ولهذا أرسل الله تعالى شعيباً عليه السلام ليهديهم إلى الطريق والمنهج التجاري والاقتصادي التطبيقي الصحيح الذي حلله الله تعالى فيما رزقهم وأنعم عليهم بالخبرة والحنكة التجارية والموقع الفريد المتميز.

٥ ـ ازدهرت التجارة وانتعشت الأنشطة الاقتصادية لقوم شعيب عليه السلام، فقد رزقهم الله تعالى موقعاً تجارياً حقق من ورائه قوم شعيب مكاسب طائلة فاوزدادت مدخولاتهم الخاصة وكثرت أموالهم... إلا أن هذه الأموال كانت محرمة، لأنهم حصلوا عليها من طريق محرم نهاهم الله تعالى عنه.

وقال الشيخ المراغي[1]:

روى أن قوم شعيب كانوا إذا دخل عليهم الغريب يأخذون دراهمه ويقولون: هذه زيوف فيقطعونها ثم يشترونها منه بالبخس أي بالنقصان.

٦ ـ لقد أنعم الله تعالى على قوم شعيب بالموارد الجغرافية الطبيعية من ناحية الموقع، وبالتالي فإن قوافل التجارة كانت تحتاج إلى المورد

---

(١) الشيخ المراغي ـ سورة الأعراف ـ الآية (٨٥) ص ٢٠٥ ج ٩.

الرئيسي الطبيعي وهو الماء، وغير ذلك مما يحتاجه القوافل من موارد أساسية للحياة، لهذا تشير قصة شعيب عليه السلام إلى أن الله تعالى أنعم على قوم شعيب بالموارد الطبيعية والأرزاق التي تكفل وتحقق التبادل التجاري مثل أهمية الموقع الجغرافي، وهو ما يؤكده علم الجغرافيا الاقتصادية لحل المشكلات التي تواجه الإنسان في الحصول على رزقه.

٧ - نستنتج من خلال الموقع الاقتصادي لقوم شعيب عليه السلام أن التسويق لمنتجاتهم الزراعية والصناعية لم يسبب لهم مشكلة تجارية أو اقتصادية، لأن الله تعالى رزقهم بالموقع الجغرافي الاقتصادي الذي يسمح لهم بتذليل أي عقبة في تلك المنطقة في ذلك الوقت من العالم في التاريخ الاقتصادي من خلال قصص القرآن الكريم، وبذلك انتعش الاستغلال التجاري الحر الذي ألهب رغبة الإنسان في أن يبخس ويطفف في الكيل والميزان ليحصل على المزيد من الأموال، ونسي أن ذلك سينعكس على سمعة قوم شعيب من ناحية الجغرافيا الاقتصادية لأنهم كانوا قوماً يبخسون ويطففون في الكيل والميزان، وبالتالي سيؤدي ذلك إلى اهتزاز التبادل التجاري سواء كان محلياً أو دولياً، كما سيتغير الإزدهار والرواج التجاري إلى الكساد والسمعة السيئة لتلك المنطقة، كل ذلك نأخذه دروساً وعبر لبناء اقتصاد إسلامي لجغرافيتنا الاقتصادية.

٨ - تؤكد لنا قصة شعيب عليه السلام أن اقتصاديات المدن كقوم شعيب يلعب فيها طبيعة الموقع دوراً هاماً يتعلق بالتجارة. . فإن طبيعة اقتصادها التجاري والتخطيط الاقتصادي العام لتلك المدينة التجارية يفرض على المرء ضرورة الإبتعاد عن المحرمات التي نهانا الله تعالى عنها، وكذلك عدم الاحتكار الاقتصادي، لأن التبادل التجاري مع الأقوام الأخرى يتم حسب تخطيط ما يسمح به الله تعالى لبناء النمو الاقتصادي السليم وعدم إفراط المجتمع بتطبيق الاقتصاد في التجارة والإنحراف والفساد مثل قوم شعيب الذين تخلف اقتصادهم بسبب

حرية التجارة في الاقتصاد، وأن دورة الأموال في التجارة كانت تعتمد على الفساد والمحرمات والبخس وتطفيف الكيل والميزان. . . إلخ.

٩ - بين الله تعالى فيما يختص بموقع قوم شعيب عليه السلام أن السمعة الاقتصادية لأي قوم أو مدينة ما. . . تؤثر على مجالات تبادلها التجاري وميزانها التجاري، الذي ينعكس على اقتصادها، فيصاب رأس المال بالكساد والنقص في الأسواق، كما تتأثر طبيعة عمل وحرفة السكان بما يعود على التجارة والاقتصاد بالفشل والبطالة بسبب حرية التجارة ومزاولتهم الفساد الاقتصادي، كما يحدث تخلف في تغيير موازين التجارة سواء المحلية أو الدولية، لأنه بني على أسس نهانا الله تعالى عنها مثل عدم الفساد في الأرض، كما ذكر الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام.

وفيما يختص بموقع «مدين» الجغرافي من خلال ما فسره أفاضل العلماء، كما ذكرت سورة هود - الآية (٨٤)، فنورده فيما يلي: -

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾. . . الآية (٨٤) سورة هود.

يقول الإمام ابن كثير[١]: -

يقول تعالى: ولقد أرسلنا إلى مدين وهم قبيلة من العرب كانوا يسكنون بين الحجاز والشام فأرسل الله إليهم شعيباً وكان من أشرفهم نسباً، ولهذا قال: ﴿**أخاهم شعيباً**﴾.

ويقول الإمام القاسمي[٢]:

﴿**وإلى مدين**﴾ أي وأرسلنا إلى مدين و(مدين) بلد بين الحجاز والشام أخاهم شعيباً.

---

(١) الإمام ابن كثير - سورة هود - الآية (٨٤) ص ٤٥٥.

(٢) الإمام القاسمي - سورة هود - الآية (٨٤) ص ١٥٥ م ٩

وجاء في تفسير الشيخ محمود حجازي[1]: ـ

وأرسلنا إلى قبيلة مدين ـ وكانت تسكن الحجاز مما يلي الشام، وكانوا في غنى وسعة إلا أنهم طففوا الكيل ونقصوا الـوزن، وعاشـوا في الأرض الفساد ـ أرسلنا لهم شعيباً من أوسطهم نسباً وأعلاهم خلقاً.

وجاء في تفسير الإمام محمد رشيد رضا [2]

هذه الآيات الثلاث في تبليغ شعيب قومه الدعوة وهي الأمر بتوحيد الله في العبادة والنهي عن أشد الرذائل التي فشت فيهم والأمر بالفضيلة التي تقابلها ﴿**وإلى مدين أخاهم شعيباً**﴾ أي وأرسلنا إلى أهل مدين أخاهم في النسب شعيباً.

قال الإمام ابن كثير [3] ـ

كان أهل مدين قوماً عرباً يسكنون مدينتهم مدين التي هي قرية من أرض معان من أطراف الشام مما يلي ناحية الحجاز قريباً من بحيرة قـوم لوط، وكانوا بعدهم بمدة قريبة ومدين قبيلة عرفت بهم القبيلة وهم من بني مدين بن مديان بن إبراهيم الخليل وشعيب نبيهم كما قـال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾، أي دلالة وحجة واضحة وبرهان قاطع على صدق ما جئتكم به وأنه أرسلني هو ما أجرى الله على يديه من المعجزات التي لم تنقل إلينا تفصيلاً وإن كان هذا اللفظ قد دل عليها إجمالاً. ﴿فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾، أمرهم بالعدل ونهاهم عن الظلم وتوعدهم على خلاف ذلك.

---

(1) الشيخ محمود حجازي ـ سورة هود ـ الآية (٨٤) ص ٣٧ ج ١٢.

(2) الإمام محمد رشيد رضا ـ سورة هود ـ الآية (٨٤) ص ١٣٩ م ١٢.

(3) البداية والنهاية ـ الحافظ بن كثير ـ سورة الأعراف ـ الآية (٨٥) ج أول ص ١٨٦.

وذكرت نفس الآية في سورة العنكبوت:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا...﴾ الآية (٣٦) من سورة العنكبوت.

جاء في تفسير الإمام الرازي[1]:

وإلى مدين أخاهم ـ أنه اسم رجل في الأصل وحصل له ذرية فاشتهر في القبيلة. ﴿**أخاهم**﴾ قيل لأن شعيباً كان منهم نسباً، وفي الآية مسائل:

قال الله تعالى في نوح: ﴿**ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه**﴾، قدم نوحاً في الذكر عرف القوم بالإضافة إليه وكذلك في إبراهيم ولوط، وههنا ذكر القوم أولاً وأضاف إليهم أخاهم شعيباً، فنقول الأصل في جميع المواضع أن يذكر القوم ثم يذكر رسولهم لأن المرسل لا يبعث رسولاً إلى غير معين. وإنما يحصل قوم أو شخص يحتاجون إلى أنباء من المرسل فيرسل إليهم من يختاره غير أن قوم نوح وإبراهيم ولوط لم يكن لهم اسم خاص ولا نسبة مخصوصة يعرفون بها، فعرفوا بالنبي فقيل قوم نوح وقوم لوط. وأما قوم شعيب وهود وصالح فكان لهم نسب معلوم اشتهروا به فجرى الكلام على أصله وقال الله: ﴿**وإلى مدين أخاهم شعيباً**﴾، وقال: ﴿**وإلى عاد أخاهم هوداً**﴾.

وأما شعيب فكان بعد انقراض القوم فكان هو أصلاً أيضاً في التوحيد فبدأ به وقال: ﴿**اعبدوا الله**﴾.

قال الشيخ المراغي[2]ـ

وقد بين سبحانه في سورة الشعراء أن الله أرسل شعيباً إلى أصحاب الأيكة وهم اخوة مدين في النسب، أخرج ابن عساكر عن ابن عباس في قوله: ﴿**كذب أصحاب الأيكة المرسلين**﴾، قال: كانوا أصحاب غيضة بين ساحل البحر ومدين وفي ذلك دليل على أن الله أرسله إلى أهل مدين وإلى من اتصل بهم إلى ساحل البحر.

---

(١) الإمام الرازي ـ سورة العنكبوت ـ الآية (٣٦) ص ٦٤.

(٢) الشيخ مصطفى المراغي ـ سورة الأعراف ـ الآية (٩١) ص ٢١٩ ج ٩.

المبحث الثاني

(المنهج الإسلامي للموازين والمكاييل)

بين الله تعالى لنا في قصة شعيب عليه السلام جانباً أساسياً في علوم الاقتصاد التي تدخل ضمن معايشنا وأرزاقنا اليومية والتي تحدد العلاقة بين البائع والمشتري... ألا وهي الاقتصاد التطبيقي للموازين والمكاييل.

فقد ذكر الكيل والميزان في القرآن الكريم في سورة الأعراف ـ الآية (٨٥)...

﴿... فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾.

وذكر أيضاً في سورة هود (الآيتان ٨٤، ٨٥) : ـ

﴿... وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

وكذلك ذكر في سورة الشعراء (الآيات ١٨١، ١٨٢، ١٨٣).

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾.

وهكذا وضعت قصة شعيب عليه السلام واحداً من المناهج الإسلامية الهامة في حياتنا الاقتصادية والتي حددها الله تبارك وتعالى بنظام الموازين والمكاييل واختلاف استعمالاته.

وبتحليلنا للإقتصاد التطبيقي في الموازين والمكاييل نأتي إلى ما يلي : -

١ - إن استعمالنا المكاييل والموازين في حياتنا هو اقتصاد تطبيقي عملي لمعرفة العمليات المتداخلة بين الموزون وتحديد وزنه ثم تقدير المبلغ المالي لقيمته، ولهذا فإن عملية الوزن والكيل هي أداة تحليلية اقتصادية تطبيقية عملية في حياتنا.

٢ - إن عملية الوزن تحقق مبدأ تكافؤ الفرص للمساواة وفقاً للشريعة الإسلامية في تحديده، وبالتالي ماليتها الحقيقية الموزونة، وبهذا تتحقق العدالة في توزيع نسبة كل من المراد وزنه وسعره الحقيقي.

٣ - إن عملية الوزن للسلعة في اقتصادنا الطبيقي هو تحديد عامل أساسي في الإنفاق المالي العام للمجتمع على السلع والمواد المعيشية اليومية وذلك لنضوج الإقتصاد القومي من أجل معرفة وتحديد الإنفاق العام بالنسبة للسلعة وثمنها الحقيقي للمستهلك.

٤ - إن عملية تحديد الوزن في الاقتصاد التطبيقي تتميز باستخدام النقود في عمليات المبادلة بين قيمة السلعة وثمنها الحقيقي، وهذا بخلاف التبادل السلعي بين سلعة وأخرى في الاقتصاد الطبيعي الذي لا تستخدم فيه النقود.

٥ - إن عملية إيفاء الوزن والكيل على ضوء ما ذكرته قصة شعيب عليه السلام توضح الحكمة الإلهية للمساواة ومعرفة تحديد كل ما له علاقة بالوزن، ومن أهمها البضائع والمشتري والبائع وما ينفقه المستهلك من دخله، وبذلك تتحقق العدالة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي الذي تسوده الشريعة الإسلامية في ظل الاقتصاد التطبيقي الإسلامي.

٦ - إن الوزن في الاقتصاد التطبيقي الإسلامي يحدد العرض والطلب وانكماشهما بالنسبة للسلعة في المجتمع الإسلامي حيث أن وزن السلعة أو كيلها وتحديد سعرها الحقيقي يتوقف على نسبة استهلاكها

سواء بالإفراط أو الإنكماش من ناحية العرض والطلب. . وبهذا يتحقق للسلعة الإيراد الكلي أو القومي أو الحدي.

٧ ـ إن تخطيط الأسعار في الاقتصاد التطبيقي يحتاج إلى معرفة حالة الأسواق ودراستها واتباعها خاصة ما يتعلق بسياسة العرض والطلب، وكذا إغراق الأسواق بالبضائع أو ندرتها منها. . وتحديد الموزون في التخطيط لأسعار السلع يستهدف في النهاية إلى تنظيم الاقتصاد القومي وتطوير الحياة الاجتماعية في كافة المجالات بطريقة علمية وعملية وإنسانية من أجل الإستغلال الجيد لموارد المجتمع المادية والطبيعية والبشرية وجميع الثروات. . كل ذلك في ظل الشريعة الإسلامية السمحاء.

٨ ـ ومن خلال التشريع الإلهي لقصة شعيب عليه السلام يظهر لنا مفهوماً آخر على جانب كبير من الأهمية. . ألا وهو الحرية الاقتصادية في مجال التجارة في التبادل. . وعدم المقايضة التجارية في السلع والبضائع بين الدول بعضها البعض. . كما أن إيفاء الكيل والميزان يحقق الإستقرار الاقتصادي ويحمي من الإضطرابات والتقلبات التي قد تضر الأسواق. . وبذلك ينعكس هذا على التنمية الاقتصادية في المجتمع.

أولاً: النظام الاقتصادي للموازين: ـ

علمنا الله تعالى أحد المناهج الإسلامية في الاقتصاد الذي يدخل في حياة الناس المعيشية اليومية وهو الأساس الإسلامي في الاقتصاد، وذلك في أسواقنا وتجارتنا وهو استعمال الميزان لقياس وتقييم السلعة بين الشاري والبائع... فالميزان بينه الله تعالى لنا في قصة شعيب عليه السلام في سورة الأعراف: ﴿**فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم**﴾، الآية (٨٥). وكذلك في سورة هود: ﴿**ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط (٨٤) ويا قوم أوفوا المكيال الميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين (٨٥)**﴾.

وقد ذكر الله تعالى في سورة المطففين: ﴿**وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون**﴾، الآية (٣)... وبهذا فإن الموازين في الإسلام تعتبر أحد الأسس الاقتصادية التي نستوحيها لحياتنا المعيشية، فالميزان هو الذي يحدد الحق والعدل بين المشتري والبائع وعليه يتوقف تثمين قيمة السلعة بأثمانها الحقيقية.

وفيما يلي تحليل الأسس والمفاهيم الإسلامية لتعريف الموازين، على أنه يجمل بنا أن نورد الآيات الكريمة التي ورد فيها الوزن والميزان: ـ

١ - آيات القرآن الكريم والموضوعات التي ذكرت كلمة «الوزن» -

ذكر الله تعالى في كتابه العزيز كلمة «وزن» وإن اختلف معناها حسب الآية التي ذكرت فيها من حيث الموضوع المراد ذكره، وعندما نبحث في معرفة الوزن في كل موضع نجد ما يلي: -

العمل الصالح للإنسان في حياته:

قال الله تعالى في سورة المطففين - الآية (٣).

﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾.

وقال تعالى في سورة الأعراف - الآيتان (٨)، (٩). ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾.

وقال تعالى في سورة الكهف - الآية (١٠٥). ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴾.

كما قال الله تعالى في سورة الأنبياء - الآية (٤٧). ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴾.

تحليل:

١ - عندما يزاول التاجر عمله اليومي ويطبق شرع الله ويبتعد عن المحرمات

ويتجنب ما نهى الله تعالى عنه... خاصة ما يتعلق بإيفاء الكيل والميزان، فإن مكاسبه التي يحققها تصبح حلالاً وتنعكس على أحواله الاقتصادية والاجتماعية... وينعم بها على عكس التاجر الذي يخسر الدنيا والآخرة.. لأنه لم يتبع شرع الله عز وجل ويطفف الكيل والميزان أو ينقصها لصالحه.. فمثل هذه الأعمال لا تؤدي بصاحبها إلا للهلاك والخسران المبين.

٢ - وقد حدد الشرع الأعمال الصالحة للإنسان بأن يتوخى الصدق ويتمسك بالحق والعدل في كل شيء يختص به البائع أو المشتري.. وبذلك يفوز برحمة الله عز وجل وحسن ثواب الآخرة.

٣ - ومن خلال قصة شعيب عليه السلام يتضح لنا أن قوم شعيب استحقوا العذاب لعدم إيفائهم للكيل والميزان.. وأنهم أفرطوا في الفساد الذي نهاهم عنه شعيب عليه السلام وكفروا بنعمة الله عز وجل وكذبوا شعيباً عليه السلام في دعواه..

ولذلك فإن أي نوع من أنواع التجارة المحلية أو الدولية لا يزدهر إلا من خلال الاقتصاد التطبيقي الذي يعتمد أولاً وأخيراً على شرع الله عز وجل.. وعلى الحدود التي قررتها الشريعة الإسلامية السمحاء... فإن الفساد في المجتمع يتأثر بالتخلف الاقتصادي الناتج عن عدم تطبيق شرع الله عز وجل.

التشريع الإلهي بإيفاء الوزن والكيل

قال الله تعالى في سورة الإسراء ـ الآية (٣٥).

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

وقال تعالى في سورة الشعراء ـ الآية (١٨٢). ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾.

كما قال تعالى في سورة الرحمٰن ـ الآيات (٧، ٨، ٩). ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾.

تحليـــل:

١ ـ تفيض الآيات القرآنية الكريمة بالحدود الشرعية التي يجب أن يلتزم بها المسلم... وفيما يتعلق بالكيل والميزان فهناك حدود لطريقة استعماله... فمن أحسن الإستعمال واتبع المنهج الإلهي انتعشت تجارته وازدهرت، لأنه يتمسك بالحق والعدل والتطبيق الاقتصادي السليم الذي يرتكز على الشريعة الإسلامية السمحاء... ومن أساء الاستعمال خسر كل شيء وتعرض للعقوبات الاقتصادية وقد يفقد استثماراته وحريته الاقتصادية.

٢ ـ ضرب الله تعالى لنا مثلاً عملياً لوضعه الميزان... كما أن دعوة الحق سبحانه ترفض الطغيان في الميزان وضرورة أن نقيم الوزن

بالقسط ولا نخسر الميزان.. فلو حدث أدنى خلل لوقعت الكارثة.. فكيف لنا في اقتصادنا التطبيقي.. أن عملية التوازن تحقق الثبات والإستقرار لكل من المستهلك أو المشتري والبائع، وذلك في نطاق السعر والحجم والربح الحلال...

ومن ثم نطبق العدالة الشرعية بتثبيت الوزن والسعر فتستقيم الأمور وتعتدل...

التشريع الإلهي للوزن:

قال الله تعالى في سورة الحديد ـ الآية (٢٥). ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ .. ﴾.

وقال تعالى في سورة الأعراف ـ الآية (٨٥). ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

وقال تعالى في سورة هود ـ الآيتان (٨٤، ٨٥). ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (٨٤) وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥) ﴾.

وقال تعالى في سورة الشورى ـ الآية (١٧). ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧) ﴾

كما قال تعالى في سورة الحجر ـ الآية (١٩). ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ (١٩) ﴾.

تحليــل:

أرســل الله تعالى الأنبيـاء والرســل لهدايــة البشر ودعــوتهم لعبادة الله وحده.. كما شرع الله عز وجل حدود نـظام الكيل والميـزان.. وذلك من خلال قصة شعيب عليه السلام.. ويقتضي التخطيط لبناء الاقتصاد الإسلامي أن تقوم تجارتنا على أساس منهج الله سبحانه وتعالى... وأن تستقر أسواقنا وتنتعش وتـزدهر بفضـل اتباع الحـدود التي دعي لتطبيقهـا نبي الله شعيب عليـه السـلام في المـوازين والمكـاييـل وبـذلـك ينمـو المجتمــع وتستقـر الأحوال...

ثقل الميزان هو الطريق إلى الجنة: -

قال الله تعالى في سورة المؤمنون - الآيتان (١٠٢، ١٠٣). ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ (١٠٣).

وقال تعالى في سورة القارعة - الآيات (من ٦ حتى ٩). ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾.

تحليــل:

اقترنت الأعمال الصالحة بالمؤمنين والمتقين.. وبشرهم الله عز وجل بالرحمة والمغفرة والفوز بالجنة والنجاة من النار...

ويحرص المؤمن ويبذل الجهد كي يثقل ميزانه يوم الحساب.. ومن ثم يتمتع بعيشة راضية وحياة طيبة... **﴿فمن عمل صالحاً فلنفسه﴾** كما ذكرت سورة الجاثية الآية (١٥)...

بل إن من يعمل مثقال ذرة من الخير يرى الخير كل الخير.. كما أكدت ذلك سورة الزلزلة... التي حددت وزن الذرة قبل أن يعرفها أي من علماء العصر القديم أو الحديث...

وهكذا يكون جزاء المؤمن الصالح... وهناك حديث نبوي شريف رواه الإمام مسلم حول الميزان يوم القيامة جاء فيه:

«الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان... وسبحان الله والحمد الله تملآن وتملأ ما بين السماء والأرض... والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك... كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها...».

وعلى العكس... نجد الكافر والفاسق والمفسد الذي لا يطبق شرع الله عز وجل يخف ميزانه وتقل حسناته... ويواجه العذاب الأليم، ويعاني من العقاب الشديد في الدنيا والآخرة...

وبعد.. فتلك آيات بينات تحدثت عن الوزن والميزان سواء أكانا معنويين أو محسوسين... أما الآن فيجدر بنا أن نتعرض للموازين بشيء من التفصيل والتحليل والميزان المحسوسان فنقول وبالله التوفيق: ـ

جاء في كتاب النقود والمكاييل والموازين (١) ـ تحقيق الدكتور رجاء محمود السامرائي: ـ

وكان وزن الدراهم والدنانير في الجاهلية مثل وزنها في الإسلام (مرتين)، ويسمى المثقال (من الفضة) درهماً (ومن الذهب) دِيناراً، ولم يكن من شيء من ذلك يتعامل به أهل مكة في الجاهلية: (وإنما كانت تتعامل بالمثاقيل، وزن الدرهم وزن الدينار)، وكانوا يتبايعون بأوزان

---

(١) النقود والمكاييل والموازين ـ تأليف: محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المنادي ـ المتوفى سنة ١٠٣١ هـ.
(تحقيق: الدكتور رجاء محمود السامرائي).
منشورات وزارة الثقافة والإعلام ـ الجمهورية العراقية.

اصطلحوا عليها فيما بينهم، وهو الرطل الذي هو اثنتا عشرة أوقية، والأوقية وهي أربعون درهماً، فيكون الرطـل ثماني وأربعمـائة درهم، والنش وهـو نصف الأوقية، حولت صاده شيناً [١] فقيل نش وهو عشرون درهماً.

وكان الدينار في الجاهلية يسمى لوزنه دينـاراً، وإنما هو تبر، ويسمى الدرهم لوزنه درهماً وإنما هو فضة. وكان زنة كل عشرة دراهم ستة مثاقيل، والمثقال وزنه إثنان وعشرون قيراطاً إلا حبة .

والمثقال منذ وضع لم يختلف في جاهلية ولا إسلام [٢] .

ويقال: إن الذي اخترع الوزن في الدهر الأول، بدأ بوضع المثقال أولاً فجعله ستين حبة، زنة مائة من حب الخردل البري المعتدل.

ثم ضرب صنجة [٣] بزنة مائة من حب الخردل [٤] وجعل بوزنها مع المائة صنجة ثانية، ثم صنجة ثالثة حتى بلغ مجموع الصنج خمس صنجات فكانت صنجته نصف سدس مثقال، ثم أضعف وزنهـا حتى صارت ثلث مثقال، فركب منها نصف مثقال ثم مثقالاً وخمسة وعشرة، وفوق ذلك. . . فعلى هـذا تكون زنـة المثقال الـواحد، ستـة آلاف حبـة. ولمـا بعث الله المصطفى ﷺ، أقر أهل مكة، وقال: الميزان ميزان أهل مكة، وفي رواية ميزان المدينة. وفرض ﷺ زكاة الأموال على ذلك. . . فجعل في كل خمس أواقي من الفضة الخالصة التي لم تغش خمسة دراهم وهي النواة، وفرض

---

(١) في الأصل: صارت مشيناً.
(٢) في الأصل: لم يختلف جاهلية ولا إسلاماً.
(٣) الصنجة: بالصاد أو السنجة بالسين وكلاهما بالفتح من الفارسية سبكة أي الحجر، ويـراد به في الإصـطلاح: العيار، وبـالفرنسيـة (Songe)، وتحمل جميـع الصنـج الزجاجية بالسكة الإسلامية، ما يعبر عن هذا العيار، أو الوزن بلفظ مثقال أو ميزان، والمقصود بلفظ ميزان هنا هو مقدار ثقل الصنجة التي تعير عليها قطعة العملة.
إن الصنج الزجاجية أكثر دقة من الصنج التي تستعمل من معادن أخرى إذ أنهـا لا تستحيل إلى زيادة أو نقصان.
(٤) في الأصل: بزنة المائة الحبة الخردل، والتصحيح عن المصدر السابق.

في كل عشرين ديناراً نصف دينار كما هو معروف مبسوط في كتب الحديث والفروع. . . إلى هنا كلام المقريزي، وهو يشهد في من كلام النجم بن الرفعة (١) حيث قال: المتفق عليه بين أصحابنا فيما وقفت عليه من كلامهم. أن المثقال من حين وضع لم يختلف في جاهلية ولا إسلام.

وقد ذكر أيضاً. . .

قال في القاموس (٢) : الرطل اثنتا عشرة أوقية(٣)، والأوقية أستار وثلثا أستار. والأستار أربعة مثاقيل، والمثقال درهم وثلاثة أسباع درهم، والدرهم ستة دوانق (٤) ، والدانق قيراطان، والقيراط طسّوجان والطسّوج (٥) حبتان، والحبة سدس ثمن درهم، وهو جزء من ثمانية وأربعين جزء من درهم. إلى هنا كلامه. واعترضه بعض المحققين بأنه أحال معرفة الدرهم على معرفة الدرهم، حيث عرفه بالدوانيق ثم الدانق بالقيراط إلى أن انتهى بالحبة، فعرفها بأنها جزء من الدرهم وذلك دور (٦) ظاهر، وبأنه أحال معرفة المثقال عليه والمناسب عكسه لأن المثقال أصل متفق عليه لم يختلف (في) جاهلية ولا إسلام فيه كما سيجيء بخلاف الدرهم. قال في المصباح (٧) والأوقية

---

(١) ابن الرفعة (٦٤٥ - ٧١٠ هـ) أحمد بن محمد بن علي الأنصاري فقيه شافعي، من فضلاء مصر. كان فقيهاً مفتناً، وكان محتسب القاهرة له كتب منها: الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان خ، وقد طرق سمعي أن أحد المستشرقين يقوم بتحقيقه منذ أكثر من سنة. (النجوم الزاهرة ٩: ٢١٣، الإعلام ١ : ٢١٣).

(٢) القاموس المحيط: فصل الراء باب اللام ٣: ٣٨٥.

(٣) في الأصل: إثنا عشر. وفي المصدر السابق: الرطل: ويكسر اثنتا عشرة أوقية، الأوقية أربعون درهماً.

(٤) نسب الكرملي هذا القول إلى السيوطي وقال: «. . . الدراهم ثمانية دوانق. (النقود العربية وعلم النميات) ص ٢٦، ح ١، ص ٣٨، ح ١.

(٥) في الأصل: شطوجان والشطوج.

(٦) الدور في المنطق أن يكون السبب النتيجة، والنتيجة السبب وهذا مستحيل.

(٧) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المتوفى سنة ٧٧٠ هـ. وفي المصباح: «. . . درهماً وهي في تقدير أفعولة =

بالضم والتشديد، وهي عند العرب أربعون درهماً في تقدير أفعولة بالهمز كأعجوبة وأحدوثة، والجمع الأواقي بالتشديد والتخفيف.

فإن ثقلت قال ثعلب [١]: في بـاب المضموم أولـه: وهي الأوقية، والـوقيـة لغــة وهي بضم الـواو، وهكــذا هي مضبـوطــة في كتـاب ابن السكيت [٢].

وقال الأزهري[٣]: قال الليث [٤]: الوقية سبعة مثاقيل، وهي مضبوطة بالضم أيضاً. قال المطرّزي [٥]: وهكذا هي مضبوطة في شرح السنة [٦] في

= كالأعجوبة والأحدوثة». والجمع الأواقي بالتشديد وبالتخفيف للتخفيف (المصباح ص ٩٢٣).

(١) ثعلب: أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أمام الكونيين في النحو واللغة. ولد في بغداد سنة ٢٠٠ هـ ومات فيها سنة ٢٩١ هـ. من كتبه الفصيح ـ ط وفيه ص ١٦: «وكل اسم على فعلول فهو مضموم الأول وفيه صار فلان أحدوثة أي حديثاً للناس، ومثله في الوزن: أمنية وأماني: «وأوقية وأواقي. والأوقية معروفة من الأوزان، ويختلف مقدارها في البندان كاختلاف الأرطال.

(٢) ابن السكيت (١٨٦ هـ ـ ٢٤٤ هـ): هو يعقوب بن إسحق، إمام في اللغة الأدب، من كتبه: إصلاح المنـطق ـ ط. وفيه: الأوقيـة وجمعها أواقي، ومن العـرب من يخفف فيقول أواق. ص ١٧١.

قلت: والأعاجم تلفظ الذال زاياً.

(٣) الأزهري (٢٨٢ هـ ـ ٣٧٠ هـ): محمد بن أحمد الهروي، أحد الأئمة في اللغـة والأدب، مولده ووفاته في هراة، من كتبه: تهذيب اللغة.

(٤) الليث (٩٥ ـ ١٧٥ هـ): الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي بالولاء، ولد في قلقشندة وكان الشافعي يتأسف على فـوات لقيه، ويقـول: الليث أفقه من مـالك (النجوم الزاهرة ٢: ٨٢، الإعلام ٦: ١١٥).

(٥) المطرزي (٥٣٨ ـ ٦١٠ هـ): أبو الفتح ناصر أو ناصر الدين بن عبـد السيد ولـد بجرجانية. . كانت له معرفة تامة بالنحو واللغة والشعر وأنواع الأدب. . . من كتبه: «المغرب في ترتيب المعرب»، وجاء فيه: والأوقية بالتشديد أربعون درهمـاً وهي أفعولة من الوقايـة لأنها تقي صـاحبها من الضـرر، وقيـل فعليـة من الأوق الثقل والجمع الأواقي بالتشديد والتخفيف.

(المغرب في ترتيب المعرب ٢: ٢٥٩ ـ ٢٦٠).

(٦) شرح السنة للإمام حسين بن مسعود البغري ـ المتوفى سنة ٥١٦ هـ.

عدة مواضع، وجرى على ألسنة الناس بالفتح وهي لغة حكاها بعضهم وجمعها وقايا كعطية وعطايا، إنتهى...

وهو مخالف لما في القاموس من أن الله وقية أستار وثلثا أستار. قال بعض الكبراء: ويقع في القاموس كما وقع هنا فيكون الثاني في مادته بالأول، فمن ذلك قوله في فصل الكاف من باب الميم: اللؤم بالضم ضد الكرم وفيه دور، انتهى، [1] .

ومما هو واقع فيه كثير من الخلط والخبط، أو أنه يخلط بعض الحقائق اللغوية فمن ذلك قوله: التعزير ضرب دون الحد، والعرب لا تعرف التعزير[2] . ولم يعرف ذلك إلا من جهة الشرع فانظر كيف نسبه إلى أهل اللغة الجاهلين به. رجع إلى ما نحن بصدده. قال في لسان العرب[3] : مثقال الشيء ما وازنه فثقل ثقله يا بني إيها وإن تلك مثقال حبة من خردل[4] ، رفق مثقال مع علامة التأثيث في تك لأن مثقال حبة راجع إلى معنى حبة، فكأنه قال: إن تلك حبة من خردل. وفي التهذيب[5] : المثقال معلوم قدره، ويجوز نصب المثقال ورفعه، يعني من قراءة نافع[6] فرفعه

---

(١) في القاموس ٤ : ١٧٠ ، ١٧٢ : الكرم محركه، ضد اللوم، كرم - بضم الراء - كرامة، وكرماً وكرامة محركتين... إلخ، واللؤم بالضم ضد الكرم، لؤم ككرم. مطبعة السعادة بمصر.

(٢) القاموس المحيط للفيروز آبادي. فصل العين باب الراء ٢ : ٨٨ وفي صحاح الجوهري ٢ : ١٠٩ مادة عزر: التعزير: التعظيم والتوقير، والتعزير أيضاً: التأديب، ومنه سمي الضرب دون الحد تعزيراً.

(٣) في لسان العرب مادة ثقل ١١ :٨٦: ومثقال الشيء ما أذن وزنه فثقل ثقله، وفي التنزيل العزيز: يا بني إنها ان تلك مثقال حبة راجع إلى معنى الحبة... إلخ.

(٤) لقمان ٣١، الآية ٦١.

(٥) لم أجد هذا النص في تهذيب التهذيب، في الجزء المطبوع منه... انظر: الحاشية رقم ٢٤.

(٦) نافع ابن عبد الرحمن، أحد القراء السبعة المشهورين، أصله من أصبهان، اشتهر في المدينة وانتهت إليه رياسة القراءة فيها. واقرأ: الناس نيفاً وسبعين سنة. وتوفي بها سنة ١٦٩ هـ (غاية النهاية في طبقات اقراء ٢ : ٣٣٠).

بتك، ومن نصب جعل في تك اسماً مضمراً مجهولاً مثل الهاء في قوله: إنها إن تـكُ الآية [1] ويقال: أعطه ثقله أي وزنه. قال ابن الأثير[2]، وفي الحديث: «لا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان [3]، المثقال في الأصل مقدار من الوزن، أي شيء كان من قليل أو كثير، فمعنى مثقال ذرة وزن ذرة والناس يطلقونه في العرف على الدينار خاصة وليس كذلك، قال ابن مكرم [4] قوله: يطلقونه على الدينار خاصة فيه تجوز، فإنه إن كان عني شخص الدينار، فالشخص منه قد يكون مثقالاً وأكثر وأقل، وإن كان عنى بالمثقال الوزن المعلوم فالناس يطلقونه على الدينار خاصة فيه تجوز فإنه إن كان عنى بالمثقال الوزن المعلوم فالناس يطلقون ذلك على الذهب والعنبر والمسك والجوهر وأشياء كثيرة قد صار وزنها بالمثاقيل معهوداً كالترياق [5].

وزنة المثقال بهذه المعامل درهم وثلاثة أسباع درهم على التحرير،

---

(١) لقمان ٣، الآية: ١٦.

(٢) ابن الأثير (المحدث): المبارك بن محمد، المحدث اللغوي الأصولي، ولد في جزيرة ابن عمر ونشأ فيها سنة ٥٤٤ هـ، وانتقل إلى الموصل وتوفي فيها سنة ٦٠٦ هـ. من كتبه: النهاية (في غريب الحديث) في أربعة أجزاء. وجامع الأصول في أحاديث الرسول - خ في عشرة أجزاء وغيرهما.

(٣) في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ٢ : ١٧٤.
«... مثقال ذرة أو خردلة من إيمان».

(٤) ابن مكرم هو ابن منظور، محمد بن مكرم المتوفى سنة ٧١١ هـ، قال في كتابه لسان العرب: «قول ابن الأثير: الناس يطلقونه في العرف على الدينار خاصة قول فيه تجوز... وإن كان عني المثقال الوزن المعلوم... كالترياق والراوند وغير ذلك، وزنة المثقال هذا المتكامل به الآن: درهم واحد وثلاثة أسباع درهم على التحرير يوزن به ما اختير وزنه به وهو بالنسبة إلى رطل مصر الذي يوزن به عشر عشر رطل. (لسان العرب مادة ثقل ١١ : ٨٦).

(٥) الترياق: بكسر التاء، معروف فارسي معرب، هو داء السموم لغة في الترياق، - والعرب تسمي الخمر ترياقاً، وترياقة لأنها تذهب بالهم (لسان العرب مادة ترق).

(٦) الروند والريوند والراوند: قيل: إنه أصل شجرة في الصين، وقيل: أصل الرمان الهندي، فارسيته راند... إلخ (الألفاظ الفارسية المعربة).

وهو بالنسبة إلى رطل مصر الذي يوزن به (عشر) [1] عشر رطل، انتهى قيل وفيه بحث من وجوه. وقال أبو حامد المقدسي [2] في النصائح الشرعية فيما على السلطان والرعية: الرطل المصري مائة وأربعون درهماً، والوقية إثنا عشر، وأما المثقال فهو درهما ودانقان، وهو أربعة وعشرون قيراطاً وهو خمسة وثمانون حبة، والدرهم الشامي ستون حبة، انتهى. وفيه مخالفة لما سبق وسيجيء كما لا يخفى ويقرب منه قول ابن عبد البر في التمهيد [3] .

كانت الدنانير في الجاهلية والإسلام بالشام، وعند عرب الحجاز كلها وقية، ووزن الدينار مثقال كمثقالنا هذا وهو درهمان ودانقان، ونصف وخمسة أسباع حبة. وفي مفاتيح العلوم للشيخ الخوارزمي [4] في الكلام على مكاييل العرب وأوزانها: الرطل نصف من والمن مائتان وسبعة وخمسون درهماً وسبع درهم... وبالمثاقيل مائة وثمانون مثقالاً، وبالأواقي أربعة وعشرون أوقية [5].

قال ابن حزم في الشمسية [6]: الدينار ستة دوانيق وعشرون قيراطاً

---

(١) الزيادة عن لسان العرب (لسان العرب مادة ثقل).

(٢) أبو حامد المقدسي: محمد بن خليل بن يوسف المقدسي ـ ولد ونشأ في الرملة سنة ٨١٩ هـ، ورحل إلى القاهرة سنة ٨٤٤ هـ، وتوفي بها سنة ٨٨٨ هـ، (الضوء اللامع ٧: ٢٣٤، الإعلام ٦: ٣٥٢).

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، كتاب في الفقه والحديث، للحافظ أبي عمر بن عبد البر، يوسف بن عبد الله القرطبي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ، واختصره وسماه الإستذكار. قال ابن حزم: «هو كتاب في الفقه والحديث ولا أعلم نظيره».

(٤) الخوارزمي: محمد بن أحمد بن يوسف، باحث من أهل خراسان، وكتابه: «مفاتيح العلوم ـ ط» يعد من أقدم ما صنفه العرب على الطريقة الموسوعية قال المقريزي: «وهو كتاب جليل القدر». (الإعلام ٦: ٢٠٤).

(٣١) في مفاتيح العلوم ص ١١: الرطل نصف منا، المنا وزن مائتين وسبعة وخمسين درهماً وسبع درهم... إلخ.

(٣٢) كذا في الأصل: ولم أعثر على هذا الكتاب ولا سيما في كشف الظنون وذيله. وفي الأصل: ابن حزام.

وأربعة وعشرون طسوجاً[1]، وأربعون أرزة، والدانق منه ثلاثة قراريط وحبة والقيراط ثلاث حبات، والحبة أربع أرزات، والأرزة خردلتـان من الخردل البري.

وقال: الماوردي في الأحكام السلطانية[2]، «استقر في الإسلام وزن الدرهم ستة دوانيق كل عشرة سبعة مثاقيل»، واختلف في سبب استقرارها على هذا الوزن فقيـل: كانت في الفـرس ثلاثـة أوزان: درهم على وزن المثقال عشرون قيراطاً، ودرهم إثنا عشر قيراطاً [3]، ودرهم عشرة، فلما احتيج في الإسلام إلى تقريره أخذ الأوسط من جميع الأوزان الثلاثة فكان أربعة عشر قيراطاً من قراريط المثقال. وقيل: إن عمر رأي الدراهم مختلفة فيها البغلي ثمانية دوانيق والطبري أربعة واليمنى دانق واحد. فلما نـظروا أغلب ما يتعامل الناس به من أعلاها وأدناها فكان البغلي والطبري فجمعا فكـانا اثنى عشر دانقاً، فـأخذ نصفهـا فكانت ستـة دوانيق، فجعله درهـم الإسلام.

٢ ـ المعنى اللفظي للوزن:

ذكر العلامة ابن منظور[4] عن الوزن ما يلي:

وزن : الوزن، روز الثقل والخفة. الليث: الوزن ثقل شيء بشيء مثله كأوزان الدراهم، ومثله الرزن، وزن الشيء وزناً وزنة.

قال أبو منصور: ورأيت العرب يسمون الأوزان التي يوزن بها التمر وغيره المسواة من الحجارة والحديد الموازين، واحدها ميزان وهي المثاقيل واحدها مثقال، ويقال للآلة التي يوزن بها الأشياء ميزان أيضاً، قال الجوهري: أصله موزان.

---

(١) في الأصل سطوجاً.

(٢) الأحكام السلطانية ص ١٠٥ أو ١١٩.

(٣) في الأصل: درهماً ولا يستقيم المعنى.

(٤) لسان العرب المحيط، للعلامة ابن منظور إعداد وتصنيف يوسف خياط ص ٩٢١ م.

وقال الله تعالى: ونضع الموازين القسط يريد نضع الميزان القسط. وفي التنزيل العزيز: والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون. وقوله تعالى: فأما من ثقلت موازينه وأما من خفت موانيه قال ثعلب: إنما المراد من ثقل وزنه أو خف وزنه. فجاء في التفسير: إنه ميزان له كفتان وإن الميزان أنزل في الدنيا ليتعامل الناس بالعدل وتوزن به الأعمال، وروى جويبر عن الضحكاك: إن الميزان العدل، قال: وذهب إلى قوله هذا وزن هذا، وإن لم يكن ما يوزن وتأويله أنه قد قام في النفس مساوياً لغيره كما يقوم الوزن في مرآه العين وقال بعضهم: الميزان الكتاب الذي فيه أعمال الخلق.

قال أبو العباس: قال ابن الأعرابي، تقول ما لفلان عندي وزن أي قدر لخسته، وقال غيره: معناه خفة موازينهم من الحسنات، ويقال: وزن فلان الدراهم وزناً بالميزان وإذا كاله فقد وزنه أيضاً. ويقال: وزن الشيء إذا قدره.

وقوله عز وجل: ﴿وأنبتنا فيها من كل شيء موزون﴾، جرى على وزن من قدر الله لا يحاوز ما قدره الله عليه لا يستطيع خلق زيادة فيه ولا نقصاناً، وقيل: (من كل شيء موزون)، أي من كل شيء يوزن نحو الحديد والرصاص والنحاس والزرنيخ، هذا قول الزجاج. وفي النهاية: فسر الموزون على وجهين: **أحدهما**: أن هذه الجواهر كلها مما يوزن مثل الرصاص والحديد والنحاس والثمنين أعني الذهب والفضة كأنه قصد كل شيء يوزن ولا يكال وقيل: معنى قوله من كل شيء موزون أنه القدر المعلوم وزنه وقدره عند الله تعالى والميزان: المقدار، وقام ميزان النهار أي انتصف، وفي الحديث: سبحان الله عد خلقه وزنه يزن وزنا وزنه.

والميزان: العدل. ووازنه: عادلة وقابلة. وهو وزنه وزنته ويوازنه ويوزانه أي قبالته.

وقد ذكر مجمع اللغة العربية عن الوزن ما يلي:

وزن:

(وزنوهم ـ وزنوا ـ وزناً ـ موزون ـ الميزان ـ الموازين ـ موازينه).

١ ـ وزن يزن وزناً يجيء لما يأتي:

أ ـ فيقال: وزن الشيء: قدّره بما يعادله في الثقل. ويقال: وزن لفلان الشيء ووزن فلاناً الشيء، كما يقال: شكرته وشكرت له.

ب ـ ويقال: هذا شيء يوزن أي نفيس يستحسن في حقه أن يوزن كالجواهر، ولا يكال كيلًا أو يؤخذ جزافاً. ومن هذا قيل الوزن للقدر والمكانة. تقول: فلان له وزن أي مكانة ومنزلة ولا يقام لعمل فلان وزن أي هو حقير لا يعبأ به.
وزنوهم: ﴿**وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون**﴾ ٣/ المطففين.
وزنوهم: وزنوا لهم.
وزنوا: ﴿**وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم**﴾ (٣٥) الإسراء، واللفظ في ١٨٢/ الشعراء.

الوزن: ﴿**الوزن يومئذ الحق**﴾ ٨/الأعراف المراد وزن الأعمال يوم القيامة وعند الجمهور أنه وزن حقيقي، ويرى بعضهم أن المراد القضاء والجزاء في ذلك اليوم واللفظ في ٩/الرحمٰن.

وزنا: ﴿**فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا**﴾ ١٠٥/الكهف، أي لا ينظر إلى أعمالهم ولا يعتد بها.

موزون: ﴿**وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون**﴾ ١٩/الحجر....،

---

(١) مجمع اللغة العربية ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم ـ تصدير د. إبراهيم مدكور رئيس المجمع ص ٧٢١، ٧٢٢.

موزون: يوزن كالجواهر أو مستحسن له وزن وقيمة أو مقدر بتقدير الله سبحانه.

٢ - الميزان يجمع على الموازين. ويجيء لما يلي:

أ - فالميزان: الآلة التي تقدر بها الأشياء بوضعها في كفة بإزاء صنجات مقدرة في كفة أخرى. ومنه الميزان الذي توزن به الأعمال يوم القيامة. ويرى بعضهم أن وزن الأعمال يوم القيامة تمثيل لتقدير الأعمال وإظهارها على رؤوس الأشهاد.

ب - والميزان: العدل والقسط في الأحكام والمعاملات.

جـ - والميزان: الشريعة التي يتناصف بها الناس وبها يقوم العدل بينهم، والميزان: يوزن به الصنجات.

الميزان: ﴿**وأوفوا الكيل والميزان بالقسط**﴾ ١٥٢/الأنعام.

﴿**فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم**﴾ ٨٥/الأعراف. الميزان هو المعروف وكذا ما في ٨٤/٨٥/هود.
﴿**الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان**﴾. ١٧/ الشورى.
والميزان: الآلة المعروفة أو الشريعة أو العدل.

﴿**والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان**﴾ ٧/٨/٩/الرحمٰن.
الميزان: الآلة أو العدل، وكذا ما في ٢٥/الحديد.

الموازين: ﴿**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة**﴾ ٤٧/الأنبياء.
الموازين الحقيقة، أو هو تمثيل لإظهاء الجزاء.

موازينه: ﴿**فمن ثقلت موازينهُ فأولئك هم المفلحون**﴾ ٨/الأعراف.

﴿**ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم**﴾، ٩/الأعراف. الموازين: جمع ميزان، وهو ما يوزن به من الآلة

أو الصنجات على ما تقدم أو جمع موزون. وهذا على سبيل الحقيقة أو المجاز، كما سبق واللفظ في ١٠٢/١٠٣/ المؤمنون و٦/٨/ القارعة.

٣ - تعريف الموازين

بين الله في كتابه العزيز الموازين وذكر الميزان حيث هو عرف ونظام اقتصادي تقاس به القيمة الحقيقية للبضاعة، وتعرف كميتها، ومن ثم يتحدد قيمة البضاعة...

وإن الميزان هو العدل ومعرفة الوزن الحقيقي للبضاعة حتى تتحقق العدالة والحق في ثمن البضاعة ووزنها.. ولهذا فإن الوزن له معايير ومقاييس محددة حددتها العلاقات الاقتصادية في كل بلد، وكذا العلاقات التجارية بين الشعوب، وعرفت بأسماء ومقاييس معينة تداولها التجار والمشترون، وبهذا فإن الوزن حقق العدالة الاقتصادية والقيمة الحقيقية للبضاعة.

٤ - خواص الموازين: -

لقد عرفت الموازين بخواص معينة وهي قضيب حديدي توضع في جنب منه البضاعة وفي الجناح الآخر الوحدة المحددة والمعينة للوزن... وبهذا يعرف نتيجة وزن هذه البضاعة، وبالتالي يمكن أن تحدد قيمة هذه البضاعة حسب أوزانها... ولقد اتخذت أوزان وأثقال معينة حددتها السلطات سواء من قبل الدولة أو التجار أو الأعراف بينهم بوزن أو بأوزان معينة لتحديد وزن البضاعة.

٥ - استعمال الموازين: -

استعمل الوزن في نوع من البضاعة المتجمدة الغير سائلة وسائبة أي أن البضاعة لها خواص وأشكال معينة يمكن وضعها على كفة الميزان وهي

متماسكة ذات وحدة وشكل معين.

كما استعمل الميزان في الأسواق في العصور القديمة لوزن البضاعة ذات الأحجام والأشكال المختلفة...

ولهذا فإن الشعوب استعملت الموازين حسب الأحجام ووزنها، وقد عرفت بينهم واتخذت طابعاً معيناً وصارت في استعمالاتها من الأعراف الاقتصادية في استعمال الموازين.

كذلك استعملت كلمة «وزن» في كتاب الله على أعمال الناس لأن جميع الأعمال بخيرها وشرها تقاس بالحق والقسط لمعرفة ما يستحقه الشخص من أعمال.

٦ - أنواع الموازين: -

لقد عرف في أسواق العالم منذ التاريخ حتى اليوم استعمال أنواع من الموازين المختلفة، ولها أسماء وأشكال وأحجام معينة كلها تؤدي إلى وزن البضاعة وإعطائها الصفة الحقيقية والمعلومة بوزن معين حتى تتحقق العدالة الإقتصادية في قيمة البضاعة لوزنها الحقيقي.

ومن ذلك يتبين لنا استعمال كلمة «وزن» لعمل الإنسان، كما جاء في كتاب ابن تيمية[1] عن كلمة «وزن» التي جاءت في بعض الأحاديث النبوية الشريفة... ما يلي: -

ومما يروون عنه أنه قال ﷺ: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الناس لرجح إيمان أبي بكر على ذلك».

فأجاب: الحمد لله. هذا جاء معناه في حديث معروف في السنن أن أبا بكر رضي الله عنه وزن هذه الأمة فرجح.

---

(١) الإمام ابن تيمية - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (الحديث) (جمع وترتيب عبد الرحمن بن القاسم وابنه محمد).
المجلد ١٨ - ص ٣٧٨، ٣٧٩.

ومما يروون أيضاً: «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا».

فأجاب: الحمد لله. هذا مأثور عن بعض السلف وهو كلام صحيح.

ثانياً ـ النظام الاقتصادي للمكاييل

وضعت قصة شعيب عليه السلام أحد المناهج الإسلامية في الاقتصاد الذي يعتبر الأساس في حياة الناس المعيشية اليومية إذ نحتاج إليه في تجارتنا وتعاملنا في الأسواق وهو المكاييل.. وقد أوضح الله تعالى في كتابه العزيز أن المكاييل من الأسس الاقتصادية لتحديد قيمة السلعة المراد بيعها وتقييم أثمانها كما جاء في قصة شعيب عليه السلام، وذكر في سورة هود: ﴿**ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير**﴾ آية (٨٤)، كذلك في سورة هود: ﴿**ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط**﴾ آية (٨٥). وفي سورة الأعراف: ﴿**أوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم**﴾ آية (٨٥)، وكذلك في سورة الشعراء: ﴿**أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين**﴾ آية (١٨١). وقد ذكر الله تعالى في سورة يوسف: ﴿**ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين**﴾ آية (٥٩)، وكذلك ورد في سورة يوسف: ﴿**قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون**﴾ آية (٦٣)، وكذلك ورد في سورة يوسف: ﴿**قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير**﴾ آية (٦٥)، وكذلك في سورة يوسف: ﴿**وجئنا ببضاعة مزجاة فأوفِ لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين**﴾ آية (٨٨).

وكذلك ذكر الله تعالى في سورة المطففين: ﴿**إذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون**﴾ الآية (٣).

وبهـذا أوضح الله تبـارك وتعالى لنـا أن المكاييـل هي أحـد الأسس الإسلامية التطبيقية في الاقتصاد لبناء المجتمع الإسلامي الذي تزينه الشريعة السمحاء المبنية على العدل وإعطاء كل ذي حق حقه.. وقد ورد في القرآن الكـريم في قصتي شعيب ويوسف عليهمـا السلام، وفي سـورة المـطففين تعاريف وتعاليم إسلامية لبناء اقتصادنـا ومجتمعنا الإسـلامي لتحقيق العدل والحق في الكيل والميزان بين الناس من أجل تحقيق العـدالة الإسـلامية الاجتماعية.

وفيمـا يلي نقـدم للقـارىء الأسس والقـواعـد الإسـلاميـة لتعـريف المكاييل... إلا أنه ينبغي أن نشير إلى الآيات القرآنية الكريمة التي وردت في شأن الكيل على أن نتبع ذلك ببعض الأحاديث النبويـة الشريفـة التي تتصل بموضوع الدراسة...

١ ـ آيات القرآن الكريم والموضوعات التي ذكرت كلمة «الكيل»:

ذكر الله تعالى كلمة «الكيل» في كتابه العزيز في سور مختلفة، ويبدو معنى الكيل في صورة موحدة، وللكلمة مواصفات معينة. . . أما المعنى اللفظي للوزن كما ذكر في القرآن الكريم فإن معناها إما معنوي لتصرف الإنسان أو مادي لقياس الموزون، وعندما نطالع الموضوعات التي تحدثت عن معرفة الكيل نأتي إلى ما يلي: ـ

أعمال وتصرف الإنسان: ـ

قال الله ﷻ تعالى في سورة يوسف (الآيات: ٥٩، ٦٠، ٦٣، ٦٥):

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَـٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَـٰذِهِۦ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾.

تحليـــل: :

بين الله تعالى في قصة يوسف عليه السلام مثالاً في اقتصادنا التطبيقي العملي بالمحافظة على حدود وشرع الله عز وجل في كيله للناس، وهـذا

المثل الحي بإيفاء الكيل بل ويزيد في كيله... فهذا هو الاقتصاد التطبيقي بالنسبة لكيل يوسف عليه السلام وتصرفه مع الناس، ليعطينا في التاريخ الاقتصادي نموذجاً حياً لعملية اقتصادية في مرونة التجارة وحريتها في الكيل للسلع الاقتصادية، وفي عملية العرض والطلب في إشباع السوق وسد احتياجاته للسلعة وعدم احتكاره لها... فهذا هو الاقتصاد التطبيقي العملي لبناء مجتمع إسلامي.

الإستقرار الاقتصادي في البلاد: -

قال الله تعالى في سورة يوسف - الآية (٨٨):

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾

تحليل: -

من ذلك يتضح من خلال قصة يوسف عليه السلام مدى أهمية الاستقرار الاقتصادي الذي كان يسود مجتمعه في ذلك الوقت حيث أن إيفاءه الكيل في القمح يعطينا مدلولاً اقتصادياً عن عدم احتكار يوسف عليه السلام للسلعة الاقتصادية الهامة وهي القمح.. فقد كان الوحيد المتصرف في بيع كل ما يعرض في السوق من تلك السلعة الإستراتيجية، وهذا يعطينا تغيراً اقتصادياً للتاريخ من قصص القرآن الكريم، وتطبيق حدود الله تعالى وشرعه في الكيل وانتعاش الأسواق وازدهار التجارة الداخلية والدولية رغم الأزمة الزراعية التي كانت تمر بها البلاد، وأن الحكومة في عهد يوسف عليه السلام لم تحتكر الصنف، وهذا يدل على مرونة في العرض والطلب لإشباع السوق وعدم تعرض المجتمع للاختناق.

التشريع الإلهي بإيفاء الكيل والميزان : -

قال الله تعالى في سورة الإسراء - الآية (٣٥).

﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾.

وقال تعالى في سورة الشعراء - الآية (١٨١).

﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾.

وقال تعالى في سورة هود - الآيتان (٨٤، ٨٥).

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

كما قال تعالى في سورة الأنعام - الآية (١٥٢).

﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾.

تحليـــل : -:

تحدثنا في تحليلنا السابق عن إيفاء الكيل والميزان والتشريع الإلهي وحدوده، لأن الإيفاء بالمعنى الاقتصادي في الشرع هو تطبيق حدود الله تعالى في تفاصيل العملية الاقتصادية التطبيقية لكل من الكيل والوزن واتباع الأمانة فيما أؤتمن به. . . وتحقيق العدل والقسط في وزن السلعة الاقتصادية وتحديد كميتها.

الحدود الشرعية للكيل: -

قال الله تعالى في سورة المطففين (الآيتان ٢، ٣):

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾.

تحليــل: -:

إن حدود الشرع في اقتصادنا التطبيقي للناس فيما يختص بكيلهم ووزنهم وهو أن الكيل ينبغي أن يكون سليماً بدون الغش التجاري أو الخداع في عملية الوزن، ويكون صحيحاً ومتساوياً دون نقص أو زيادة.. فمن الأفضل أن يحسن الإنسان التصرف حتى ينعكس ذلك على المجتمع فيصبح نحو الاقتصاد سليماً صحيحاً...

ثانياً: الأحاديث النبوية

في كتاب «سنن ابن ماجه»[1] عن الكيل ما يلي: -

٢٢٥٠ - حدثنا هشام بن عمار، قال: حدثنا إسماعيل بن عياش، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمٰن اليحصبي، عن عبد الله بن بسر المازني، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه».

وقد جاء في كتاب الأموال للإمام الحافظ الحجة أبي عبيد القاسم بن سلام فيما يتعلق بالمكاييل ما يلي: -

١٥٦٨ - قال أبو عبيد: وَجدْنا الآثارَ قد نقلت عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين بعدهم بثمانية أصنافٍ من المكاييل: الصاع، والمد، والفرق، والقسط، والمدى، والمختوم، والقفيز، والمكوكِ. إلا أن عظم ذلك في المدّ والصاع.

١٥٦٩ - قال: وحدثنا يحيى بن سعيد عن موسى بن عبد الله قال: كنتُ عند مجاهدَ فأتَى بإناء يسع ثمانية أرطال، أو تسعة، أو عشرة[2]. فقال: قالت عائشة: «كان رسول الله ﷺ يغتسل بمثل هذا».

١٥٨٠ - قال: حدثنا شريك عن موسى الجهني قال: أتى مجاهد بإناءٍ

(١) «سنن ابن ماجه» - الجزء الثاني - ص ٢١.
(٢) كتاب الأموال للإمام الحافظ الحجة أبي عبيد القاسم بن سلام، المتوفى سنة ٢٢٤ هـ، تحقيق وتعليق محمد خليل هراس - ص ٦١٧ حتى ص ٦٢٩.
(٣) أو هنا شك من موسى في مقدار سعة الإناء.

يسع ثمانيةَ أرطال. فقال: حدثتنا عائشة: «أن رسول اللّهُ ﷺ، كان يغتسل بمثل هذا».

١٥٨١ ـ قال أبو عبيد: وحدثت عنه عن عبد الله بن عيسى ابن جبر الأنصاري عن أنس بن مالك: «أن رسول الله ﷺ كان يتوضأ برطلين[٣]».

١٥٨٢ ـ قال أبو عبيد: فجاءت هذه الأحاديث في الغسل بألفاظ يتوهم السامع أنها مختلفةُ المعاني لاختلاف لفظها. وليست كذلك، ولكن المعنى فيها كلها إنما يدور على وقتين من الماء[٤] أقصاهما ثمانية أرطال، وأدناهما صاع، وهو خمسة أرطال وثلث. وسائر هذه الأحاديث إنما ترجعَ إلى أحدهما، لا يخلو من ذلكَ لمن عرفه.

فكان غسله ﷺ إنما يتردد فيما بين هذين الوقتين على قدر ما يحضره من الماء، غير أنهُ لا ينتقص من الصاع. وهوَ خمسة أرطال وثلث، ولا يزيد على صاع ونصف، وهو ثمانية أرطال.

١٥٨٣ ـ فمن الثمانية ما ذكرنا من الأحاديث في الفرق بينه وبين عائشة جميعاً، وذلك أن الفرق ثلاثة آصع[٥]، وهي ستة عشر رطلاً. فكان لكل واحد منهما ثمانية.

١٥٨٤ ـ فكذلك الأحاديث التي ذكرناها في الأقساط هي مثل الفرق سواء، وذلك أن القسط نصف صاع وتفسيره في الحديث نفسه، حين ذكر الفرق، فقال: «وهو ستة أقساط» فرجع معناه إلى الثمانيةَ أيضاً.

١٥٨٥ ـ وأما الذي ذكر فيه الأمداد الخمسة، يغتسل بها وحده، فهو مثل الأحاديث التي ذكرناها في الغسل بالصاع، والوضوء بالمد. وذلك أنه كان يتوضأ قبل الغسل بمد. ثم يغتسل بعد ذلك بالصاع، وهو أربعةُ أمدادَ. فتلك خمسة لاغتساله خاصةَ.

---

(١) وهما يساويان المد أو يزيدان قليلاً.

(٢) يعني حالتين في استعمال الماء.

(٣) جمع قلة لصاع ويجمع أيضاً على صيعان.

١٦١٢ ـ قال: حدثني حسان بن عبد الله عن مسلم بن خالد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى عن كعب بن عَجرةَ عن النبي ﷺ في هذا الحديث: «أنه أمره أن يطعمَ ستةَ مساكين: فرقاً من طعام».

قال أبو عبيد: فقد تبين الآن أنه ثلاثةُ آصعٍ، لأن لكل مسكين نصفَ صاع، وهو بين في حديث آخر أيضاً.

١٦١٣ ـ قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن داود بن أبي هند عن الشعبيّ: أن رسول الله ﷺ قال لكعب بن عجرةَ: «هل معك من دمٍ؟ قال: لا. قال: فإن شئت نصم ثلاثة أيامٍ، وإن شئتَ فتصدق بثلاثةِ آصعٍ تمراً، بين ستة مساكين، لكل مسكين نصفُ صاع، واحلق رأسك»[1].

١٦١٤ ـ قال أبو عبيد: فقد وضحَ الآن أن الفرقَ ثلاثةُ آصعٍ، إذ كان في حديث مسلم بن خالد، وحديث سفيان: «أطعم فرقاً»، وقال ههنا أطعم ثلاثة آصع».

ومما يزيده وضوحاً حديث يروى عن مجاهد.

١٦١٥ ـ قال، حدثني عبد الرحمٰن بن مَهدي عن حماد بن زيد عن يحيى بن عتيق قال: سألت مجاهداً عن كفارةِ اليمين؟ فقال: «فرق بين عشرةٍ»، قال: فذكرت ذلك للحسن بنُ مسلم، فقال: مدان لأَدْامه وحطبه[2].

١٦١٦ ـ قال أبو عبيد: ففسر عبد الرحمٰن هذا الحديث قال: معناه أن مذهب مجاهد: أن لكل مسكين مداً في كفارة اليمين. قال: والفرق ثلاثة آصع والصاع أربعة أمداد. إثنا عشر مداً فتقسم هذه كلها بينَ عشرةِ

(١) هذا الحديث يفيد أنه إذا وجد الدم لا يجوز الصيام ولا الإطعام وهو يخالف التخيير في الآية.

(٢) يعني: أن الواجب عشرة أمداد لكل مسكين مد ولكنه يزيدهم مدين من أجل الإدام والحطب.

مساكين، فيكون عشرة منا لطعامهم، لكل واحدٍ مد، ويكون المدان زيادةً متفرقة بينهم، لما يلزم الطعام من مؤونة الأدمِ والحطبِ.

قال أبو عبيد: وهذا الذي أراد الحسن بن مسلمٍ.

١٦١٧ ـ قال أبو عبيد: فعلى هذا الصاع الذي فسرناه[١] تدور أحكام المسلمين في كل ما ينوبهم من أمرِ الكيل في دينهم: من ذلك زكاة الأرضين، وصدقة الفطر، وكفارة اليمين، وفدية النسك.

وقد عايرت مكيالنا هَذا الملجم[٢]، الذي يعتمله الناس اليومَ، فإذا هو صاعان ونصف. وذلكَ عشرة أمداد إذا مَسحت أعلاه، على ما يكال اليوم في الأسواق.

تحليـــل: ـ:

١ ـ أوضحت لنا الأحاديث النبوية الشريفة السابقة مقدار كمية الماء الذي كان يستخدمه رسول الله ﷺ في الوضوء والغسل. ومن هذا نتعلم درساً إسلامياً بالغ الأهمية فيما يتعلق بتحديد كمية الماء والاقتصاد في استخدامه وعدم الإسراف في استعماله، كما لا نقتر فيه فينعكس ذلك على الجانب الاقتصادي في كمية الماء المنصرفة في القرية أو المدينة وتحديد استهلاكها في كل وقت للصلاة، الأمر الذي يؤثر على المصلحة العامة خاصة فيما يتعلق باقتصاديات البلد.

٢ ـ حددت السنة النبوية المطهرة حجم الكيل وأنواعه ومسمياته والفروق بينها حتى يتسنى على كل مسلم أن يعرف طريقه من خلالها، وكذا الأعمال التي تختص بالزكاة والصدقة، وبالتالي تستقيم حياة كل مسلم إذا ما عرف حدوده وطبق شرع الله بالإستقامة والطاعة والتقوى. وذلك مما أدى إلى الاستقرار الاقتصادي لمجتمعنا الإسلامي ومعرفة الحرية

---

(١) يعني قدرناه بخمسة أرطال وثلث.

(٢) قال في المنجد: (المكيال الملجم صاعان ونصف وهو عشرة أمداد).

الاقتصادية والتجارية والسير على خطى سليمة في التنمية الاقتصادية في ظل الشريعة السمحاء والسنة المطهرة.

٣ - حدد التشريع الإسلامي والسنة النبوية حدود استعمال الكيل في أرزاقنا وإباحته، وأن نبتعد عن المقايضة لأن ذلك فيه استقرار للإقتصاد ومعرفة الحدود الشرعية للتبادل التجاري من مقدار وحجم ونوع الوزن والكيل والصفات الأساسية لكل منهما.

٢ - المعنى اللفظي للكيل:

ذكر العلامة ابن منظور[١] عن الكيل ما يلي:

الكيل: المكيال، وغيره، الكيل كيل البر ونحوه، وهو مصدر كال الطعام ونحوه يكيل كيلاً.

واكتاله وكاله طعامه وكاله له، قال سيبويه: اكتل يكون على الإتحاد وعلى المطاوعة: قوله تعالى: ﴿**الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون**﴾.... أي اكتالوا منهم لأنفسهم، قال ثعلب: معناه من الناس، والإسم الكيلة بالكسر مثل الجلسة والركبة. واكتلت من فلان واكتلت عليه وكلت فلاناً طعاماً... أي كلت له، قال الله تعالى: ﴿**وإذا كالوهم أو وزنوهم**﴾، أي كالوا لهم. وفي المثل: احشفا وسوء كيله؟ أي اتجمع على أن يكون المكيل حشفاً وأن يكون الكيل مطففاً.

الليث: المكيال ما يكال به، حديداً كان أو خشباً. واكتلت عليه: أخذت منه. يقال: كال المعطي واكتال الآخذ، والكيل والمكيل والمكيال والمكيلة: ما كيل به، الأخيرة نادرة. ورجل كيال: من الكيل،حكاه سيبويه في الإمالة، وكان الدراهم والدنانير/ وزنها.

ويقال: كل هذه الدراهم يريدون وزن. وقال مرة: كل ما وزن فقد كيل.

---

(١) لسان العرب المحيط - للعلامة ابن منظور إعداد وتصنيف يوسف خياط ص ٣٢٣ م ٣.

وفي حديث عمر رضي الله عنه: أنه نهى عن المكايلة وهي المقايسة بالقول والفعل، والمراد المكافأة السوء وترك الإغضاء والإحتمال أي تقول له وتفعل معه مثل ما يقول لك ويفعل معك، وهي مفاعلة من الكيل.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: المكيال مكيال أهل المدينة والميزان ميزان أهل مكة، قال أبو عبيدة: يقال إن هذا الحديث أصل لكل شيء من الكيل والوزن وإنما يأتم الناس فيهما بأهل مكة وأهل المدينة، وإن تغير ذلك في سائر الأمصار ألا ترى أن أصل التمر بالمدينة كيل وهو يوزن في كثير من الأمصار، وأن السمن عندهم وزن وهو كيل في كثير من الأمصار؟

والوزن أن كل ما لزمه اسم المختوم والقفير والمكوك والمد والصاع فهو كيل، وكل ما لزمه اسم الأرطال والأواقي والأمناء فهو وزن، قال أبو منصور/ والتمر أصله الكيل فلا يجوز أن يباع منه رطل برطل ولا وزن بوزن لأنه إذا رد بعد الوزن إلى الكيل تفاضل إنما يباع منه كيلاً بكيل سواء براءه، وكذلك ما كان أصله موزوناً فإنه لا يجوز أن يباع منه كيل بكيل لأنه إذا رد إلى الوزن لم يؤمن فيه التفاضل قال: وإنما احتيج إلى هذا الحديث لهذا المعنى، ولا يتهافت الناس في الربا الذي نهى الله عز وجل عنه، وكل ما كان في عهد النبي ﷺ، بمكة والمدينة مكيلاً فلا يباع إلا بالكيل وكل ما كان بها موزوناً فلا يباع إلا بالوزن لئلا يدخله الربا بالتفاضل، وهذا في كل نوع يتعلق به أحكام الشرع من حقوق الله تعالى دون ما يتعامل به الناس في بياعاتهم، فأما المكيال فهو الصاع الذي يتعلق به وجوب الزكاة والكفارات والنفقات وغير ذلك، وهو مقدر بكيل أهل المدينة دون غيرها من البلدان، فهذا الحديث، وهو مفعال من الكيل والميم فيه للآلة، وأما الوزن فيريد به الذهب والفضة خاصة لأن حق الزكاة يتعلق بهما، ودرهم أهل مكة ستة درانيق، ودراهم الإسلام المعدلة كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل، وكان أهل المدينة يتعاملون بالدراهم عند مقدم سيدنا رسول الله ﷺ بالعدد فأرشدهم إلى وزن مكة، وأما الدنانير فكانت تحمل إلى العرب من الروم إلى أن ضرب عبد الملك بن مروان الدينار في أيامه، وأما الأرطال والأمناء فللناس فيها عادات مختلفة في البلدان وهم معاملون بها محرون عليها.

وقد ذكر مجمع[1] اللغة العربية عن الكيل ما يلي:

ك ي ل.

(كالوهم ـ كلتم ـ اكتالوا ـ نكتل ـ الكيل ـ المكيال).

١ ـ كال القمح ونحوه بكيله كيلاً: قدره بمكيال. أي وعاء مصطلح على التقدير به.

ويقال: كلت المشتري القمح: أعطيته إياه مقدراً بالكيل.

٢ ـ اكتال القمح ونحوه: اشتراه كيلاً. ويقال: اكتال عليه القمح ونحوه: اشتراه منه كيلاً.

كالوهم: ﴿**وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون**﴾ ٣/المطففين، أي إذا باعوا الناس القمح ونحو ذلك مقدراً بالكيل.

كلتم: ﴿**وأوفوا الكيل إذا كلتم**﴾ ٣٥/الإسراء، أي إذا بعتم الأشياء مقدرة بالكيل.

اكتالوا: ﴿**الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون**﴾ ٢/المطففين، أي اشتروا من الناس القمح ونحوه كيلاً.

نكتل: ﴿**فأرسل معنا أخانا نكتل**﴾ ٦٣/ يوسف، أي نحصل على ما نحتاج إليه مقدراً بالكيل.

٣ ـ الكيل.

أ ـ الكيل بمعناه المصدري تقدير القمح ونحوه بمكيال معين، أو بيع القمح ونحوه مقدراً بمكيال.

ب ـ الكيل: ما يكال من قمح ونحوه، وهو بهذا المعنى من قبيل إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول مثل خلق بمعنى مخلوق، وزرع بمعنى مزروع.

(١) مجمع اللغة العربية ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم ـ تصدير د. إبراهيم مدكور رئيس المجمع ص ٥٨٢ ـ ٥٨٣.

الكيل: ﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط﴾، ١٥٢/الأنعام، أي اجعلوا تقديركم لما تكيلون تقديراً وافياً عادلاً، واللفظ بهذا المعنى في ٨٥/الأعراف و٥٩/٨٨/يوسف و٣٥/الإسراء، و١٨١/الشعراء و: ﴿فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي﴾ ٦٠/يوسف، أي فليس عندي ما أكيله لكم، واللفظ بهذا المعنى في ٦٣/٦٥ (مكرر) يوسف أيضاً.

جـ ـ الكيل: الوعاء الذي يكال به، وبذلك فسرت الآيتان السابقتان ١٥٢/الأنعام و٨٥/الأعراف.

د ـ المكيال/ الوعاء الذي يكال به.

المكيال: ﴿ولا تنقصوا المكيال والميزان﴾ ٨٤/هود، أي لا تنقصوا ما تكيلون به شيئاً مما يسعه واللفظ في ٨٥/هود أيضاً.

وقيل أن المراد هنا هو ما يكال من قمح ونحوه، وعلى هذا يكون المعنى: ولا تبيعوا القمح وغيره ناقصاً أقل مما يستحقه المشتري، وقيل: المراد هو الكيل نفسه والله أعلم.

٣ ـ تعريف المكاييل

إن المكاييل عبارة عن وحدة اقتصادية معينة لقياس وزن معين ومقدار وحجم معين، وقد اتخذ اسم الوزن الاقتصادي لقياس المحاصيل الاقتصادية بالمكيال حيث أن بعض المحاصيل الزراعية الاقتصادية لا توزن إلا بهذه المكاييل ذات الأحجام المختلفة التي حددت السلطة لها مقاييس معينة من المكاييل، وتعارف أهل الاقتصاد من التجار في الأسواق على هذه المقاييس من المكاييل وبالتالي تحديد مقاييس المكاييل يمكن التجار من تحديد قيمة وثمن كل مكيال.

٤ ـ خواص المكاييل:

لقد استعمل المكيال في تقييم القمح والغلال المعطاة من صوامع

الغلال، وبهذا حددت خواص المكيال بحجم معين وبشكل معين، وبالتالي فإن المكيال خواصه عرفها التاجر والمشتري وحددت ثمن البضاعة حسب المكيال حيث أن خواص البضاعة التي توزن في المكيال هي بضاعة سائلة غير متجمدة كالزيت والقمح والشعير والحبوب فهي بضاعة غير متماسكة، لذلك استعمل نظام المكاييل لخواص معينة ولاستعمالات معينة من البضاعة.

٥ ـ استعمال المكاييل: ـ

إن استعمال مكيال القمح لا يصلح إلا سواه في تكييل بضاعة معينة من الموارد الزراعية كالقمح والشعير والأرز والذرة، وكذلك المواد السائلة كالسمن والزيت وغير ذلك من الإستعمالات التي لا تصلح إلا باستعمال المكيال الذي له خواص وشكل معين اعتمدته الدولة بمقاييس معينة وصار عرفاً بين التجار.

٦ ـ أنواع المكاييل: ـ

إن المكاييل قد اعتمدتها الدولة وصارت عرفاً بين التجار والمشترين، ولهذا أصبح لها أشكال وأنواع منها الصغير والأوسط والأكبر، وقد حددت الدولة هذه الأنواع من المكاييل ليتوازن ثمن البضاعة بقيمتها حسب وزنها الحقيقي ولتعطى العدالة الاقتصادية بين البائع والمشتري.

وعندما تقرأ الأحاديث النبوية الشريفة التي تحدثت عن أنواع وخواص المكاييل نأتي إلى ما جاء في كتاب الأموال للحافظ الحجة أبي عبيد القاسم بن سلام: ـ

١٥٦٨ ـ قال أبو عبيد: وجَدْنا الآثارَ قد نقلت عن النبي ﷺ وأصحابه والتابعين بعدهم بثمانية أصنافٍ من المكاييل: الصاع، والمد، والفرق، والقسط، والمدى، والمختوم، والقفيز، والمكوكِ. إلَا أن عظم ذلك في المد والصاع.

١٥٨٨ ـ فإن الأشجعي حدثنا عن سفْيان عن خالد عن أبي قلابةَ قال: «الوسق ستون صاعاً».

١٥٨٩ ـ قال: حدثنا هشيم عن يونس عن الحسن. ومغيرةُ عن إبراهيم قالا: الوسق ستون صاعاً[1].

١٥٩٠ ـ قال: وحدثنا معاذ عن أشعث عن الحسن وابن سيرين قالا: «الوسق ستون صاعاً».

١٥٩١ ـ قال: حدثنا محمد بن عبيد عن إدريس الأودي عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن أبي سعيد الخدري ـ رفعه ـ قال: «ليس في أقلَّ من خمسة أوسق صدقة. والوسق ستون مختوماً».

قال أبو عبيد والمختوم ها هنا هو الصاع بعينه، وإنما سمي مختوماً لأن الأمراء جعلت على أعلاه خاتماً مطبوعاً لئلا يزاد فيه، ولا ينتقص منهُ.

وقد اختلف أهل الحجاز وأهل العراق في مبلغ الصاع: كم هُوَ؟

١٥٩٢ ـ فحدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني عن الحجاج بن أرطأة عن الحكم عن إبراهيم قال: «كان صاع النبي ﷺ ثمانية أرطال، ومده رطلين[2].

١٥٩٣ ـ قال أبو عبيد: وكان شريك بن عبد الله يقول: «الصاع أقل من ثمانية أرطال، وأكثر من سبعةٍ».

١٦٠٥ ـ قال أبو عبيد: وهذا هو الذي عليه العملُ عندي. لأني مع اجتماع قول أهل الحجاز عليه ـ تدبرته في حديث يروى عن عمر، فوجدته موافقاً لقولهم.

١٥٩٤ ـ قال: وبلغني عن جرير بن عبد الحميد عن يزيد بن أبي زياد

---

(١) فيكون أقل نصاب الزرع ثلاثمائة صاع.

(٢) وهذا موافق للأحاديث التي ذكرت أنه كان يغتسل بإناء يسع ويتوضأ برطلين وهما يساويان مداً كما قدمنا.

عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى أنه قال: «الصاع يريد على الحجاجي[1] مكيالاً».

١٥٩٥ ـ وكان ابنه محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى قاضي الكوفة يقول: الصاع مثل الحجاجي أو أرجح شيئاً.

١٥٩٦ ـ وأما سفيان فكان يقول: هو مثل القفيز الحجاجي، ولم يصفه بزيادة عليه ولا نقصان.

١٥٩٧ ـ قال أبو عبيدَ: والحجاجبي قفيز كل الحجاج بن يوسف اتخذه على صاع عمر. كذلك يروى عنهُ.

١٥٩٨ ـ قال: حدثني عبد الله بن داود عن علي بن صالح بن حي عن أبي إسحاق موسى بن طلحة قال. القفيز الحجاجي صاعُ عمر.

١٥٩٩ ـ قال، وحدثني عبد الله بن داود عن الحسن بن صالح بن حي عن مجاهد عن الشعبي قال: القفيز الحجاجيُّ صاع عمر.

١٦٠٠ ـ قال أبو عبيد. وسمعت محمداً[2] غير مرة يقول: الحجاجي هو ربع الهاشمي، وهو ثمانيةُ أرطال.

١٦٠١ ـ قال أبو عبيد: وإنما ترى أهل العراق ذهبوا إلى أنَّ الصاع ثمانية أرطال لأنهم سمعوا أنّ النبي ﷺ كان يغتسل بالصاع. وسمعوا في حديث آخر. أنه كان يغتسل بثمانية أرطال. وفي حديثٍ آخر. أنه كان يتوضأ برطلين. فتوهموا أن الصاع ثمانية أرطال لهذا.

وقد اضطرب مع هذا قولهم. فجعلوه أنقص من ذلكَ.

١٦٠٢ ـ وأما أهل الحجاز فلا اختلاف بينهم فيه أعلمه. أن الصاع عندهم خمسة أرطال وثلث، يعرفه عالمهم وجاهلهم، ويباع في أسواقهم، ويحمل علمه قرن عن قرن.

---

(١) نسبة إلى الحجاج بن يوسف الثقفي أمير العراق لعبد الملك بن مروان.
(٢) هو محمد بـن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة.

١٦٠٤ ـ وبه كان يفتي يزيد بن هارون.

١٦١٨ ـ فأما زكاة الأرضين فإنها إذا كانت بهذا المكوك عشرين ومائة من حنطة أو شعير، أو تمر، أو زبيب: وجبت فيها الزكاة، فإن كان سقيها بغلاً أو غيلاً: فالعشر وإن كان بالنواضح والغرب فنصف العشر. وذلك لأنّ الزكاة تجب في خمسة أوسق، والوسق ستون صاعاً. فجميعها ثلثمائة صاع، وهي عشرون ومائة مكوك، لأنه كما أعلمتك ـ صاعان ونصف. ومبلغها من أقفزتنا هذه خمسة عشر قفيزاً سواء. فهذه صدقة الأرضين.

١٦١٩ ـ وأما زكاة الفطر فإن صاحبها فيها بالخيار، إن شاءَ جعلها براً، وإن شاء جعلها تمراً، أو شعيراً، أو زبيباً، فإن اختار التمر، أو الشعير، أو الزبيب، فإن هذا المكوكَ، يجزِي عن نفسين ونصف، لأنه صاعان ونصف. وإن اختارَ البر، فإن أحب الأمرينِ إلى له أنْ لا ينتقص من مكيلة الصاع شيئاً. لأن أكثر الآثارِ عليه[1]، وهو أفضلَ عندي من التمر والشعير. وإن جعله نصف صاعُ بُرٍ كان مجزياً عنه. لأنه قد أفتى به عدة من أهل العلم وصاعُ تمر، أو صاع شعير، أحب إليَّ من نصف صاع بر، وإن كان مجزياً. لأنه هو أشد موافقة للإتباع[2].

---

(١) ولا شك أن أهل الحجاز أعلم بهذا من أهل العراق، ولهذا رجع الصاحبان محمد وأبو يوسف إلى قول مالك، وقال محمد لمالك: لو سمع أبو حنيفة ما سمعت لرجع.

(٢) روى الجماعة عن أبي سعيد: (كنا نخرج زكاة الفطر إذ كان فينا رسول الله ﷺ صاعاً من طعام أو صاعاً تمر أو صاعاً من شعير أو صعاً من زبيب أو صاعاً من أقط، فلم نزل كذلك حتى قدم علينا معاوية المدينة فقال: إني لأرى مدين من سمراء الشام يعدل طعاماً من تمر، فأخذ الناس بذلك، قالوا أبو سعيد أما أنا فلا أزال أخرجه كما كنت أخرجه).

(٣) قال النووي: تمسك بقول معاوية من قال بالمدين من الحنطة، وفيه نظر لأنه فعل صحابي قد خالف فيه أبوسعيد وغيره ممن هو أطول صحبة منه وأعلم بحال النبي ﷺ وقد صرح بأنه رأى رآه لا أنه سمعه من النبي ﷺ، قال ابن المنذر: لا نعلم في القمح خبراً ثابتاً عن النبي ﷺ يعتمد عليه.

١٦٢٣ ـ قال أبو عبيد: فقد فسرنا ما في الصاع من السنن، وهو كما أعلمتك خمسة أرطال وثلث. والمد ربعُه، وهو رطل وثلث. وذلك برطلنا هذا الذي وزنه مائةُ درهم وثمانية وعشرون درهماً، ووزن في الدراهم. ومعرفة وزنها علم أيضاً.

تحليـــل: ـ:

من خلال الأحاديث النبوية الشريفة عرفنا أنواع المكاييـل ومقدارهـا وحجمها وخواصها والفرق بين كل منها، وهكذا تؤكد الشريعة الإسـلامية السمحة تحـديـد مقـدار المـراد تكييله أو وزنـه وفق شــرع وحـدود الله عز وجل. . .

ثالثاً: الصفات العامة للموازين والمكاييل والفرق بينهما

لقد أعطت قصة شعيب عليه السلام مدلولات وتعاريف إسلامية في الاقتصاد حيث ذكر الميزان وتبعه الكيل.. وبهذا بين الله تعالى لنا أنه يوجد فرق في الميزان والكيل حيث أن كل واحد منهما له استعمالاته الخاصة ومدلوله وخواصه وأنواعه.. ولهذا ذكر في القرآن الكريم كل نوع قائم بذاته...

ومن ذلك يتضح أن الميزان له استعمالاته الخاصة، حيث أن الميزان يوزن فيه البضائع المتماسكة المتينة ذو شكل ومقاس محدود، كذلك توزن أعمال الناس كوحدة قياسية... أما المكيال فله صفات أيضاً معينة وخواص واستعمالات مختلفة عن الميزان حيث أن استعماله في البضائع التي لها وزن أو حجم غير متماسك مثلاً كالحبوب والغلال... ولهذا يستعمل المكيال فيها والتي بينها الله تعالى لنا في سورة يوسف حيث كان استعمالهم للمكيال.

بين الله تعالى في مجال المكاييل والموازين أموراً يتحقق فيها الحق والعدالة الاقتصادية بين البائع والمشتري وذلك بوزن أو كيل البضاعة ومعرفة وزنها وتقدير قيمتها حتى يتسنى وضع سعر هذه البضاعة بعد معرفة وزنها أو كيلها.

وفيما يلي بعض الفروق بين المكاييل والموازين، وأهمها: -

١ - المكاييل من قصة يوسف عليه السلام ذكر المكيال في مجال وزن

الحبوب، فله طابع معين يختلف عن الميزان أي أن الحبوب لا نقدر أن نزنها بالميزان لأن الحبوب بضاعة سائلة أي غير متماسكة وليس لها شكل معين نستطيع معها أن نضعها منفردة في الميزان، ولذلك وضعت في المكيال.

ومعنى ذلك أن المكيال له شكل وخواص معينة كما ذكر الله تعالى: ﴿قالوا نفقد صواع الملك...﴾ الآية (٧٢) من سورة يوسف، أي أن المكيال وحدة متماسكة له شكل معين يستعمل في الحبوب ومثيلها من الأرزاق.

٢ - كذلك عندما يذكر الميزان وذكر المكيال فمعنى ذلك أن الميزان يؤخذ بالمعنى اللغوي العدل ومعرفة الحقيقة لوزن البضاعة، أما عن استعماله فإنه يستعمل في المواد المتجمدة التي لها أشكال معينة وهي بعكس استعمالات المكيال كما ذكرت قصة يوسف.

٣ - عندما ذكر الله تعالى المكيال بكيلة الحبوب وكذلك استعمال الميزان نجد أنهما يؤديان إلى غرض اقتصادي حقيقي وهو قياس قيمة البضاعة ومعرفة وزنها وتقدير ثمنها حسب حجم البضاعة.

٤ - ولهذا فإن المكيال والميزان وحدتان اقتصاديتان أساسيتان تستعملان لوزن البضاعة ومعرفة حجم وزنها ومقداره حتى يتسنى تقدير وزن البضاعة ومن ثم معرفة قيمتها أي أنهما يتفقان في تحقيق وزن البضاعة.

٥ - لقد اتخذت أشكال وأنواع عديدة من الموازين والمكاييل في الأسواق وبين الشعوب سواء من عصر يوسف عليه السلام أو قبله منذ أن وطىء آدم والبشر الأرض حتى وقتنا الحالي، وهو يستعمل أنواعاً متعددة من الموازين والمكاييل، ولها أسماء معينة ولكنها كلها تؤدي إلى تحقيق ومعرفة الوزن الحقيقي للبضاعة.

٦ - تبين من قصة يوسف عليه السلام استعماله المكاييل في التجارة بين

الشعوب المجاورة، وهذا يعطينا أن الموازين والمكاييل كانت تستعمل في التجارة الداخلية والتجارة الخارجية بين شعوب الأرض.

وقد جاء في كتاب الأموال للإمام الحافظ الحجة أبي عبيد القاسم بن سلام:

١٦٠٦ - حدثني ابن بكير عن الليث بن سعد عن كثير بن فرقد ومحمد بن غنج عن نافع عن أسلم. «أن عمر ضرب الجزية على أهل الذهب أربعة دنانير وأرزاق المسلمين من الحنطة مديين وثلاثة أقساط زيت لكل إنسان كل شهر، وعلى أهل الورق أربعين درهماً وخمسة عشر صاعاً لكل إنسان. ولا أحفظ ما ذكر ما في الودك».

قال أبو عبيد: فنظرت في حديث عمر هذا، فإذا هو قد عدل أربعين درهماً بأربعة دنانير، لأن أصل الدنانير أن يعدل الدينار بعشرة دراهم. وكذلك عدل مديين من طعام بخمسة عشر صاعاً. وجعلها موازينة لهما، فغايرت الأمداد والصيعان وجمعت بينها، ثم اعتبرتها بالوزن فوجدت المديين نيفاً وثلاثين رطلاً. ووجدت خمسة عشر صاعاً ثمانين رطلاً، على قول أهل المدينة: فهذه زيادة يسيرة متقاربة وإنما زاد ذلك النيف على الثمانين - فيما ظنت - بقدر ما يكون بين الطعامين من الرزانة والخفة، ووجدت خمسة عشر صاعاً على قول أهل العراق عشرين ومائة رطل فهذه زيادة متفاوتة. فعرفت بهذا أن الصاع كقول أهل الحجاز: خمسة أرطالَ وثلث.

ثم صدق ذلك وثبته حديث النبي ﷺ: «المكيال مكيال المدينة والميزان ميزان مكة»[1].

---

(١) في التلخيص الحبير رواه البزار واستغربه وأبو داود والنسائي وصححه ابن حيان والدارقطني والنووي. قال ابن حزم: اتفق الثقات أن دينار الذهب بمكة اثنتان وثمانون حبة وثلاثة أعشار حبة شعير مطلق. والدرهم سبعة أعشار المثقال. فالرطل ١٢٨ بالدرهم المذكور.

وجاء في كتاب مكة في عصر ما قبل الإسلام(*) بشأن الأعداد والمكاييل والموازين والمقاييس... ما يلي: -

في القرآن ذكر للأعداد ومضاعفاتها من آحاد وعشرات ومئات وألوف ومئات الألوف، كما ورد ذكر كسور الأعداد من نصف وثلث وربع وخمس وسدس وثمن وعشر، الأمر الذي يدل على أن العرب بعامة وأهل المدن بنوع خاص كانوا على علم بالحساب من ضرب وقسمة وجمع وطرح وكسور.

وكانت المكاييل والموازين والمقاييس أيضاً معروفة عند العرب، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم، ولكنها ذكرت دون تعيين إلا القنطار والذراع على غموض في مقدارهما... وقد جاء ذكر الكيل والميزان والقسطاس في مناسبات أكثرها جاء في معرض الأمانة والبحث عن الإستقامة في الكيل والوزن، مما يدل على أنه كانت توجد مكاييل وموازين، وأن هذه المكاييل والموازين كان بعضها مضبوطاً وبعضها غير مضبوط، والآيات القرآنية تحث على استعمال المضبوط منها، مما يدل على أن حيل الغش فيها كانت فاشية وأن التجار كانوا يستغلون جهل المتعاملين معهم وبخاصة أهل البادية، فيأخذون منهم وزناً أو كيلاً وافياً ويبيعون لهم بمكاييل وموازين غير وافية.

وقد بين الله تعالى صورة المقصر في عبادته والظالم لنفسه، يقول سبحانه في سورة القارعة:

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾. (الآيات من ٦ حتى ٩).

ويمكن أن نستدل من آيات سورة القارعة (٦ حتى ٩) أن الميزان المستعمل في الأسواق كان هو الميزان ذو الكفتين... كما نعرف من المكاييل الصاع والمد وهو ربع الصاع، وأن الصاع وحدة الكيل وأنه يساوي

(*) مكة في عصر ما قبل الإسلام - تأليف السيد أحمد أبو الفضل عوض الله - ص ١٤٧.

وزن خمسة أرطال وثلث، كما كان الرطل مكيالاً أيضاً. كما كانوا يعرفون الأوقية والنش: (وهو نصف الأوقية) وأن الأوفية كانت تساوي أربعة وعشرين درهماً، وأنه كانت توزن بها المعادن كالذهب والفضة، وكذلك المثقال وهو درهم وثلاثة أرباع الدرهم.

المبحث الثالث:

أولاً: القرآن الكريم يؤكد دعوة شعيب عليه السلام: -

وقد فسر أفاضل العلماء ما ذكرته سورة المطففين الآية (١) عن دعوة شعيب عليه السلام بما يلي: -

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.

قال الإمام الطبري[١]: -

يقول تعالى ذكره الوادي الذي يسيل من صديد أهل جهنم في أسفلها للذين يطففون يعني للذين ينقصون الناس ويبخسونهم حقوقهم في مكاييلهم.

وورد في تفسير الإمام ابن الجوزي[٢]: -

وقال ابن قتيبة، المطفف: الذي لا يوفي الكيل، يقال: اناء طفان، إذا لم يكن مملوءاً، وقال الزجاج: إنما قيل: مطفف لأنه لا يكاد يسرق في الميزان والمكيال إلا الشيء الطفيف، وإنما أخذ من طف الشيء، وهو جانبه.

---

(١) الإمام الطبري - سورة المطففين - الآية (١) ص ٥٧.

(٢) الإمام ابن الجوزي - سورة المطففين - الآية (١) ص ٥١.

وجاء في تفسير الإمام أبو السعود[1]:

﴿ويل للمطففين﴾ قيل الويل شدة الشر وقيل العذاب الأليم، وقيل: هو وادٍ في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره.

والتطفيف البخس في الكيل والوزن لأن ما يبخس شيء طفيف حقير، وروى أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وكان أهلها من أخبث الناس كيلاً فنزلت: فأحسنوا الكيل، وقيل: قدمها عليه الصلاة والسلام وبها رجل يعرف بأبي جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر، وقيل: كان أهل المدينة تجاراً يطففون، وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة، فنزلت فخرج رسول الله ﷺ فقرأها عليهم وقال: «خمس بخمس ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر.

وقال الإمام القرطبي[2]: ـ

روىٰ النسائي عن ابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى: ﴿ويل للمطففين﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك.

قال الفراء: فهم من أوفى الناس كيلاً إلى يومهم هذا. وعن ابن عباس أيضاً قال: هي أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ ساعة نزل المدينة وكان هذا فيهم، كانوا إذا اشتروا استوفوا بكيل راجح، فإذا باعوا بخسوا المكيال والميزان، فلما نزلت هذه السورة انتهوا، فهم أوفى الناس كيلاً إلى يومهم هذا.

قوله تعالى: ﴿ويل﴾ أي شدة عذاب في الآخرة. وقال ابن عباس:

---

(١) الإمام أبو السعود ـ سورة المطففين ـ الآية (١) ص ١٢٤ م ١٧.

(٢) الإمام القرطبي ـ سورة المطففين ـ الآية (١) ص ٧٠٤١.

إنه وادٍ في جهنم يسيل فيه صديد أهل النار، فهو قوله تعالى: **﴿ويل للمطففين﴾** أي الذين ينقصون مكاييلهم وموازينهم... وروي عن ابن عمر قال: المطفف الرجل يستأجر الكيال وهو يعلم أنه يحيف في كيله فوزه عليه. وقال آخرون: التطفيف في الكيل والوزن والوضوء والصلاة والحديث.

قال أهل اللغة: المطفف مأخوذ من الطفيف وهو القليل، والمطفف هو المقل حق صاحبه بنقصانه عن الحق في كيل أو وزن.

المطفف هو الذي يخسر في الكيل والوزن ولا يوفي حسب ما بيناه، وروى ابن القاسم عن مالك أنه قرأ: **﴿ويل للمطففين﴾**، فقال: لا تطفف ولا تخلب ولكن أرسل وصب عليه صباً حتى إذا استوفى أرسل يدك ولا تمسك.

وجاء في تفسير الشيخ المراغي[1]: ـ

﴿ويل للمطففين﴾، أي عذاب وخزي شديد يوم القيامة لمن يطفف في المكيال والميزان.

وقد خص بحانه المطففين بهذا الوعيد، من قبل أنه كان فاشياً منتشراً بمكة والمدينة، فكانوا يطففون المكيال ويبخسونه ولا يوفون حق المشتري.

وروي أنه كان بالمدينة رجل يقال له أبو جهينة له كيلان أحدهما كبير والثاني صغير، فكان إذا أراد أن يشتري من أصحاب الزروع والحبوب والثمار اشترى بالكيل الكبير، وإذا باع للناس كان للمشتري بالكيل الصغير.

هذا الرجل وأمثاله ممن امتلأت نفوسهم بالطمع، واستولى على نفوسهم الجشع هم المقصودون بهذا الوعيد الشديد، وهم الذين توعدهم النبي ﷺ بقوله: «خمس بخمس... ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا

(١) الشيخ مصطفى المراغي ـ سورة المطففين ـ الآية (١) ص ٧١ م ٦ ج ٣٦.

فيهم الموت، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم المطر».

وقال الأستاذ سيد قطب[1]: ـ

تبدأ السورة بالحرب يعلنها الله على المطففين: ﴿ويل للمطففين﴾ والويل: الهلاك... وسواء كان المراد هو تقرير أن هذا أمر مقضي، أو أن هذا دعاء... فهو في الحالين واحد فالدعاء من الله قرار.

وقال الإمام ابن العربي[2]: ـ

روى النسائي، عن ابن عباس، قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله عز وجل: ﴿ويل للمطففين﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك.

قال علماء اللغة: المطففون هم الذين ينقصون المكيال والميزان... وقيل له المطفف، لأنه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان إلا الشيء الطفيف مأخوذ من طف الشيء وهو جانبه. ومنه الحديث: «كلكم بنو آدم طف الصاع»، يعني بعضكم قريب من بعض، فليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى.

كما قال الشيخ طنطاوي جوهري[3]

هم الأقوام الذين يطففون المكيال والميزان، وهذان أظهر أنواع الظلم عند العامة والخاصة، وإنما ذكرا ليدلا على سواهما، فإن القصر المنظم لا تبقى له قائمة إلا بحسن النظام، والنظام يكون في كل شيء، فهكذا لا يتم نظام النوع

---

(١) الأستاذ سيد قطب ـ سورة المطففين ـ الآية (١) في ظلال القرآن ـ ص ٣٨٥٣.

(٢) أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ـ ٤٦٨ هـ ـ ٥٤٣ هـ، تحقيق علي محمد البجاوي ـ ص ١٩٠٧، ١٩٠٨ ـ سورة المطففين ـ الآية (١). م ٤.

(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم ـ الشيخ طنطاوي جوهري ـ سورة المطففين ـ الآية (١) ص ٩٥ ـ ج ٢٥.

الإنساني إلا بالعدل في كل شيء. ومنه الكيل والميزان، فليكن العدل في جميع الأحوال من قول وفعل ومجاملة.

﴿ويل للمطففين﴾ التطفيف البخس في الكيل والوزن. وذلك لأن ما يبخس إنما هو شيء طفيف حقير. فالذين ينقصون المكيال والميزان لا يسرقون منهما إلا الشيء اليسير.

وقال الدكتور محمد فريز منفيخي[1] في ذلك: ـ

أفرد الله عز وجل في سورة ليسميها باسم العصاة المطففين وذلك لفتاً لأنظار الناس إلى خطورة هذا السلوك الذي استحق عليه وعلى كفرهم قوم شعيب الإهلاك الكامل والدمار الشامل، من هنا يتبين مدى اهتمام الدين بعلاقات الناس ومعاملاتهم المادية بحيث اهتم ونظم وأرشد إلى كل ما فيه سعادة الإنسان في علاقته بنفسه وبمجتمعه وبربه. وسورة المطففين آياتها ست وثلاثون نزلت بمكة آخر سورة.

التطفيف البخس في الكيل والوزن، وسمي بذلك لأن ما يبخس شيء حقير طفيف وفصلت الآيات في هذه السورة أعمال المطففين بالتفصيل وبينت عقوبتهم على ذلك وزجرهم عليها.

التحليل الإقتصادي: ـ:

ذكر الله تعالى هذا التهديد الواضح: ﴿ويل للمطففين﴾، وقد أوضح أفاضل العلماء أن الذين ينقصون المكيال والميزان ـ من الناحية الاقتصادية ـ هم أطراف العملية التجارية التي تتم بين البائع والمشتري وهم: ـ

أ : التجار الذين يزاولون العمليات التجارية بالإقتصاد التطبيقي العملي في بيع سلعهم ومنتجاتهم.

---

(١) الدكتور محمد فريز منفيخي ـ النظام الاقتصادي القرآني ـ ص ١١٢٤.

ب : المستهلك وهو الشخصية الاعتبارية الأساسية في هذه العملية التجارية، لأن عملية الإتفاق التجاري للمستهلك وأسعار البضاعة جعلت الأساس في التاجر وتطفيفه للميزان أو الكيل.

جـ: السلعة أو البضاعة التجارية المراد بيعها أو شرائها فإنها الطرف الثالث في هذه الدورة الاقتصادية للتجارة في البيع والشراء.

ويهمنا في هذا كله تحديد الفئة التي خصها الله تبارك وتعالى بهذا التهديد والوعيد والذين يزاولون عمليات البيع والشراء سواء في الأسواق أو المتاجر الخاصة.

فقد أوضح الله عز وجل ما يلي: -

١ - أن المدلول الإقتصادي كلمة: ﴿ويل للمطففين﴾ قصد به تطبيق حد من حدود الله تبارك وتعالى ليلتزم به المسلمون في تعاملهم، فيتجنوا البخس والتطفيف... وبهذا فقد أرشدنا الله عز وجل إلى نظام اقتصادي ثابت وراسخ في عمليات البيع والشراء كي نزاوله في حياتنا التجارية حتى تستقر حياتنا بالأموال الحلال.

٢ - إن هذه الآية الكريمة أوضحت مدى التخلف الإقتصادي الذي كان يعيش فيه تجار المدينة قبل مجيء الرسول ﷺ خاصة من ناحية الكيل والميزان...

وهذه الآية الكريمة تعتبر من المصابيح المضيئة في الاقتصاد الإسلامي والتي أنارت طريق المسلمين للخير والنماء والبركة.

٣ - من الجانب الاقتصادي للسوق التجاري وحركته الدورية اليومية والنشاط الاقتصادي، **فلولا ما تمتع به قوم شعيب من رواج في الأسواق لكسد الاقتصاد وقل الطلب وكذا انفاق المستهلك للمشتريات.**

وجاء في تفاسير العلماء للآيتين (٢، ٣) من سورة المطففين، ما يلي: -

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾. (الآيتان ٢، ٣) من سورة المطففين.

قال الإمام الطبري[1]: ـ

إذا كالوهم أو موازينهم إذا وزنوا لهم عن الواجب لهم من الوفاء، وأصل ذلك من الشيء الطفيف وهو القليل النزر والمطفف المقلل حق صاحب الحق عما له من الوفاء والتمام في كيل أو وزن.

وقال الإمام الزمخشري[2]: ـ

روى أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وكانوا من أخبث الناس كيلاً، فنزلت فأحسنوا الكيل، وقيل: قدمها وبها رجل يعرف بأبي جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر، وقيل: كان أهل المدينة تجاراً يطففون، وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت، فخرج رسول الله ﷺ فقرأها عليهم وقال: خمس بخمس... قيل: يا رسول الله وما خمس بخمس؟ قال: «ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر».

أي يستوفون على الناس خاصة، فأما أنفسهم فيستوفون لها...

وذلك أن المعنى إذا أخذوا من الناس استوفوا وإذا أعطوهم أخسروا.

قوله تعالى: ﴿**الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون**﴾، قال فيه: لما كان اكتيالهم على الناس اكتيالاً يضرهم... إلخ، وإنما يكون نظم الكلام على هذا الوجه إذا كان الكيل من جهة غيرهم استوفوه، وإذا كان الكيل من جهتهم خاصة أخسروه وسواء باشروه أو لا، وهذا أنظم كلام وأحسنه... والله أعلم.

﴿يخسرون﴾ ينقصون يقال خسر الميزان وأخسره.

---

(١) الإمام الطبري ـ سورة المطففين ـ الأيتان (٢، ٣) ص ٥٧.

(٢) الإمام الزمخشري في الكشاف ـ سورة المطففين (الأيتان ٢، ٣) ص ٢٣٠ م ٤.

وقال الإمام أبو السعود[1]: ـ

هذه صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذي استحقوا به الذم والدعاء بالويل أي إذا اكتالوا من الناس مكيلهم بحكم الشراء ونحوه يأخذونه وافياً وافراً.

فإن المراد بالإستيفاء ليس أخذ الحق وافياً من غير نقص بل مجرد الأخذ الوافي الوافر حسبما أرادوا بأي وجه تيسر من وجوه الحيل، وكانوا يفعلونه بكبس المكيل وتحريك المكيال والإحتيال في ملئه، وأما ما قيل من أن ذلك للدلالة على أن اكتيالهم لما لهم على الناس فمع اقتضائه لعدم شمول الحكم لاكتيالهم قبل أن يكون لهم على الناس شيء بطريق الشراء ونحوه مع أنه الشائع فيما بينهم يقتضي أن يكون معنى الاستيفاء أخذ مالهم عليهم وافياً من غير نقص إذ هو المتبادر منه عند الإطلاق في معرض الحق فلا يكون مداراً لذمهم والدعاء عليهم وحمل ما لهم عليهم على معنى ما سيكون لهم عليهم مع كونه بعيداً جداً مما لا يجدي نفعاً، فإن اعتبار كون المكيل لهم حالاً أو مآلاً لا يستدعي كون الإستيفاء بالمعنى المذكور حتماً... أي يستوفون على الناس خاصة، فأما أنفسهم فيستوفون لها. ﴿وإذا كالوهم أو وزنوهم﴾ للناس أي إذا كالوا لهم أو وزنوا لهم للبيع ونحوه. ﴿يخسرون﴾ أي ينقصون يقال خسر الميزان وأخسره.

ولعل ذكر الكيل والوزن في صورة الإخسار والإقتصار على الاكتيال في صورة الاستيفاء لما أنهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الإتزان تمكنهم منه عند الكيل والوزن وعدم التعرض للمكيل والموزون في الصورتين لأن مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم في الأخذ والإعطاء لا في خصوصية المأخوذ والمعطي.

---

(١) الإمام أبو السعود ـ سورة المطففين ـ الآيتان (٢، ٣) ص ١٢٦ م ١٧.

وقال الإمام القرطبي[1]: ـ

قال الفراء: أي من الناس، يقال: اكتلت منك أي استوفيت منك، ويقال: اكتلت ما عليك أي أخذت ما عليك. وقال الزجاج: أي إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل، والمعنى: الذين إذا استوفوا أخذوا الزيادة وإذا أوفوا أو وزنوا لغيرهم نقصوا، فلا يرضون للناس ما يرضون لأنفسهم.

وقوله تعالى: **﴿وإذا كالوهم أو وزنوهم﴾**، أي كالوا لهم أو وزنوا لهم إذا كالوا «الناس» **﴿أو وزنوهم يخسرون﴾** وفيه وجهان، أحدهما: أن يراد كالوا لهم أو وزنوا لهم، أي وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم فيهم يخسرون.

قال ابن عباس، قال النبي ﷺ: «خمس بخمس: ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم ولا حكموا بغير ما أنزل الله فشا فيهم الفقر، وما ظهرت الفاحشة فيهم إلا ظهر فيهم الطاعون، وما طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس الله عنهم المطر»...
أخرجه أبو بكر البزار بمعناه ومالك بن أنس أيضاً من حديث ابن عمر.

وقال الإمام أبو السعود[2]: ـ

صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذي استحقوا به الذم والدعاء بالويل، أي إذا اكتالوا من الناس مكيلهم بحكم الشراء ونحوه يأخذونه وافياً وافراً، وتبديل كلمة على بمن لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء أو للإشارة إلى أنه اكتيال مضر بهم، لكن لا على اعتبار الضرر في حيز الشرط الذي يتضمنه كلمة إذا لإخلاله بالمعنى، بل في نفس الأمر بموجب الجواب فإن المراد بالإستيفاء ليس أخذ الحق وافياً من غير نقص بل مجرد الأخذ الوافي الوافر حسبما أرادوا بأي وجه تيسر من وجوه الحيل، وكانوا يفعلونه بكبس المكيل وتحريك المكيال والإحتيال في ملئه وأما ما قيل من أن ذلك للدلالة على أن اكتيالهم لما لهم على الناس فمع اقتضائه لعدم شمول الحكم لاكتيالهم قبل أن يكون لهم على الناس شيء بطريق الشراء ونحوه مع أنه الشائع فيما بينهم

(١) الإمام القرطبي ـ سورة المطففين ـ (الآيتان ٢، ٣) ص ٧٠٤٦.
(٢) الإمام أبو السعود ـ سورة المطففين (الآيتان ٢، ٣) ص ١٢٧.

يقتضي أنْ يكون معنى الإستيفاء أخذ مالهم عليهم وافياً من غير نقص إذ هو المتبادر منه عند الإطلاق في معرض الحق فلا يكون مداراً لذمهم والدعاء عليهم، وحمل مالهم عليهم على معنى ما سيكون لهم عليهم مع كونه بعيداً جداً مما لا يجدي نفعاً، فإن اعتبار كون المكيل لهم حالاً كان أو مآلاً يستدعي كون الاستيفاء بالمعنى المذكور حتماً... أي يستوفون على الناس خاصة، فأما أنفسهم فيستوفون لها... ﴿**وإذا كالوهم أو وزنوهم**﴾ للناس أي إذا كالوا لهم أو وزنوا لهم للبيع ونحوه ﴿**يخسرون**﴾ أي ينقصون يقال خسر الميزان وأخسره.

ولعل ذكر الكيل والوزن في صورة الإخسار والإقتصار على الاكتيال في صورة الإستيفاء لما أنهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الإتزان تمكنهم منه عند الكيل والوزن وعدم التعرض للمكيل والموزون في الصورتين لأن مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم في الأخذ والإعطاء لا في خصوصية المأخوذ والمعطي.

وقال الشيخ المراغي[1]: -

أي إذا كان لهم عند الناس حق في شيء من المكيلات لم يقبلوا أن يأخذوه إلا وافياً كاملاً، وإذا كان لأحد عندهم شيء وأرادوا أن يؤدوه له أعطوه ناقصاً غير واف.

واقتصر النظم على الاكتيال حين الاستيفاء، وذكر الكيل والميزان فيه حين الإخسار، لأن التطفيف في الكيل يكون بشيء قليل لا يعبأ به في الأغلب دون التطفيف في الوزن، فإن أدنى حيلة فيه يفضي إلى شيء كثير، ولأن ما يوزن أكثر قيمة في كثير من الأحوال مما يكال، فإذا أخبرت الآية بأنهم لا يبقون على الناس ما هو قليل مهين من حقوقهم، علم أنهم لا يبقون عليهم والكثير الذي لا يتسامح فيه إلا نادراً بالطريق الأولى.

وكما يكون التطفيف في الكيل والميزان يكون في أشياء أخرى، فمن استأجر عاملاً ووقف أمامه يراقبه ويطالبه بتجويد عمله، ثم إذا كان هو عاملاً

---

(١) الشيخ مصطفى المراغي - سورة المطففين (الآيتان ٢، ٣) ص ٧١ م ٦، ج ٣٦.

أجيراً لم يراقب ربه في العمل ولم يقم به على الوجه الذي ينبغي أن يقوم به - يكون واقعاً تحت طائلة هذا الوعيد، مستوجباً لأليم العذاب، مهما يكن عمله، جل أو حقر، وإذ كان هذا الإنذار للمطففين الراضين بالقليل من السحت، فما ظنك بأولئك الذين يأكلون أموال الناس بلا كيل ولا وزن، بل يسلبونهم ما بأيديهم ويغلبونهم على ثمار أعمالهم، فيحرمونهم التمتع بها، اعتماداً على قوة الملك أو نفوذ السلطان أو باستعمال الحيل المختلفة.

لا جرم أن هؤلاء لا يحسبون إلا في عداد الجاحدين المنكرين ليوم الدين، وإن زعموا بألسنتهم أنهم من المؤمنين المخبتين.

وقال الأستاذ سيد قطب[1]: -

وتفسر الآيتان (٢، ٣) من سورة المطففين، معنى المطففين فهم الذين يتقاضون بضاعتهم وافية إذا كانوا شراة... ويعطونها للناس ناقصة إذا كانوا بائعين... ثم تعجب الآيات الثلاثة التالية من أمر المطففين، الذين يتصرفون كأنه ليس هناك حساب على ما يكسبون في الحياة الدنيا، وكأن ليس هناك موقع جامع بين يدي الله في يوم عظيم يتم فيه الحساب والجزاء أمام العالمين: ﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم؟ يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾...

والتصدي لشأن المطففين بهذا الأسلوب في سورة مكية أمر يلفت النظر. فالسورة المكية عادة توجه اهتمامها إلى أصول العقيدة الكلية: كتقرير وحدانية الله، وانطلاق مشيئته، وهيمنته على الكون والناس... وكحقيقة الوحي والنبوة وكحقيقة الآخرة والحساب والجزاء... مع العناية بتكوين الحاسة الأخلاقية في عمومها، وربطها بأصول العقيدة. أما التصدي لمسألة بذاتها من مسائل الأخلاق - كمسألة التطفيف في الكيل والميزان - والمعاملات بصفة عامة، فأمر جاء متأخراً في السورة المدنية عند التصدي لتنظيم حياة المجتمع في ظل الدولة الإسلامية، وفق المنهج الإسلامي، الشامل للحياة...

(١) الأستاذ سيد قطب - في ظلال القرآن - سورة المطففين (الآيتان ٢، ٣) ص ٣٨٥٥ حتى ص ٣٨٦٣).

ومن ثم فإن التصدي لهذا الأمر بذاته في هذه السورة المكية أمر يستحق الإنتباه... وهو يشي بعدة دلالات متنوعة، تكمن وراء هذه الآيات القصار.

إنه يدل أولاً على أن الإسلام كان يواجه في البيئة المكية حالة صارخة من هذا التطفيف يزاولها الكبراء، الذين كانوا في الوقت ذاته هم أصحاب التجارات الواسعة، التي تكاد تكون احتكاراً... فقد كانت هنالك أموال ضخمة في أيدي هؤلاء الكبراء يتجرون بها عن طريق القوافل في رحلتي الشتاء والصيف إلى اليمن وإلى الشام. كما افتتحوا أسواقاً موسمية كسوق عكاظ في موسم الحج، يقومون فيها بالصفقات ويتناشدون فيها الأشعار، والنصوص القرآنية هنا تشي بأن المطففين الذين يتهددهم الله بالويل، ويعلن عليهم هذه الحرب، كانوا طبقة الكبراء ذوي النفوذ، الذين يملكون إكراه الناس على ما يريدون.. فهم يكتالون «على الناس».. لا من الناس.. فكأن لهم سلطاناً على الناس بسبب من الأسباب، يجعلهم يستوفون المكيال والميزان منهم استيفاء وقسراً. وليس المقصود هو أنهم يستوفون حقاً، وإلا فليس في هذا ما يستحق إعلان الحرب عليهم. إنما المفهوم أنهم يحصلون بالقسر على أكثر من حقهم، ويستوفون ما يريدون إجباراً. فإذا كالوا للناس أو وزنوا كان لهم من السلطان ما يجعلهم ينقصون حق الناس دون أن يستطيع هؤلاء منهم نصفة ولا استيفاء حق... . ويستوي أن يكون هذا بسلطان الرياسة والجاه القبلي أو بسلطان المال وحاجة الناس لما في أيديهم منه، واحتكارهم للتجارة حتى يضطر الناس إلى قبول هذا الجور منهم، كما يقع حتى الآن في الأسواق.. فقد كانت هناك حالة من التطفيف صارخة استحقت هذه اللفتة المبكرة...

كما أن هذه اللفتة المبكرة في البيئة المكية تشي بطبيعة هذا الدين، وشمول منهجه للحياة الواقعية وشئونها العملية، وإقامتها على الأساس الأخلاقي العميق الأصيل في طبيعة هذا المنهج الإلهي القويم. فقد كره هذه الحالة الصارخة من الظلم والإنحراف الأخلاقي في التعامل. وهو لم يتسلم بعد زمام الحياة الإجتماعية، لينظمها وفق شريعته بقوة القانون وسلطان الدولة. وأرسل هذه الصيحة المدوية بالحرب والويل على المطففين، وهم يومئذ سادة مكة، أصحاب السلطان المهيمن ـ لا على أرواح الناس ومشاعرهم عن طريق العقيدة

الوثنية فحسب. بل كذلك على اقتصادياتهم وشئون معاشهم. ورفع صوته غالباً في وجه الغبن والبخس الواقع على الناس وهم جمهرة الشعب المستغلين لكبرائه المتجرين بأرزاقه، المرابين المحتكرين، المسيطرين في الوقت ذاته على الجماهير بأوهام الدين... فكان الإسلام بهذه الصيحة المنبعثة من ذاته ومن منهجه السماوي موقظاً للجماهير المستغلة، ولم يكن قط مخدراً لها حتى وهو محاصر في مكة، بسطوة المتجبرين، المسيطرين على المجتمع بالمال والجاه والدين...

ومن ثم ندرك طرفاً من الأسباب الحقيقية التي جعلت كبراء قريش يقفون في وجه الدعوة الإسلامية هذه الوقفة العنيدة. فهم كانوا يدركون ـ ولا ريب ـ أن هذا الأمر الجديد الذي جاءهم به محمد ﷺ ليس مجرد عقيدة تكمن في الضمير، ولا تتطلب منهم إلا شهادة منطوقة، بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وصلاة يقيمونها لله بلا أصنام ولا أوثان.. كلا.. لقد كانوا يدركون أن هذه العقيدة تعني منهجاً يحطم كل أساس الجاهلية التي تقوم عليها أوضاعهم ومصالحهم ومراكزهم، وأن طبيعة هذا المنهج لا تقبل مثنوية ولا تلتئم مع عنصر أرضي غير منبثق من عنصرها السماوي، وأنها تهدد كل المقومات الأرضية الهابطة التي تقوم عليها الجاهلية.. ومن ثم شنوا عليها تلك الحرب التي لم تضع أوزارها لا قبل الهجرة ولا بعدها... الحرب التي تمثل الدفاع عن أوضاعهم كلها في وجه الأوضاع الإسلامية. لا عن مجرد الإعتقاد والتصور المجردين...

والذين يحاربون سيطرة المنهج الإسلامي على حياة البشر في كل جبل وفي كل أرض يدركون هذه الحقيقة.. يدركونها جيداً، ويعلمون أن أوضاعهم الباطلة، ومصالحهم المغتصبة، وكيانهم الزائف.. وسلوكهم المنحرف.. هذه كلها هي التي يهددها المنهج الإسلامي القويم الكريم...

والطغاة الظلمة المطففون ـ في أية صورة من صور التطفيف في المال أو في سائر الحقوق والواجبات ـ هم الذين يشفقون أكثر من غيره من سيطرة ذلك المنهج العادل النظيف.. الذي لا يقبل المساومة، ولا المداهنة ولا أنصاف الحلول...

كما قال الإمام ابن العربي[1]: -

قوله تعالى: ﴿وإذا كالوهم﴾، يعني كالوا لهم، وكثير من الأفعال.

قوله تعالى: ﴿وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾، فبدأ بالكيل قبل **الوزن، والوزن هو الأصل**، والكيل مركب عليه، وكلاهما تقدير، لكن البارىء **سبحانه وضع الميزان** لمعرفة الأشياء بمقاديرها، إذ يعلمها سبحانه بغير واسطة **ولا مقدر.**

ثم قد يأتي الكيل على الميزان بالعرف، كما قال النبي ﷺ: المكيال **مكيال أهل المدية**، والميزان ميزان أهل مكة، فالأقوات والأدهان يعتبر فيها **الكيل (دون الوزن**، لأن النبي ﷺ بعث وهي تكتال بالمدينة فجرى فيها **الكيل)، وكذلك الأموال** الربوية يعتبر فيها المماثلة بالكيل دون الوزن، حاشا **النقدين، حتى أن** الدقيق والحنطة يعتبر فيهما الكيل، وليس للوزن فيهما **طريق، وإن ظهر** بينهما زيغ فهو كظهوره بين البرين، وذلك غير معتبر.

وقال الشيخ طنطاوي جوهري[2]: -

أي إذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية، وذكر «على» للدلالة **على التحامل على** الناس أثناء الكيل، **﴿وإذا كالوهم أو وزنوهم﴾** أي إذا **كالوا للناس أو** وزنوا لهم كما تقول نصحتك ونصحت لك **﴿يخسرون﴾**، **أي ينقصون** الكيل والوزن، فكل من أخذ لنفسه زائداً ودفع إلى غيره ناقصاً **قليلاً أو كثيراً لحقه** الوعيد ما لم يتب، فإن تاب قبلت توبته إذا رد الحقوق

---

(١) أحكام القرآن لأبي بكر محمدبن عبد الله المعروف بابن العربي ٤٦٨ هـ - ٥٤٣ هـ - تحقيق علي البجاوي - ص ١٩٠٧/١٩٠٨ - المجلد الرابع. سورة المطففين (الأيتان ٢، ٣).

(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم - الشيخ طنطاوي جوهري - سورة المطففين - الجزء ٢٥ - ص ٩٦.

إلى أربابها. وإذا لم يتب وأصر كان مصراً على الكبيرة. ويروى: «خمس بخمس: ما نقض العهد قوم إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ولا طففوا المكيال إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم المطر».

ثم أعقب الوعيد المذكور بما يؤكده مذكراً بما تقدم من أن الملائكة يكتبون هذا التطفيف كما يكتبون كل حسنة وسيئة للأبرار والفجار، وإنما كان الوعيد شديداً على المطففين لأنهم وهم في هذا القصر المشيد تركوا مواهبهم العقلية، ولم يدركوا سعة هذا القصر البديع وجماله، ولا حكمة صانعه، ولا سعة الأرزاق التي ادخرها لهم في الأرض، فلذلك ضيقوا على أنفسهم دائرة التفكير، وتركوا كل جمال ونعمة وحكمة وبهجة ورونق في سقف القصر وجوانبه وأرضه وبسطه المنقوشة، وضاقت عليهم دائرة عقولهم وصغرت أن تعقل من هذه المواهب إلا ما رأوه في يد غيرهم، فهم يختطفون تارة بطريق التطفيف، وأخرى بطريق السلب والنهب والسرقة وهكذا، فهذا كله يكتبه الملائكة في كتاب يسجل عليهم الضيق والحبس كما حبسوا أنفسهم في دائرة ضيقة. وأما الآخرون فلما وسعوا على عقولهم مجال التفكير ولم يحصروها في دائرة واحدة والسطو على ما بيد غيرهم جعل الملائكة كتابهم فيه ما يعلي قدرهم وشأنهم لعلو نفوسهم وسمو عقولهم.. وهذه الآيات الآتية الواصفة لكتاب الأبرار ولكتاب الفجار ترينا تلك العقول في نفس كتابها، فلما كانت قيمة الأبرار عالية سجل في كتابها ذلك العلو، وهو الإنطلاق من سجن المادة، ولما كانت آراء الفجار ضيقة محصورة في الحسد وأخذ مال الغير جعل نتيجة ذلك في كتابها، وهو أن الضيق الذي كان محيطاً بها في الحياة هو الذي سيلازمها بعد الممات، فنتيجة الآراء ملازمة لها، وكتابها كأنه نسخة منها، بل نفس الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره... فهو في الدنيا يعلم: أهو منطلق الفكر إلى هذا الجمال أم هو محدود الفكر ضعيف النفس محصور في شهوات البهائم والأطفال.

وقال الدكتور محمد فريز منفيخي[1] في كتابه: «النظام الاقتصادي القرآني» ما يلي: -

أي عذاب وخزي شديد يوم القيامة لمن يطفف في المكيال والميزان، وقد خص سبحانه المطففين بهذا الوعيد من قبل أنه كان فاشياً منتشراً بمكة والمدينة، فكانوا يطففون المكيال ويبخسونه ولا يوفون حق المشتري، روى أنه كان بالمدينة رجل يقال له أبو جهينة له كيلان أحدهما كبير والثاني صغير، فكان إذا أراد أن يشتري من أصحاب الزروع الحبوب والثمار اشترى بالكيل الكبير، وإذا باع للناس كال للمشتري بالكيل الصغير، هذا الرجل وأمثاله ممن امتلأت نفوسهم بالطمع واستولى على نفوسهم الطمع والجشع هم المقصودون بهذا الوعيد الشديد ،وهم الذين توعدهم النبي عليه الصلاة والسلام وتهددهم بقوله: خمس بخمس ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات، وما منعوا الزكاة إلا حبس عنهم المطر ، وقد بين سبحانه عمل المطففين الذي استحقوا عليه هذا الوعيد بقوله: أنهم إذا كان لهم عند الناس حق في شيء من المكيلات لم يقبلوا أن يأخذوه إلا وافياً كاملاً، وإذا كان لأحد عندهم شيء وأرادوا أن يؤدوه له أعطوه ناقصاً غير وافٍ. واقتصر الذم على الاكتيال حين الاستيفاء، وذكر الكيل والميزان فيه حين الإخسار لأن التطفيف في الكيل يكون بشيء قليل لا يعبأ به في الأغلب دون التطفيف في الوزن فإن أدنى حيلة فيه يفضي إلى شيء كثير ولأن ما وزن أكثر قيمة في كثير من الأحوال بما يكال، فإذا أخبرت الآية بأنهم لا يبقون على الناس ما هو قليل مهين من حقوقهم علم أنهم لا يبقون عليهم والكثير الذي لا يتسامح فيه إلا نادراً بالطريق الأول.

---

(١) الدكتور محمد فريز منفيخي ـ النظام الاقتصادي القرآني ـ ص ١١٢٥.

التحليل الإقتصادي : -:

١ - بين الله تعالى منهج الحياة العملية السليمة والطريق المستقيم الـذي يسلكه كل من آمن بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر. . ومن خلال القرآن الكريم ومن العمليات الاقتصادية الهامة وما يتعلق بالكيل أو الميزان وإيفاء الكيل وعدم تطفيف الميزان والإلتزام بحدود الله عز وجل في كل منهما كي نستمتع بحياة طيبة وأموال حلال تعود على مكاسبنا بالخير والرزق الحسن والبركة والنماء علينا وعلى أولادنا.

٢ - أن النمو الاقتصادي لأي تاجر نتيجة لحركـة النشاط الإقتصـادي في الأسواق، ونتيجة البيع والشراء واتباع حدود الله عـز وجل في الكيـل والميـزان واجتنـاب وسـاوس الشيـطان التي تعـود بـالخسـران على الإنسان. . كل هذا يجعلنا نفوز بالدنيا والآخـرة معاً. . . لأننـا اتبعنا منهج الله تبارك وتعالى وتمسكنا بكتابه وسنة نبيه ﷺ.

٣ - أن حدود الله تبارك وتعالى هي اختبار لحياة البشر الاقتصادية. . فمن أطلق العنان لشهواته، وتصادق مع ألد أعدائه وهو الشيطان، وتحالف مع الشر والبغي وجمع الأموال الحرام. . هو بلا شك من الخاسرين الـذين خسروا الـدنيـا والآخـرة. . ففي الـدنيـا لن يستمتـع والعكس صحيح، فإن من تمسك بشرع الله عز وجل وحدوده. . وكان ماله حلال ورزقه حلال، وتجنب كل ما يغضب الله تعالى من محرمات ومعاصي، نال رضا ربه، لأنه يتقي الله تبارك وتعالى فهو في الآخرة من الفائزين.

٤ - بين الله تعالى لكل من تسول له نفسه في نمو أمواله بالغش أو الخداع وتكدسها عن طريق البخس وعدم إيفاء الكيل والميزان، فرغم كسبه السريع وزيادة رأس المال المتـداول بسرعـة إلا أن تلك الزيـادة في الأمـوال الغير شـرعية والمحـرمة ستنعكس عليـه في الآخرة لأنـه لم يطع الله عز وجل ورسوله ﷺ، وخالف منهج الله تعالى وحدوده.

وقال علماء التفسير في الآيتين (٤، ٥) من سورة المطففين، ما يلي: -

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥﴾.

قال الإمام الطبري[1]:

يقول تعالى ذكره: ألا يظن هؤلاء المطففون الناس في مكاييلهم وموازينهم أنهم مبعوثون من قبورهم بعد مماتهم ليوم عظيم شأنه هائل أمره فظيع هوله.

وقال الإمام الرازي[2]: -

فكأنه تعالى هدد المطففين بعذاب يوم القيامة، والتهديد بهذا لا يحصل إلا مع المؤمن، فثبت بهذين الوجهين أن هذا الوعيد مختص بأهل الصلاة.

واعلم أن أمر المكيال والميزان عظيم... وذلك لأن عامة الخلق يحتاجون إلى المعاملات وهي مبنية على أمر المكيال والميزان، فلهذا السبب عظم الله أمره فقال: ﴿**والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان**﴾، وقال: ﴿**ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط**﴾، وعن قتادة: «أوف يا ابن آدم الكيل كما تحب أن يوفى لك، وأعدل كما تحب أن يعدل لك»، وعن الفضيل: بخس الميزان سواد الوجه يوم القيامة.

اعلم أنه تعالى وبخ هؤلاء المطففين فقال: ﴿**ألا يظن أولئك**﴾ الذين يطففون ﴿**أنهم مبعوثون ليوم عظيم**﴾ وهو يوم القيامة.

---

(١) الإمام الطبري - سورة المطففين - الآيتان (٤، ٥) ص ٦٥.

(٢) الإمام الرازي - سورة المطففين - الآيتان (٤، ٥) ص ٩٠ م ١٢. ج ٣١.

والمعنى: ألا يتفكرون حتى يعلموا أنهم مبعوثون، لكنهم قد أعرضوا عن التفكر وأراحوا أنفسهم عن متاعبه ومشاقه، وإنما يجعل العلم الإستدلال ظناً، لأن أكثر العلوم الإستدلالية راجع إلى الأغلب في الرأي، ولم يكن كالشك الذي يعتدل الوجهان فيه لا جرم سمي ذلك ظناً، ويكون المعنى: أن هؤلاء المطففين هب أنهم لا يجزمون بالبعث ولكن لا أقل من الظن، فإن الأليق بحكمة الله ورحمته ورعايته مصالح خلقه أن لا يهمل أمرهم بعد الموت بالكلية، وأن يكون لهم حشر ونشر، وأن هذا الظن كافٍ في حصول الخوف، كأنه سبحانه وتعالى يقول: هب أن هؤلاء لا يقطعون به أفلا يظنونه أيضاً.

وقال الإمام ابن كثير[1]: -

أي: أما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر وعظيم الهول كثير الفزع جليل الخطب من خسر فيه أدخل ناراً حامية.

وقال الإمام القاسمي[2]: -

أي من قبورهم بعد مماتهم ﴿ليوم عظيم﴾ أي عظيم الهول جليل الخطب كثير الفزع، من خسر فيه أدخل ناراً حامية.

كما قال الشيخ المراغي[3]: -

أي أن تطفيف الكيل والميزان واختلاس أموال الناس بهذه الوسيلة، لا يصدر عن شخص لا يظن أنه سيبعث يوم القيامة ويحاسب على عمله، إذ لو ظن ذلك لما طفف الكيل ولا بخس الميزان.

---

(١) الإمام ابن كثير - سورة المطففين - الآيتان (٤، ٥) ص ٤٨٧.
(٢) الإمام القاسمي - سورة المطففين - الآيتان (٤، ٥) ص ٩٨.
(٣) الشيخ مصطفى المراغي - سورة المطففين - الآيتان (٤، ٥) ص ٨٢ م ٦ جـ ٣٦.

والخلاصة: أنه لا يجسر على فعل هذه القبائح من كان يظن بوجود يوم يحاسب الله فيه عباده على أعمالهم، فما بالك بمن يستيقن ذلك.

ثم وصف هذا اليوم فقال:

﴿**يوم يقوم الناس لرب العالمين**﴾، أي هذا اليوم هو اليوم الذي يقف فيه الناس للعرض والحساب، ويطول بهم الموقف إعظاماً لجلاله تعالى.

ولا يخفى ما في الوصف برب العالمين من الدلالة على عظم الذنب وتفاقم الإثم في التطفيف، إذ أن الميزان هو قانون العدل الذي قامت به السموات والأرض.

وعن ابن عمر، أنه كان يمر بالبائع فيقول: اتقِ الله تعالى وأوفِ الكيل فإن المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمٰن، حتى أن العرق ليلجمهم.

وقال الشيخ محمود حجازي[1]: ـ

ارتدعوا أيها الفجار من المطففين والمكذبين بيوم الحساب عن ذلك، وارجعوا إلى ربكم القادر على كل شيء، فستحاسبون على أعمالكم حساباً شديداً، وقد أعد الله لهم كتاباً أحصى أعمالهم، ولم يغادر منها صغيرة ولا كبيرة، وإن هذا الكتاب لفي الديوان الجامع الذي دون فيه أعمال الفجرة من الثقلين وما أدراك ما سجين؟

والمراد تفخيمه وأنه لا أحد يعرف عنه شيئاً إلا ما أخبر به الحق تبارك وتعالى فقال: هو كتاب مرقوم ظاهر الكتابة أو معلم يعرفه بعلامته كل من رآه أنه لا خير فيه.

الويل والهلاك للمكذبين، الذين يكذبون بيوم الدين، ومنشأ ذلك هو كثرة الإعتداء وتجاوز الحدود، وارتكاب الآثام والشرور. . .

ولذا يقول الله: ﴿**وما يكذب به إلا كل معتدٍ أثيم**﴾. . . وتأويل ذلك

(١) الشيخ محمود حجازي ـ سورة المطففين ـ الآيتان (٤، ٥) ص ٢٨ جـ ٣٠.

أن النفس التي اعتادت الظلم والطغيان والبغي والإسترسال في الشرور والآثام يصعب عليها جداً الإذعان لأخبار الآخرة والتصديق بها، فإن تصديقها - مع هذه الأعمال - حكم صريح عليها بالسفه والجنون، وهذه النفس تكون جامحة طامحة، فصاحبها يعللها، ويهون عليها الأمر بالتغافل والتكذيب بيوم القيامة، أو التعليق بالأماني الباطلة. تلك حقائق قرآنية نادى بها العلم الحديث.

التحليل الإقتصادي: -:

يوضح لنا الله تبارك وتعالى الحدود التي ينبغي أن يتبعها كل مسلم مؤمن بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وألا يطفف أو يبخس الكيل والميزان، لأنه بذلك يخالف حدود الله تبارك وتعالى، ولأنه يعلم تماماً أنه سيقف أمام الواحد الأحد يوم الحساب وسيقرأ كتابه... لذلك فهو حريص في حياته الدنيوية مهما كسب أو اكتسب من الرزق أو الأموال، فإن كانت عن طريق البخس والغش والخداع فإن الحساب سيكون عسيراً وشديداً وأليماً... وأما إن كانت حلالاً فسينميها الله تبارك وتعالى وتزداد وتكثر سواء بالأموال أو بالثواب والجزاء في الآخرة لأنه يراعي حد الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم وسنة نبيه ﷺ لأنها أمور واضحة لبناء اقتصاد سليم متكامل في عالمنا الإسلامي أساسه ودعائمه حدود الله تعالى في العدل الحق وإيفاء الكيل والميزان حتى يكون الكسب حلالاً ويعود علينا وعلى نظامنا الاقتصادي الإسلامي بالخير والبركة من الله تعالى.

وورد في تفسير أفاضل العلماء للآية (٦) من سورة المطففين، ما يلي: -

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾.

قال الإمام الطبري[1]: -

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير عن محمد بن إسحٰق عن نافع عن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ: إن الناس يوقفون يوم القيامة لعظمة الله حتى أن العرق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم.

وقال الإمام الرازي[2]: -

إن الناس يقومون لمحاسبة رب العالمين، فيظهر هناك هذا التطفيف الذي يظن أنه حقير، فيعرف هناك كثرته واجتماعه، ويقرب منه قوله تعالى: ﴿**ولمن خاف مقام ربه جنتان**﴾، وثانيها: أنه سبحانه يرد الأرواح إلى أجسادها فتقوم تلك الأجساد من مراقدها، فذلك هو المراد من قوله: ﴿**يوم يقوم الناس لرب العالمين**﴾.

وقال الإمام أبو السعود[3]: -

أي لحكمه وقضائه. ووصف اليوم بالعظيم وقيام الناس فيه كافة لله تعالى خاضعين، ووصفه تعالى بربوبية العالمين من البيان البليغ لعظم الذنب وتفاقم الإثم في التطفيف وأمثاله ما لا يخفى.

وقال الإمام الشوكاني[4]: -

معنى: ﴿يوم يقوم الناس﴾: يوم يقومون من قبورهم لأمر رب العالمين، أو لجزائه، أو لحسابه، أو لحكمه وقضائه. وفي وصف اليوم بالعظيم مع قيام الناس لله خاضعين فيه ووصفه سبحانه بكونه رب العالمين دلالة على عظم ذنب التطفيف، ومزيد إثمه وفظاعة عقابه. وقيل المراد بقوله: ﴿**يوم يقوم الناس**﴾، قيامهم في رشجهم إلى أنصاف آذانهم. . .

---

(١) الإمام الطبري - سورة المطففين - الآية (٦) ص ٧١).
(٢) الإمام الرازي - سورة المطففين - الآية (٦) ص ١٠١ م ١٢ ج ٣١.
(٣) الإمام أبو السعود - سورة المطففين - الآية (٦) ص ١٣٠ م ١٧.
(٤) الإمام الشوكاني - سورة المطففين - الآية (٦) ص ٤٠٣ (فتح القدير).

وقيل: المراد قيامهم بما عليهم من حقوق العباد، وقيل: المراد قيام الرسل بين يدي الله للقضاء، والأول أولى.

كما قال الإمام الألوسي[1]: -

أي لحكمه تعالى وقضائه عز وجل... ووصفه تعالى بربوبية العالمين من البيان البليغ لعظم الذنب وتفاقم الإثم في التطفيف من حيث هو تطفيف بل من حيث أن الميزان قانون العدل الذي قامت به السموات والأرض، فيعم الحكم التطفيف على الوجه الواقع من أولئك المطففين وغيره، وصح من رواية الحاكم والطبراني وغيرهما عن ابن عباس وغيره مرفوعاً خمس بخمس، قيل يا رسول الله وما خمس بخمس قال: ما نقض قوم العهد إلا سلط الله تعالى عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله تعالى إلا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر... وعن ابن عمر أنه كان يمر بالبائع فيقول: اتقِ الله تعالى وأوفِ الكيل فإن المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمٰن حتى أن العرق ليلجمهم.. وعن عكرمة أشهد أن كل كيال ووازن في النار.. فقيل له: إن ابنك كيال ووزان، فقال: أشهد أنه في النار وكأنه أراد المبالغة لما علم أن الغالب فيهم التطفيف، ومن هذا القبيل ما روى عن أبي رضي الله تعالى عنه لا تلتمس الحوائج ممن رزقه في رؤوس المكاييل أو الموازين، والله تعالى أعلم.

التحليل الإقتصادي: -:

بين الله تبارك وتعالى لنا طرق معايشنا الاقتصادية ومكاسبنا التجارية الحلال والحرام، وقد تنمو تجارتنا أو تزداد الأنشطة الإقتصادية، وفي النهاية سيأتي اليوم الذي يحاسبنا فيه الله عز وجل عن أفعالنا في الدنيا وعما اكتسبته أيدينا، أو اقترفته أنفسنا من ذنوب، فلا مجال في هذا اليوم الموعود.. وكل إنسان مؤمن بهذا اليوم الذي يحاسب فيه عن كل صغيرة وكبيرة،

(١) الإمام الألوسي - سورة المطففين - الآية (٦) ص ٧٨ م ١٥ ج ٣٠.

لا شك أنه يبتعد عن الحرام في تجارته ويتمسك بكتاب الله تعـالى وسنة رسوله ﷺ.

ثانياً: السمات الإسلامية في الاقتصاد للموازين والمكاييل

ذكرت بعض آيات القرآن الكريم في السور التي تحدثت عن قصة شعيب عليه السلام ومنها سورة الأعراف والشعراء العديد من السمات والمصطلحات التي تعتبر من القواعد الأساسية للإقتصاد في المنهج الإسلامي والمتميزة خاصة في المكاييل والموازين... فقد أوضح الله تبارك وتعالى لنا كيف تكون معاملاتنا الاقتصادية والتجارية والمالية، وما هي علاقة البائع والمشتري وكذلك العلاقات الدولية التجارية سواء بالوفاء والعدل والحق والقسطاس والأمانة في الكيل والميزان، وكذلك حذرنا ونهانا عن البخس وعدم الوفاء والنقص والغش والغبن في الكيل والميزان.

كل هذه الأسس والقواعد الاقتصادية في الإسلام للمكاييل والموازين ذكرت في قصة شعيب، وفي قصة يوسف عليهما السلام، وقد شرحها أفاضل العلماء، وحتى نتوصل إلى أسس ومفاهيم إسلامية في تعاملنا المالي والتجاري سنحلل النقاط الأساسية لكل من المكاييل والموازين: ـ

أ : إن الوزن أو الكيل يعتبر أساساً لتقييم السلعة بوزنها أو كيلها لمعرفة الوزن الحقيقي لها ولإعطائها القيمة المحددة لثمن البضاعة المراد وزنها أو كيلها.

ب : عندما نريد أن نزن بضاعة ما ونرغب في تحديد وزنها لمعرفة الوزن الحقيقي لها، ولنقدر بعد ذلك من احتساب ثمنها لإعطاء العدل والحق بين البائع والمشتري، وذلك لمعرفة القيمة النقدية للبضاعة المراد وزنها.

جـ: تحدد الدولة سعر بضاعة ما على ضوء قيمة وزنها الحقيقي، ومن ثم

تباع هذه البضاعة أو تشترى حسب الأسعار المحددة من الدولة.

د : إن تحديد الوزن والمكيال من قبل الدولة أو السلطة الحاكمة أي أن الدولة تعمل وتسك الأوزان مثلاً من الكيلو أو أكثر والنصف والربع وتدمغها من قبلها، وبذلك تحقق الدولة العدل والوزن الحقيقي للبضاعة وترسي أسس العدالة التجارية والتعامل التجاري الإسلامي بين المشتري والبائع.

هـ : عندما تحقق الدولة العدالة في الوزن والمكاييل لوزن البضاعة وإعطائها القيمة الحقيقية المسعرة حسب وزنها، فإن كل مشترٍ وبائع يسير حسب الأسس والأنظمة في الإسلام، والذي وضع الموازين والمكاييل لتحقيق الحق والعدل وإعطاء كل ذي حق حقه.

و : لقد أشارت قصة شعيب عليه السلام إجمالاً إلى الركيزة الأولى للعدل بين البائع والمشتري في سورة الأعراف وسورة الشعراء وسورة هود وسورة العنكبوت، وتركت التفاصيل بالنسبة لوحدات الكيل والميزان ليأخذ كل عصر بما يناسبه، وكل قطر بما يتفق ومصالحه... على أنه يوجد فرق بين كل من المكاييل والموازين من حيث النوعية الاقتصادية لها والمستعملة لاختلاف كل بضاعة... فكل بضاعة تقاس وتوزن حسب حجمها، وما ذلك إلا لتحقيق الحق والعدالة في الوزن والكيل.

وعندما نأخذ مثلاً اقتصادياً الحبوب والغلال تستعمل فيها المكاييل لأنها بضاعة مفرطة والمكيال يجمعها في مقياس معين كما ورد في قصة يوسف عليه السلام في سورة يوسف: **﴿ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين﴾** الآية (٥٩).. وكذلك ذكر الله تعالى في سورة يوسف: **﴿فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا: يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون﴾** الآية (٦٣).

ولقد تضمنت قصة شعيب عليه السلام في الآيات الكريمة من القرآن

الكريم كثيراً من الدروس والمفاهيم الاقتصادية التي تعتبر أساساً لبناء حياة اقتصادية سليمة.

ومن تلك المفاهيم الإسلامية في الاقتصاد التي نتعامل فيها في حياتنا الاقتصادية العملية في الأسواق وفي التجارة وفي المال ما يلي: -

الحق - العدل - البركات - حمد الله - الصبر - التصرف - العمل الصالح - المقارنة - الثواب - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - الأمانة - الإرث في الأرض - القلوب - الإصلاح - التفاضل - التوكل على الله - الحسنة والسيئة...

وعندما نحلل تلك المفاهيم الإسلامية في الاقتصاد من خلال قصة شعيب عليه السلام... نقول: -

علمنا الله تعالى من خلال قصة شعيب عليه السلام المنهج الإسلامي في الاقتصاد والذي يرتكز على مفاهيم الموازين والمكاييل.

وقد بين الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز أن الحق والعدل هو أساس الموازين.. كما أن الوفاء - القسط - الأمانة - الطاعة - الاستقامة - الصدق - التوكل على الله - التوفيق من الله.. هي صفات وتعاريف يجب على المسلم المؤمن اتباعها من أجل إقامة قاعدة إسلامية في اقتصادنا...

وقد نهانا الله تبارك وتعالى وحذرنا من التعامل في تجارتنا وأسواقنا بالبخس - النقص - الغش - الغبن...

وهكذا فإن هذه التعاريف والأسس الإسلامية تعتبر الركيزة الأولى لإقامة المجتمع الإسلامي.. وسنحلل ذلك كالتالي: -

١ - مبدأ التوكل على الله في التجارة: -

لا شك أن التوكل على الله من المبادىء الإسلامية الهامة التي إذا أحسن المسلم استخدامها كان الله حسبه وبالغ أمره.

والمسلم المؤمن الذي يزاول نشاطه التجاري والمالي في نطاق الرزق الحلال الذي ارتضى به والذي قسمه الله تبارك وتعالى له، سيعود عليه وعلى أسرته بفائدة كبيرة وسيبارك الله عز وجل في أمواله لأنه مؤمن يتقي الله ويراعي حقوق الناس في كافة تصرفاته وسلوكياته..

وفي قصة شعيب عليه السلام الكثير من المفاهيم والمصطلحات الاقتصادية منها: ـ

أ ـ التوكل على الله:

إن جميع الرسل والأنبياء كانوا متوكلين على الله عز وجل في جميع أفعالهم وأقوالهم.. وقد ذكر في سورة هود:

﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ٨٨﴾. الآية (٨٨).

وهكذا أعلن شعيب عليه السلام أنه يتوكل على الله عز وجل.. وأن الرزق الحسن والحلال هو خير طريق للعمل الصالح الذي يتقبله الله تبارك وتعالى... ولكن قومه كذبوه... ولم يؤمنوا برسالته... واستمروا يزاولون تجارتهم ومكاسبهم الحرام والتي نهى الله تبارك وتعالى عنها... فتعرضوا للعقاب والعذاب الأليم... في الدنيا والآخرة.

ومن ذلك نتعلم أن الله تعالى يرزق العباد في حياتهم الدنيوية سواء منهم المؤمن أو الكافر أو الذي لا يطبق تشريع الله... وقد ذكر في سورة الإسراء: **﴿كُلًّا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً﴾**. الآية (٢٠).

والرضا والقناعة هما من صفات المؤمن... الذي يبارك الله عز وجل في تجارته وأعماله وأمواله... لأنه يتوكل على الله العلي القدير ويرضى بما قسمه الله عز وجل في الدنيا، ويصبر على ما ابتلاه به ربه لأنه مؤمن بالله وبالرسول، وأن التوكل على الله يوفقه في جميع أعماله... ويبارك في أولاده... وينعم بالحياة الطيبة في الدنيا والآخرة...

وكما أشارت تلك القصة عن قوم شعيب عليه السلام الكافرين الذين لم يؤمنوا برسالته. . . وقد رزقهم الله من نعم كثيرة في أنشطتهم التجارية والمالية، ولكنهم لم ينتصحوا أو يؤمنوا برسالة شعيب عليه السلام، بل اعتبروا أن رزقهم في الحياة الدنيا من أنشطة تجارية ومالية عن طريق ما حرمه الله هو الطريق السليم، واعتبروا مكاسبهم وتوفيقهم عن طريق تجارتهم الحرام دون إيمان بأن الرزاق هو الله، فالكافر لا يتوكل على الله في أعماله.

ولبناء اقتصادنا الإسلامي علينا أن نطبق شريعة الله وأحكامها وسنة نبيه ﷺ، وأن نتوكل على الله في أعمالنا وتجارتنا ورزقنا لنفوز بالجنة. . .

ـ فقد ذكرت الآية الكريمة (٨٨) من سورة هود، والتي تحدثت عن توكل شعيب عليه السلام على الله تبارك وتعالى :

﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾.

وعندما نأتي إلى تفاسير أفاضل العلماء في ذلك نرى ما يلي : ـ

أما الإمام ابن كثير[1] فقد قال : ـ

﴿وما توفيقي﴾ أي في إصابة الحق فيما أريده **﴿إلا بالله عليه توكلت﴾** في جميع أموري **﴿وإليه أنيب﴾** أي أرجع، يقول لهم: **﴿ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي﴾** أي لا تحملكم عدواتي وبغضي على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر والفساد فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط من النقمة والعذاب.

وقال الشيخ المراغي[2] ـ

﴿وما توفيقي إلا بالله﴾ التوفيق والفوز والفلاح في كل عمل صالح وسعي حسن، وحصول ذلك يتوقف على كسب العامل وطلبه من الطريق

(١) الإمام ابن كثير ـ سورة هود ـ الآية (٨٨) ـ ص ٤٥٥.
(٢) الشيخ المراغي ـ سورة هود ـ الآية (٨٨) ص ٦٨ م٤.

الموصل إليه، وتيسير الأسباب التي يسهل معها الحصول عليه، وذلك إنما يكون من الله وحده، أي: وما توفيقي لإصابة الحق والصواب في كل ما آتي وما أذر إلا بهداية الله تعالى ومعونته، ﴿**عليه توكلت وإليه أنيب**﴾ أي عليه توكلت في أداء ما كلفني من تبليغكم ما أرسلت به لا على حولي وقوتي، وإليه أرجع في كل ما أهمني في الدنيا، وهو الذي يجازيني على أعمالي في الآخرة.

وقال الشيخ سيد قطب[1] ـ

﴿**وما توفيقي إلا بالله**﴾ فهو القادر على إنجاح مسعاي في الإصلاح بما يعلم من نيّتي، وبما يجزي على جهدي، ﴿**عليه توكلت**﴾ عليه وحده لا أعتمد على غيره، ﴿**وإليه أنيب**﴾ إليه وحده أرجع فيما يحزبني من الأمور، وإليه وحده أتوجه بنيتي وعملي ومسعاي. ثم يأخذ بهم في وادٍ آخر من التذكير فيطل بهم على مصارع قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط، فقد يفعل هذا في مثل تلك القلوب القاسية ما لم يفعله التوجيه العقلي اللين الذي يحتاج إلى رشد وتفكير.

تحليـــل: ـ:

من ذلك يستدل أن التوكل على الله هو أحد المفاهيم والمصطلحات الاقتصادية في الإسلام، فالمؤمن يعمل بما شرعه الله ثم يتوكل على الحيّ القيوم لأنه يؤمن بأن نجاح عمله بالتوكل على الله تعالى، أما الكافر فلا يؤمن بذلك، وينعكس التوكل على الله عز وجل في حياتنا اليومية بمجالاتها المختلفة... ويختلف التواكل عن التوكل.. فالتوكل على الله ينبثق من نفس مطمئنة تنفذ منهج الله تعالى وتؤمن بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر... بينما المتواكل لا يعمل ولا ينتج وإنما يطلب كل شيء من الآخرين وكأن السماء تمطر ذهباً وفضة، ولا يؤمن بتوفيق الله عز وجل...

وذكرت الآية (٨٩) من سورة الأعراف دعاء قوم شعيب الذين آمنوا به

---

(١) الشيخ سيد قطب ـ سورة هود ـ الآية (٨٨) ـ ص ١٩١٩ ج ١٢.

وهو توكلهم على الله تعالى وطلبهم أن يفتح بينهم وبين قومهم بالحق، وقد فسر ذلك العلماء الأفاضل بما يلي:

﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

وقال الإمام ابن الجوزي[1] ما يلي: ـ

إن قوم شعيب كانوا يدعون أن الله أمرهم بما هم عليه، فلذلك سموه ملة. **﴿وما يكون لنا أن نعود فيها﴾** أي: في الملة، **﴿ألا أن يشاء الله﴾** أي: إلا أن يكون قد سبق في علم الله ومشيئته أن نعود فيها، **﴿وسع ربنا كل شيء علماً﴾** قال ابن عباس: يعلم ما يكون قبل أن يكون.

قوله تعالى: **﴿على الله توكلنا﴾** أي: فيما توعدتمونا به، وفي حراستنا عن الضلال. **﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾**، قال أبو عبيدة: احكم بيننا... قال الزجاج: وجائز أن يكون المعنى: أظهر أمرنا حتى ينفتح ما بيننا وينكشف، فجائز أن يكونوا سألوا بهذا نزول العذاب بقومهم ليظهر أن الحق معهم.

وقال الإمام القرطبي[2]: ـ

قال أبو إسحاق الزجاج: أي إلا بمشيئة الله عز وجل، قال: وهذا قول أهل السنة، أي وما يقع منا العود إلى الكفر إلا أن يشاء الله ذلك.

فالإستثناء منقطع. وقيل: الإستثناء هنا على جهة التسليم لله عز وجل، كما قال: **﴿وما توفيقي إلا بالله﴾**. والدليل على هذا أن بعده **﴿وسع ربنا كل شيء علماً على الله توكلنا﴾**.

---

(١) الإمام ابن الجوزي ـ سورة الأعراف ـ الآية (٨٩) ـ ص ٢٣٠ م ٣.
(٢) الإمام القرطبي ـ سورة الأعراف ـ الآية (٨٩) ـ ص ٢٦٨٥ م ٢.

قوله تعالى: ﴿**وسع ربنا كل شيء علماً**﴾ أي علم ما كان وما يكون.

المعنى: ﴿**وما يكون لنا أن نعود فيها**﴾ أي في القرية بعد أن كرهتم مجاورتنا، بل نخرج من قريتكم مهاجرين إلى غيرها. ﴿**إلا أن يشاء الله**﴾ ردنا إليها.

قوله تعالى: ﴿**على الله توكلنا**﴾ أي اعتمدنا... ﴿**ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق**﴾، قال قتادة: بعثه الله إلى أمتين: أهل مدين، وأصحاب الأيكة. قال ابن عباس: وكان شعيب كثير الصلاة، فلما تمادى قومه في كفرهم وغيهم، ويئس من صلاحهم، دعا عليهم فقال: ﴿**ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين**﴾. فاستجاب الله دعاءه فأهلكهم بالرجفة.

وقال الإمام الشوكاني[1]: ـ

﴿**قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم**﴾ التي هي الشرك، ﴿**بعد إذ نجانا الله منها**﴾ بالإيمان فلا يكون منا عود إليها أصلاً ﴿**وما يكون لنا**﴾ أي ما يصح لنا ولا يستقيم ﴿**أن نعود فيها**﴾ بحال من الأحوال ﴿**إلا أن يشاء الله**﴾، أي إلا حال مشيئته سبحانه، فإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. قال والمعنى: أنه لا يكون منا العود إلى الكفر إلا أن يشاء الله ذلك.

﴿**وسع ربنا كل شيء علماً**﴾ أي أحاط علمه بكل المعلومات فلا يخرج عنه منها شيء، وقيل المعنى: ﴿**وما يكون لنا أن نعود فيها**﴾ أي القرية بعد أن كرهتم مجاورتنا لهم، ﴿**إلا أن يشاء الله**﴾ عودنا إليها، ﴿**على الله توكلنا**﴾ أي عليه اعتمدنا في أن يثبتنا على الإيمان، ويحول بيننا وبين الكفر وأهله ويتم علينا نعمته ويعصمنا من نقمته. قوله: ﴿**ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين**﴾ الفتاحة الحكومة أي احكم بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الحاكمين، دعوا الله سبحانه أن يحكم بينهم ولا يكون حكمه سبحانه إلا بنصر المحققين على المبطلين: كما أخبرنا به في

(١) الإمام الشوكاني ـ فتح القدير ـ سورة الأعراف ـ (الآية ٨٩) ص ٢٣٤.

غير موضع من كتابه فكأنهم طلبوا نزول العذاب بالكافرين وحلول نقمة الله بهم.

كما قال الإمام محمد رشيد رضا[1]: ـ

ما أعظم افتراءنا على الله تعالى إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وهدانا الصراط المستقيم، بالحنيفية ملة إبراهيم، وإذا كان من يتبع ملتكم يعد مفترياً على الله تعالى بقوله عليه ما لا يعلم، لا بهداية من الوحي، ولا برهان من العقل؟ فكيف يكون حال من افترى عليه وضل عن صراطه على علم؟ وإن كفر الجحود وهو إنكار الحق وغمطه بعد العلم به هو شر أنواع الكفر، والإفتراء على الله تعالى فيه أفظع ضروب الإفتراء التي لا يقبل فيها أدنى عذر؟.

﴿وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا﴾ هذا رفض آخر للعود في ملتهم مؤكد أبلغ التأكيد معطوف على مناسبه، والتعبير يدل على نفي الشأن، وهو أبلغ من نفي الفعل، لأنه نفي له بالدليل وهو كونه غير مستطاع، ولا جارٍ على سنن الله في الاجتماع، والمعنى ليس من شأننا أن نعود فيها في حال من الأحوال إلا حال مشيئة الله ربنا، المتصرف في جميع شئوننا فهو وحده القادر على ذلك لا يقدر عليه غيره لا أنتم ولا نحن أيضاً، لأننا موقنون بأن ملتكم باطلة ضارة مفسدة، وملتنا هي الحق، التي بها صلاح الناس وعمران الأرض.

وقال الشيخ مصطفى المراغي[2]:

أي ما أعظم افتراءنا على الله إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وهدانا الصراط المستقيم باتباع ملة إبراهيم.

وإذا كان اتباع ملتكم يعد افتراء على الله، لأنه قول عليه لا علم لنا به

(١) الإمام محمد رشيد رضا ـ المنار ـ سورة الأعراف ـ الآية (٨٩) ص ٥٢٦ ج ٩.
(٢) الشيخ مصطفى المراغي ـ سورة الأعراف ـ الآية (٨٩) ص ٢١٥ ج ٩.

يوحى ولا برهان من العقل، فكيف بمن يفتري عليه ويضل عن صراطه على علم؟.

فالكفر بالحق وغمطه بعد العلم به هو شر أنـواع الكفر، والإفتـراء على الله فيه أفظع ضروب الإفتراء التي لا تقبل فيها الأعذار بحال.

وفي قوله: ﴿ إذ نجانا﴾ أي نجا أصحابي منها فهو تعليل بإدخاله في زمرتهم أو نجاني من الانتماء إلى هذه الملة التي ما كنت أؤمن بعقيدتها ولا أعمل بعمل أهلها ولم أهتدِ بعقلي ورأيي إلى ملة خير منها فوقفت موقف الحيرة في شأنها.

كما جاء في خطاب النبي ﷺ قوله: ﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾، وقوله: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا﴾.

﴿وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا﴾ يقولون ما يكون لي أن أفعل كذا على معنى غير مستطاع لي ولا جارٍ على السنن المعقولة.

أي ليس من شأننا أن نعود فيها في حال من الأحوال إلا حال مشيئة ربنا المتصرف في جميع شئوننا، فهو وحده القادر على ذلك، لا أنتم ولا نحن، لأننا موقنون بأن ملتكم باطلة، وملتنا هي الحق التي بها صلاح حال البشر وعمران الأرض.

وهذه الجملة رفض آخر للعود إلى ملتهم مؤكداً أبلغ التأكيد، مؤيس لهم من عودته ومن آمن معه إلى ملتهم، فبعد أن نفى وقوع العود منهم باختيارهم نفاه نفياً مؤكداً بأنه ليس من شأنهم ولا يجيء من قبلهم بحال من الأحـوال كالتـرغيب والترهيب بـالرجـاء في المنافـع والخوف من المضـار كالإخراج من الديار، إلا حالاً واحدة وهي مشيئة الله ومشيئته تجري بحسب علمه وحكمته في خلقه، وسنته في خلقه أن ينصر أهـل الحق على أهل الباطل ما داموا ناصرين له وقائمين بما هداهم إليه منه.

وخلاصة ذلك ـ لا تطمعوا أن يشاء ربنا الحفيّ بنا عودتنا في ملتكم

بعد إذ نجانا منها بفضله، فما كان ليدحض حجته ويغير سنته.

﴿وسع ربنا كل شيء علماً﴾ فهو سبحانه يعلم كل حكمة ومصلحة، ومشيئته تجري على موجب الحكمة، فكل ما يقع فهو مشتمل عليها، وفي هذا إيماء إلى عدم الأمن من مكر الله سبحانه: **﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾**.

﴿على الله توكلنا﴾ أي إلى الله وحده وكلنا أمورنا مع قيامنا بكل ما أوجبه علينا من الحفاظ على شرعه ودينه، فهو الذي يكفينا تهديدكم وما ليس في استطاعتنا من جهادكم: **﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾**، إذ من شروط التوكل الصحيح القيام بالأحكام الشرعية ومراعاة السنن الكونية والاجتماعية، فمن يترك العمل بالأسباب فهو الجاهل المغرور لا المتوكل المأجور، كيف وقد قال النبي ﷺ لمن سأله: أيترك ناقته سائبة ويتوكل على الله؟ **«أعقلها وتوكل»** رواه الترمذي، وقال تعالى مخاطباً رسوله بعد أن أمره بمشورة أصحابه في غزوة أحد: **﴿فإذا عزمت فتوكل على الله﴾**، وإنما يكون العزم بعد الأخذ بالأسباب فقد لبس من يومئذ درعين وأعد العدة لقتال أعدائه، ورتب الجيوش بحسب القوانين المعروفة في ذلك العصر.

وخلاصة رد شعيب على الملأ من قومه ـ أنه عجب من تهديدهم وإنذارهم، وأقام الأدلة على امتناع عودهم إلى ملة الكفر باختيارهم، وعدم استطاعة أحد إجبارهم عليه غير الله الفعال لما يريد. ثم ثنى بذكر توكله على الله الذي يكفي من توكل عليه ما أهمه مما هو فوق كسبه واختياره، ثم ثلث بالدعاء الذي لا يكون مرجو الإجابة إلا بعد القيام بعمل ما في الطاقة من الأعمال الكسبية مع التوكل على الله فقال:

﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾.

والمعنى: ربنا احكم بيننا وبين قومنا بالحق الذي مضت به سنتك في التنازع بين المرسلين والكافرين، وبين المحقين والمبطلين، وأنت خير الحاكمين لإحاطة علمك بما يقع به التخاصم، وتنزهك عن اتباع الظلم، واتباع الهوى في الحكم.

الرجف: الحركة والإضطراب، والمراد بها الزلزلة، ومنه: ﴿**يوم ترجف الأرض والجبال**﴾، وغني بالمكان يغني: كرضي يرضى، إذا نزل به وأقام فيه، والأسي: شدة الحزن.

بعد أن ذكر سبحانه جواب الملأ من قوم شعيب وطلبهم منه العود إلى ملتهم وبين يأسهم منه بما كان من جوابه لهم الدال عى ثباته في مقارعتهم وأنه دائب النصح والتذكير لهم، علهم يرجعون عن غيهم.

ذكروا هنا أنهم حذروا من آمن منهم بالويل والثبور وعظائم الأمور، إذ سيلحقهم الخسار في دينهم والخسار في دنياهم، لعل ذلك يثنيهم عن عزيمتهم ويردهم إلى الرشاد من أمرهم بحسب ما يزعمون، فكانت عاقبة ذلك أن أصبحوا كأمس الدابر وأصبحت ديارهم خراباً يبابا لا أنيس فيها ولا جليس.

ب ـ فضل الله ونعمه علينا: ـ

أعطى الله قوم شعيب عليه السلام التجارة والأموال والنشاط الكثير في حركة البيع والشراء لأسواقهم وفي مكاسبهم كل ذلك من فضل الله العلي القدير عليهم، لكنهم لم يؤمنوا بذلك بل اعتقدوا أن رواج تجارتهم ومكسبهم أتى عن طريق الحركة الاقتصادية والإنتعاش الاقتصادي من خلال تجارتهم... ولهذا فقد علم شعيب عليه السلام قومه بأن ما آتاهم الله من كسب وأموال فهي من فضل الله عليهم وأن يبتعدوا عما حرمه الله عليهم، لأن الرواج والإنتعاش الاقتصادي والتجاري الذي ينعمون به هو من كسب حرام... حصلوا عليه بعد نقص الكيل والميزان وأنهم سلكوا الطريق الخطأ في مكاسبهم... وعليهم اتباع ما شرعه الله في نشاطهم التجاري وفي هذه المكاسب، ولكنهم لم يؤمنوا برسالة شعيب عليه السلام... فحق عليهم العذاب والعقاب...

ومن ذلك نتعلم أن فضل الله تعالى ونعمه على الناس هو أحد

المصطلحات الإسلامية في الاقتصاد والذي ينعكس على حياتنا واقتصادنا التطبيقي.

وعن ذلك تحدثت الآية (٨٥) من سورة الأعراف عن فضل الله ونعمه على قوم شعيب...

ونأتي إلى تفسير هذه الآية، والتي تقول: -

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ﴾.

قال الإمام الطبري[1]: -

فتأويل الكلام على ما قاله ابن إسحٰق، ولقد أرسلنا إلى ولد مدين أخاهم شعيب بن ميكيل يدعوهم إلى طاعة الله والإنتهاء إلى أمره وترك السعي في الأرض بالفساد والصد عن سبيله، فقال لهم شعيب: يا قوم اعبدو الله وحده لا شريك له مالكم من إله يستوجب عليكم العبادة غير الإله الذي خلقكم وبيده نفعكم وضركم فقد جاءتكم بينة من ربكم.

وجاء في تفسير الإمام الفخر الرازي[2]: -

واعلم أنه تعالى حكى عن شعيب أنه أمر قومه في هذه الآية بأشياء:

الأول: أنه أمرهم بعبادة الله ونهاهم عن عبادة غير الله، وهذا أصل معتبر في شرائع جميع الأنبياء... فقال: ﴿اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾.

والثاني: أنه ادعى النبوة فقال: ﴿قد جاءتكم بينة من ربكم﴾، ويجب أن يكون المراد من البينة ها هنا المعجزة، لأنه لا بد لمدعي النبوة منها... فهذه الآية دلت على أنه حصلت له معجزة دالة على صدقه...

(١) الإمام الطبري - سورة الأعراف - الآية (٨٥) - ص ١٦٦ - م ٤.

(٢) الإمام الفخر الرازي - سوة الأعراف - الآية (٨٥) - ص ١٧٢ - م ١٢.

وجار في تفسير الشيخ محمد رشيد، رضا[1]: -

قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»، رواه الشيخان وغيرهما من حديث أبي هريرة، ومعناه أن كل نبي أعطاه الله من الآيات الدالة على صدقه وصحة دعوته ما شأنه أن يؤمن البشر بدلالة مثله. وقد يقال: أن إنذار قومه بأن يصيبهم ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح إذا هم أصروا على شقاقه وعناده - هو آية بينة على صدقه، وقد صدق إنذاره هذا وهو مبين في قصته في سورة هود.

على أن البينة كل ما يتبين به الحق فهي تشمل المعجزات الكونية والبراهين العقلية، والمعروف من أحوال الأمم القديمة أنها لم تكن تذعن إلا لخوارق العادات، ولو لم تكن البينة التي أيد الله تعالى بها شعيباً عليه السلام ملزمة للحجة قاطعة لألسنة العذر ومكابرة الحق لما ترتب عليها.

وقال الشيخ محمود حجازي[2] في تفسيره: -

فقال: يا قوم اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، مالكم من إله غيره، هو الذي خلقكم وخلق كل شيء لكم. قد جاءتكم بينة من ربكم، وآية دالة على صدقي.

كذلك تحدثت الآية (٨٤) من سورة هود عن فضل الله على قوم شعيب. . . ولنأتي إلى تفسير هذه الآية والتي تقول: -

﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾.

---

(١) الشيخ محمد رشيد رضا - المنار - سورة الأعراف - الآية (٨٥) ص ٥٢٣ م ٩.

(٢) الشيخ محمود حجازي - سورة الأعراف - الآية (٨٥) ص ٧٦ م ٩.

وقد جاء في تفسير الإمام الطبري[1] لهذه الآية ما يلي: ـ

يقول: أطيعوه وتذللوا له بالطاعة لما أمركم به ونهاكم عنه ما لكم من إله غيره، يقول: مالكم من معبود سواه يستحق عليكم العبادة غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان، يقول: ولا تنقصوا الناس حقوقهم في مكيالكم وميزانكم إني أراكم بخير.

يقول الإمام الرازي[2]: ـ

واعلم أنا بيّنا أن الأنبياء عليهم السلام يشرعون في أول الأمر بالدعوة إلى التوحيد، فلهذا قال شعيب عليه السلام: «مالكم من إله غيره»، ثم إنهم بعد الدعوة إلى التوحيد يدعون إلى الأهم فالأهم.

وقال الإمام ابن كثير[3]: ـ

أي دلالة وحجة واضحة وبرهان قاطع على صدق ما جئتكم به، وأنه أرسلني وهو ما أجرى الله على يديه من المعجزات التي لم تنقل إلينا تفصيلاً، وإن كان هذا اللفظ قد دل عليها إجمالاً **﴿فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾** أمرهم بالعدل ونهاهم عن الظلم وتوعدهم على خلاف ذلك

ويقول الشيخ سيد قطب[4]: ـ

وقد بدأهم شعيب بما بدأ به كل رسول قومه من أصل العقيدة والتعفف عن الأجر، ثم أخذ يواجههم بما هو من خاصة شأنهم.

﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين، وزنوا بالقسطاس المستقيم، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾.

---

(١) الإمام الطبري ـ سورة هود ـ الآية (٨٤) ـ ص ٦٠ ـ ٩ م.

(٢) الإمام الرازي ـ سورة هود ـ الآية (٨٤) ص ٣٩ م ٦ ج ١٨.

(٣) الإمام ابن كثير ـ البداية والنهاية ـ سورة الأعراف ـ الآية (٨٥) ج أول ص ١٨٦.

(٤) الشيخ سيد قطب ـ سورة الشعراء ـ الآية (١٧٦) ـ ص ١٦١٤.

وقد ورد في تفسير المجلس الأعلى للشئون الإسلامية[1]:

هذه قصة شعيب مع أصحاب الأيكة وهي غيضة تنبت ناعم الشجر بقرب مدين، نزل بها جماعة من الناس وأقاموا بها. فبعث الله إليهم شعيباً كما بعث إلى مدين. فكذبوه في دعوته، وبهذا كانوا منكرين لجميع الرسالات. ـ اذكر ـ يا محمد ـ لقومك وقت قول شعيب لأصحاب الأيكة: ألا تخافوا الله فتؤمنوا به؟ فبادروا بتكذيبه. إني لهدايتكم وإرشادكم مرسل من رب العالمين. أمين على توصيل رسالته إليكم. فاحذروا عقوبة الله. وأطيعوني باتباع أوامر الله وتخليص أنفسكم من الآثام. وما أطلب منكم على إرشادي وتعليمي أي أجر ـ ما جزائي الكامل في **مقابل** عملي إلا على رب العالمين.

جـ ـ التوفيق من الله: ـ

لقد ظن قوم شعيب عليه السلام أن الرواج والإنتعاش التجاري الذي حققوه من خلال الحركة التجارية والإقتصادية القائمة على أساس نقص الكيل والميزان أو تطفيفهما.. سيكون سبباً في سعادتهم بعد أن كذبوا شعيباً عليه السلام... ونسوا أن أي رواج أو انتعاش في تجارتهم لا يأتي إلا بتوفيق من عند الله وما حلله الله في شريعته لهم وأن لا سينزل عليهم العقاب بسبب تكذيبهم شعيب عليه السلام.. وقد ذكر في سورة هود:

﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً

(١) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ـ المنتخب سورة الشعراء من آية ١٧٦ ص ٥٥٧.

وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ان أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾.

الآية (٨٨)

وكما ذكر الله تعالى في سورة الشعراء:

﴿فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم (١٨٩) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٩٠) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (١٩١) وإنه لتنزيل من رب العالمين (١٩٢)﴾.

ومن ذلك نتعلم في أنشطتنا المالية والإقتصادية، ومن خلال تلك القصة أنه لبناء مجتمعنا الإسلامي على أساس من التشريع الإسلامي وأن نجاح ورواج أنشطتنا المالية والتجارية لا تأتي إلا من عند الله وبتوفيقه عز وجل لكل مسلم مؤمن مطبق لكتاب الله، ويأخذ تلك القصة مثالاً للأقوام السابقين الذين عصوا أمر الله في أنشطتهم المالية والتجارية.

د ـ الأجر والثواب:

علمنا الله تعالى في كتابه العزيز أن المسلم المؤمن الذي يطبق شريعة الله وسنة نبيه في نشاطه وتجارته لكسب المال الحلال ويتعامل مع الناس بما حلله الله ويبتعد عما حرمه سيتحقق له الأجر والثواب من عند الله في الدنيا وفي الآخرة.

ولقد علم شعيب عليه السلام قومه الطريق الصحيح لمزاولة نشاطهم المالي والتجاري بما حلله الله لهم، وأن يبتعدوا عن المحرمات التي نهى الله عنها في تجارتهم وتعاملهم مع الناس في البيع والشراء من الغش ونقص في الكيل والميزان والتحايل وكسب الأموال بالباطل عن طريق ما حرمه الله في التجارة والمكاسب، وأن يعملوا صالحاً كي يفوزوا بالجنة ويستحقوا الأجر والثواب لأنهم طبقوا شرع الله عز وجل. . . ولكن قوم شعيب عليه السلام أبوا ذلك وكذبوه وكما بين الله تعالى في سورة الشعراء:

﴿إذ قال لهم شعيب ألا تتقون (١٧٧) إني لكم رسول أمين (١٧٨) فاتقوا الله وأطيعون (١٧٩) وما أسألكم عليه من أجر ان أجري إلا على رب العالمين (١٨٠)﴾.

وفيما يلي بعض تفاسير أفاضل العلماء حول الأجر والثواب من خلال قصة شعيب كما ذكرت سورة هود ـ الآية (٨٦): ـ

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾.

قال الإمام الزمخشري[1]: ـ

﴿**بقيت الله**﴾ ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم.

﴿**خير لكم إن كنتم مؤمنين**﴾ بشرط أن تؤمنوا وإنما خوطبوا بترك التطفيف والبخس والفساد في الأرض وهم كفرة بشرط الإيمان.

ويجوز إذ: إن كنتم مصدقين لي فيما أقول لكم وأنصح به إياكم...

ويجوز أن يراد: ما يبقى لكم من عند الله من الطاعات خير لكم، كقوله ـ والباقيات الصالحات خير عند ربك ـ وإضافة البقية إلى الله من حيث أنها رزقه الذي يجوز أن يضاف إليه، وأما الحرام فلا يضاف إلى الله ولا يسمى رزقاً، وإذا أريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله: ﴿**وما أنا عليكم بحفيظ**﴾، وما بعثت لأحفظ عليكم أعمالكم وأجازيكم عليها وإنما بعثت مبلغاً ومنبهاً على الخير وناصحاً وقد أعذرت حين أنذرت.

وقال الإمام ابن كثير[2]: ـ

﴿**بقيت الله خير لكم**﴾ أي رزق الله خير لكم من أخذ أموال الناس.

---

(١) الإمام الزمخشري الخوارزمي ـ الكشاف ـ سورة هود ـ الآية (٨٦) ص ٢٨٤.
(٢) البداية والنهاية ـ الحافظ ابن كثير ـ سورة هود ـ الآية (٨٦) ج ١ ص ١٨٧.

وقال ابن جرير: ما فضل لكم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان خير لكم من أخذ أموال الناس بالتطفيف. قال: وقد روى هذا عن ابن عباس وهذا الذي قاله وحكاه حسن وهو شبيه بقوله تعالى: **﴿قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبتك كثرة الخبيث﴾**، يعني أن القليل من الحلال خير لكم من الكثير من الحرام، فإن الحلال مبارك وإن قل، والحرام ممحوق وإن كثر، كما قال تعالى: **﴿يمحق الله الربا ويربي الصدقات﴾**، وقال رسول الله ﷺ: «إن الربا وإن كثر فإن مصيره إلى قل»، رواه أحمد أي إلى قله. قال نبي الله شعيب: **﴿بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾**، وقوله: **﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾**، أي افعلوا ما آمركم به ابتغاء وجه الله ورجاء ثوابه لا لأراكم أنا وغيري.

وقال الشيخ المراغي[1]: -

﴿بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾ أي ما يبقى لكم بعد إيفاء الكيل والميزان من الربح الحلال خير لكم مما تأخذونه بالتطفيف ونحوه من الحرام إن كنتم مؤمنين به حق الإيمان، فالإيمان يطهر النفس من رذيلة الطمع ويحليها بفضيلة السخاء والكرم. **﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾** أي وما أنا بالذي أستطيع أن أحفظكم من القبائح وإنما أنا ناصح مبلغ وقد أعذرت إذا أنذرت ولم آل جهداً في ذلك.

الحليم: ذو الأناة والتروي الذي لا يتعجل بأمر قبل الثقة من فائدته، والرشيد: الذي لا يأمر إلا بما استباه له من الخير والرشد والمخالفة: أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في قوله أو فعله أو حاله، وأناب إلى الله: رجع إليه، وحرم الذنب أو المال: كسبه، ورحيم: عظيم الرحمة للمستغفرين، ودود: كثير اللطف والإحسان إليهم.

بعد أن ذكر أمر شعيب لقومه بعبادة الله وحده وعدم النقص في الكيل والميزان ذكر هنا ردهم على كلا الأمرين، فردوا على الأول بأنهم إنما ساروا

---

(١) الشيخ مصطفى المراغي - سورة هود - الآية (٨٦) ص ٥٠ م ٤.

على منهج آبائهم وأسلافهم في التدين والإيمان وردوا على الثاني بأنهم أحرار في أموالهم يتصرفون فيها بما يجلب لهم المصلحة فيها.

هـ ـ حمد الله: ـ

علمنا الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام أحد المفاهيم والمصطلحات الإسلامية التي تعتبر من أساسيات الإقتصاد في أرزاقنا ومعايشنا، وهو أن نحمد الله على نعمته بالصلاة والزكاة واتباع كتابه. . . وقد بين الله تعالى في سورة هود:

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾. آية (٨٦)

وقال الإمام ابن كثير[1]: ـ

﴿بقيّت الله خير لكم﴾ أي رزق الله خير لكم من أخذ أموال الناس. وقال ابن جرير: ما فضل لكم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان خير لكم من أخذ أموال الناس بالتطفيف. قال: وقد روي هذا عن ابن عباس وهذا الذي قاله وحكاه حسن وهو شبيه بقوله تعالى: **﴿قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبتك كثرة الخبيث﴾**، يعني: أن القليل من الحلال خير لكم من الكثير من الحرام، فإن الحلال مبارك وإن قل، والحرام ممحوق وإن كثر، كما قال تعالى: **﴿يمحق الله الربا ويربي الصدقات﴾**، وقال رسول الله ﷺ: «إن الربا وإن كثير فإن مصيره إلى قل»، رواه أحمد أي إلى قله. قال نبي الله شعيب: **﴿بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾**، وقوله: **﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾**، أي افعلوا ما آمركم به ابتغاء وجه الله ورجاء ثوابه لا لأراكم أنا وغيري.

وكذلك كما ذكر الله تعالى في سورة هود:

---

(١) البداية والنهاية ـ الحافظ بن كثير ـ سورة هود ـ الآية (٨٦) ج ١ ص ١٨٧.

﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴾.

آية (٨٩)

ثم نأتي إلى التفسير:

الإمام ابن كثير[1]: ـ

ثم حذرهم الله تعالى من خلال ترهيبهم فقال: **﴿يا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط ببعيد﴾**... أي نحملكم مخالفتي وبغضكم ما جئتكم به على الاستمرار على ضلالكم وجهلكم ومخالفتكم فيحل الله بكم من العذاب والنكال نظير ما أحله بنظرائكم وأشباهكم من قوم نوح وقوم هود وقوم صالح من المكذبين المخالفين. وقوله: **﴿وما قوم لوط منكم ببعيد﴾**، قيل: معناه في الزمان أي ما بالعهد من قدم مما قد بلغكم ما أحل بهم على كفرهم وعتوهم، وقيل: معناه وما هم منكم ببعيد في المحلة والمكان. وقيل: في الصفات والأفعال المستقبحات من قطع الطريق وأخذ أموال الناس جهرة وخفية بأنواع الحيل والشبهات والجمع بين هذه الأقوال ممكن فإنهم لم يكونوا بعيدين منهم لا زماناً ولا مكاناً ولا صفات ثم مزج الترهيب بالترغيب.

ومن ذلك علمنا الله تعالى بأن نحمده ونشكره على نعمته وليس كما فعل قوم شعيب عليه السلام بنبيهم حيث أنهم لم يؤمنوا برسالته كما أصروا على معصية أمر الله.

وهكذا تعلمنا من قصة قوم شعيب عليه السلام دروساً كثيرة تساعدنا على بناء اقتصادنا وتعاملنا في الأسواق وفي معايشنا وصناعاتنا، فالإسلام يدعونا لأن نبني معاملاتنا على العدل والحق والبعد عما نهانا الله عنه.

---

(١) البداية والنهاية ـ الحافظ بن كثير ـ سورة هود ـ الآية (٨٩) ص ١٩١، ج ١.

و ـ مشيئة الله:

ومن الأفعال المشينة التي ارتكبها ملأ من قوم شعيب عليه السلام الاستكبار.. ثم تهديدهم بإخراجه عليه السلام من القرية..

ففي سورة الأعراف: **﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين﴾**.

الآية (٨٨)

وتمادى قوم شعيب عليه السلام في ارتكاب المعاصي والذنوب.. رغم نصيحته عليه السلام وتحذيره لهم... ففي سورة الأعراف أيضاً:

﴿فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسي على قوم كافرين﴾.

آية (٩٣)

وهكذا... كان مصير قوم شعيب عليه السلام... الذين تحولوا إلى الخسران المبين فاستحقوا العقاب والعذاب... وكانت الرجفة أو الصيحة... فأصبحوا في ديارهم جاثمين... وتلك مشيئة الله عز وجل.

ومن قصة شعيب عليه السلام يتضح لنا... أن تصديق الرسل... والإيمان برسالاتهم... وعدم الإستكبار عليهم والبعد عن المعاصي والآثام التي ارتكبها قوم شعيب عليه السلام لهو خير طريق للنجاح والفلاح... بل إنه أقصر طريق لإقامة اقتصاد قوي سليم مبني على أسس شريعتنا الإسلامية السمحاء...

ز ـ البركات: ـ

ورد في قصة شعيب عليه السلام أحد المفاهيم الإسلامية التي لا يؤمن بها إلا المسلم المؤمن بكلام الله وهي البركات... حيث أن الله تعالى أرشدنا إلى أن بركاته تأتي من السماء والأرض ويعم الخير للبشر لأمة

أو لقرية مؤمنة بكتاب الله، كما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف:

﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾.

آية (٩٦)

وقد ورد في كتاب «سنن ابن ماجه»[1] عن البركة في كيل الطعام ما قاله الرسول الكريم ﷺ: -

٢٢٥١ - حدثنا عمْرُو بنُ عُثْمَانْ بنِ سَعيدٍ بنِ كثيرٍ بنِ دِينَارٍ الحِمْصيُّ، قَال: حدَّثنا بَقيَّةُ بنُ الوَليدِ عَنْ بجيرٍ بنِ سَعدٍ، عَنْ خَالدٍ بنِ مَعْدَانَ، عنِ المقدَامِ بنِ معد يكرِب، عَنْ أبي أيُّوب، عنِ النبيِّ ﷺ قَال: «كِيلُوا طعامكم يُبارِكْ لَكمْ فِيهِ».

وهكذا يبين لنا أن البركة تأتي من عند الله ومن فضله، وهذا درس اقتصادي استفدناه من تلك القصة لبناء اقتصادنا العملي في أمتنا الإسلامية حيث أن الله يعطي بركته في أموالنا وتجارتنا وأعمالنا ومكاسبنا لقوم يؤمنون بكلام الله وسنة نبيه، وأن يبتعدوا عن المعاصي والمحظورات التي حرمها الله علينا ليعطينا الله من بركاته في أرزاقنا وأولادنا وأمتنا الإسلامية.

ط - الشكـر: -

هو واجب على كل مسلم مؤمن... فالإنسان الذي يشكر ربه ويحمده على نعمه التي لا تعد ولا تحصى.. له جزاء طيب عند الله عز وجل.. ففي سورة إبراهيم:

﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾. آية (٧)، في سورة الإسراء: **﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك**

---

١) سنن ابن ماجه - الجزء الثاني - ص ٢٠ - ٢٢٥١.

كان سعيهم مشكوراً﴾ آية (١٩). وفي سورة القمر: **﴿كذلك نجزي من شكر﴾** آية (٣٥).

والشكر ضده الكفر كما بينت الآية (٧) من سورة إبراهيم، وقد سبق ذكرها... وقد أوضحت لنا قصة شعيب عليه السلام كيف كانت عاقبة قومه الذين كفروا ولم يتعظوا بمن سبقهم ولم يصدقوا النصيحة التي قدمها لهم شعيب عليه السلام... ففي سورة هود: **﴿ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط ببعيد﴾** آية (٨٩).

ومن ذلك نسترشد بقصة شعيب عليه السلام بأن الشكر هو خير ما يتصف به المسلم.. كي يبني حياته الاقتصادية على أسس إسلامية صحيحة...

ي - سبيل الله وطاعته: -

علمنا الله تعالى أنه أرسل شعيباً عليه السلام إلى قومه لينير لهم طريق التعامل بإتمام الكيل والميزان والقسط والعدل، ولكن قومه كذبوه ولم يطيعوه.. كما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف...

﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾.

الآيتين (٩٢)، (٩٣) من سورة الأعراف

وقد أوضحت لنا قصة شعيب عليه السلام أن قومه كانوا يقعدون على الطريق فيقطعونه ويصدون عن سبيل الله من آمن به رغم تحذيره لهم وحثهم على ألا يفسدوا في أرض الله بالمعاصي ويفعلون أعمالاً حرمها الله... ولهذا دعاهم للإخلاص في معاملاتهم وعبادة الله وحده لا شريك له وألا يصدوا عن سبيل الله من آمن به، كما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف: **﴿ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها**

عوجا واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾، آية (٨٦).

وفي سورة الشعراء: ﴿إذ قال لهم شعيب ألا تتقون (١٧٧) إني لكم رسول أمين (١٧٨) فاتقوا الله وأطيعون﴾ (١٧٩).

وبهذا تعلمنا من خلال قصة شعيب عليه السلام ضرورة طاعة الله فيما أمر وعدم الصد عن سبيل الله... وذلك إذا أردنا بناء اقتصاد قوي تظله راية الإسلام والتوحيد وفق شريعة الله التي تؤكد الحق والعدل.

ك - العمل الصالح: -

بين الله لنا في قصة شعيب عليه السلام مع قومه أحد المصطلحات والمفاهيم الإسلامية في الاقتصاد وهو العمل الصالح... حيث علمنا الله من تلك القصة أساساً إسلامياً في حياتنا الإقتصادية في تعاملنا اليومي بعضنا البعض في أرزاقنا ومعايشنا وفي تجارتنا وفي صناعتنا... كل هذا التعامل الاقتصادي لحياتنا اليومية يعيشها الإنسان بكامل تصرفاته وما يفعله من عمل سواء كان صالحاً من حق وعدل وتطبيق لشريعة الله أو عمل يخالف أمر الله من غش وتحايل وربا وفساد في الأرض.. كل هذه الأعمال تعلمناها من قصة شعيب عليه السلام عن العمل الصالح ودوره فيما يؤديه المسلم المؤمن كما ذكرت سورة فاطر الآية (١٠).

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾.

وقد أوضح الله لنا في قصة شعيب عليه السلام أحد الدروس الإسلامية في الاقتصاد وهو أن يعمل المسلم المؤمن العمل الصالح حسب شريعة الله، ومن تلك القصة نهتدي إلى ما يأتي لبناء اقتصاد إسلامي سليم: -

١ - كان شعيب عليه السلام يهدي قومه إلى العمل الصالح والطريق السليم والبعد عن المعاصي التي نهانا الله عنها من عدم الوفاء والبخس في الكيل والميزان والفساد في الأرض وندرس منها ما يرشدنا للتعاريف

والمفاهيم الإسلامية في الاقتصاد للعمل الصالح.

ذكر الله تعالى في سورة هود: **﴿ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين (٨٥) بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ (٨٦).**

وكذلك بين الله لنا في سورة الأعراف: **﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين (٨٥)﴾.**

٢ ـ ذكر الله تعالى في سورة الأعراف: **﴿ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾**. آية (٨٦).

من ذلك أرشدنا الله إلى أحد المفاهيم والتعريفات الإسلامية في حياتنا الاقتصادية أن قوم شعيب عليه السلام كانوا لا يعملون العمل الصالح كما أمرهم الله بل كل الفساد والظلم وإفساد نظام المجتمع وأكل أموال الناس بالباطل، وأخذ الرشوة وقطع الطريق وانتزاع الأموال بطريق الحيل... كل هذه الأعمال بينها الله لنا في قصة شعيب عليه السلام عن الأعمال التي كانوا يفعلونها لفساد مجتمعهم... ولهذا فإن حكمة الله من تلك القصة أن نتمسك بالعمل الصالح ونحرص على أدائه، وأن نبتعد عن كل المعاصي وما نهانا الله عنه من فساد لبناء اقتصاد وتجارة ورزق حسن حسب شريعة الله وبأعمالنا الصالحة.

٣ ـ ورد في سورة هود: **﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾**... آية (٨٨).

ومن ذلك أوضح الله لنا أن شعيباً عليه السلام كان يهدي قومه إلى

العمل الصالح بالبعد عن عدم الوفاء في الكيل والميزان وأن يعطوا الناس حقوقهم وأن لا يخونوا الناس في أموالهم ويأخذوها على وجه البخس ونقص الكيل والميزان.

٤ - يتضح لنا أن شعيباً عليه السلام كان يرشدهم إلى الطريق السليم لبناء حياتهم على أسس سليمة تبنى على العدل والحق وإقامة مجتمع اقتصادي سليم يبعد عن الكسب الحرام من الغش والغبن وأكل الأموال بالباطل...

كما كان يرشدهم إلى طريق العمل الصالح... كما ذكر الله تعالى في سورة هود - (الآية ٩٣).

﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾.

قال الدكتور محمد فريز منفيخي ما يلي[1]: -

وكما يكون التطفيف في الكيل والميزان يكون في أشياء أخرى.

فمن استأجر عاملاً ووقف أمامه يراقبه ويطالبه بتجويد عمله ثم إذا كان هو عاملاً أجيراً لم يراقب ربه في العمل ولم يقم به على الوجه الذي ينبغي أن يقوم به يكون واقفاً تحت طائلة هذا الوعيد مستوجباً لأليم العذاب مهما يكن عمله جل أو حقر، وإذا كان هذا الإنذار للمطففين الراضين بالقليل من السحت فما ظنك بأولئك الذين يأكلون أموال الناس بلا كيل ولا وزن بل يسلبونهم ما بأيديهم ويغلبونهم على ثمار أعمالهم فيحرمونهم التمتع بها اعتماداً على قوة الملك أو نفوذ السلطان أو باستعمال الحيل المختلفة، لا جرم أن هؤلاء لا يحسبون إلا في عداد الجاحدين المنكرين ليوم الدين وإن زعموا بألسنتهم أنهم من المؤمنين المخبتين. وعن ابن عمر أنه كان يمر بالبائع فيقول: اتقِ الله تعالى وأوفِ الكيل فإن المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمٰن حتى أن العرق ليلجمهم.

---

(١) الدكتور محمد فريز منفيخي - النظام الاقتصادي القرآني ص ١١٢٥.

٢ ـ الأخلاقيات في المعاملات التجارية: ـ

علمنا الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام الكثير من الملامح الاقتصادية في الإسلام، وهي تدخل في كيان الإنسان وتصرفه الذي ينعكس على ما تعلمه من كتاب الله عز وجل يطبقها في حياته الدنيوية من أجل أن يفوز بالآخرة. . .

ومن هذا المنطلق تعلمنا الكثير من الدروس المستفادة التي نبني بها أنفسنا. . . وهناك مفاهيم اقتصادية وصفات وأفعال وأخلاقيات أوضحتها قصة شعيب عليه السلام ومنها: ـ

(الأمانة ـ الإستقامة ـ التقوى ـ الصدق ـ الحق ـ القلوب ـ الإستغفار ـ التفاضل ـ المقارنة).

وفيما يلي تحليلاً مبسطاً لهذه المفاهيم الاقتصادية والصفات والأفعال والأخلاقيات: ـ

أ ـ الأمانـة:

أوضحت قصة شعيب عليه السلام أن لكل من الموازين والمكاييل جانب هام وهو الأمانة. . . فالأمانة تعتبر أحد الأسس الإسلامية في الموازين والمكاييل سواء بين البائع والمشتري كما ذكر في سورة الأعراف. . .

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾. الآية (٨٥).

وكذلك في سورة هود: ﴿ولا تنقصوا المكيال والميـزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عـذاب يوم محيط (٨٤) ويـا قوم أوفـوا المكيال والميـزان بـالقسط ولا تبخســوا النـاس أشيــاءهم ولا تعثـوا في الأرض مفسدين (٨٥)﴾.

وكذلك ذكر الله تعالى في سورة الشعراء: ﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين (١٨١) وزنوا بالقسطاس المستقيم (١٨٢)﴾.

من ذلك نستخلص أهم النقاط الأساسية في المعاملات الاقتصـادية التي أوضحتها لنا قصة شعيب عليه السلام وهي: -

١ - لقد حدد التشريع الإسلامي أن الأمانة هي أساس هام وضروري في التعامل بين البائع والمشتري من ناحية البضاعة حيث ينبغي أن تكون سليمة وليس فيها أي غش أو تلاعب.

٢ - كذلك نهى الشرع البائع أن يبيع بضاعة فاسدة إلى المشتري أو بها عيوب لم يبينها للمشتري فهذه التصرفات تدخل في نطاق عدم الأمانة في بيع البضاعة.

٣ - كذلك بين كتاب الله أن على البائع إيفاء الكيل والميزان وأن يكون أميناً عند بيع بضاعته للمشتري.

ولقد ذكر الله تعالى في قصص القرآن الكريم عن يوسف عليه السلام وأمانته... وقد علمنا الدروس الكثيرة في قول الحق والصدق في المعاملة، وكذلك تفسيره للرؤيا وتحمله أمانة ربه إلى شعب مصر، وكذلك عندما رأى ملك مصر أمانة يوسف عليه السلام جعله الوزير والمسئول الأول في مصر كما ذكر الله تعالى: ﴿وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين (٥٤) قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم (٥٥)﴾ سورة يوسف.

كذلك علمنا يوسف عليه السلام في أمانته تجاه المسئولية الملقاة على عاتقه وتجاه ملك مصر وشعبها أن فترة مسئوليتـه الإدارية في تلك الفتـرة

العصبية من الأربعة عشرة سنة في السبع سنين الأولى من الرخاء والسبع سنين الثانية من سنين القحط. . : فقد أدى الأمانة والمسئولية في علاقته مع شعب مصر وأمام ملكها وتبليغ رسالة ربه، كما ذكر الله تعالى في سورة يوسف: **﴿ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين﴾** آية (٥٩).

وكذلك كما ذكر الله تعالى في سورة يوسف: **﴿قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوفِ لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين﴾** آية (٨٨).

وبهذا تعلمنا من قصة يوسف عليه السلام الدروس الكثيرة عن أمانته في المعاملة وفي ثقة ملك مصر به، وكذلك أمانته تجاه ربه وتبليغ الرسالة وأداء الأمانة تجاه شعب مصر.

وقد شرح الدكتور محمد فريز منفيخي في كتابه: «النظام الاقتصادي[1] القرآني» الأمانة في عدم التطفيف وعدم بخس الناس أشياءهم. . . فقال: -

أتمو الكيل إذا كلتم للناس أو اكتلتم عليهم لأنفسكم وأوفو الميزان إذا وزنتم لأنفسكم فيما تبتاعون أو لغيركم فيما تبيعون فليكن كل ذلك وافياً تاماً بالعدل ولا تكونوا من أولئك المطففين. إذ أن الإيفاء يكون من الجانبين حين البيع وحين الشراء فيرضى المرء لغيره ما يرضاه لنفسه، وقوله: **﴿بالقسط﴾** يدل على تحري العدل في الكيل والميزان حال البيع والشراء بقدر المستطاع، وإن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا ما يسعها فعله بأن تأتيه بلا عسر ولا حرج فهو لا يكلف من يبيع أو يشتري الأقوات ونحوها أن يزنها أو يكيلها بحيث لا تزيد حبة ولا مثقالاً بل يكلفه أن يضبط الوزن والكيل له أو عليه سواء بحيث يعتقد أنه لم يظلم بزيادة ولا نقص يعتد بهما عرفاً، والقاعدة الشرعية أن التكليف إنما يكون بما في وسع المكلف بلا حرج ولا

---

(١) الدكتور محمد فريز منفيخي ـ النظام الاقتصادي القرآني ص ١١٢٢.

مشقة عليه ولو اتبع المسلمون هذه الوصية وعملوا بها لاستقامت أمور معاملاتهم وعظمت الثقة والأمانة بينهم.

ثنى الله بالأمر بإيفاء الكيل والميزان إذا باعوا، والنهي عن بخس الناس أشياءهم إذا اشتروا بعد أن أمرهم بتوحيد الله، لأن ذلك كان فاشياً فيهم أكثر من سائر المعاصي، ومن ثم تهتم به كما اهتم لوط بنهي قومه عن الفاحشة التي كانت فاشية بهم، فقد كانوا من المطففين الذين إذا اكتالوا على الناس أو وزنوا عليهم لأنفسهم ما يشترون من المكيلات والموزونات يستوفون حقهم أو يزيدون عليه، وإذا كالوهم أو وزنوهم ما يبيعون لهم يخسرون الكيل والميزان أي ينقصونه فيبخسونهم أشياءهم وينقصونهم حقوقهم.

ب ـ الحق:

أوضحت لنا قصة شعيب عليه السلام أن إقامة الحق بين الناس وإعطاء كل ذي حق حقه هو ركن أساسي في العقيدة الإسلامية والتي بني عليها اقتصاد الأمة الإسلامية...

وقد كان قوم شعيب عليه السلام مفسدون في الأرض ولا يعطون كل ذي حق حقه... كما كانوا ينقصون حقوق الناس في أموالهم ويأخذونها على وجه البخس وعدم الوفاء في الكيل والميزان... كما اتقنوا الحيل التجارية والتلاعب والغش والمساومة وظلم الناس...

والحق هو أحد المفاهيم الإسلامية في الاقتصاد... فإذا فسد المجتمع يتعرض للإنهيار السريع.... والإنحلال الذي يقوضه من كافة أركانه...

وقد ذكر في سورة الأعراف...

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ

﴿ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾. الآية (٨٥)

وكذلك كما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف...

﴿ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾.

الآية (٨٩)

وفي ذلك ما ورد في كتاب «سنن ابن ماجه»[1] في سيرة الرسول العطرة عندما هاجر المسلمون من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وعن موازينهم وكيلهم ما يلي: ـ

٢٢٤٢ ـ حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم، ومحمد بن عقيل بن خويلد، قالا: حدثنا علي بن الحسين بن واقد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني يزيد النحوي؛ أن عكرمة حدثه عن ابن عباس؛ قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً. فأنزل الله عز وجل: ﴿ويل للمطففين﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك.

ولهذا فإن إقامة الحق هو أساس معاملاتنا وتجارتنا وأسواقنا، وفي كل المعاملات الاقتصادية في المجتمع... فإن إقامة الحق هو أحد الأسس التي شرعها الله في المجتمع الإسلامي لتعم العدالة الاقتصادية والتجارية والمالية بين المتعاملين.

جـ ـ الإستقامة:

إن الإستقامة في المجتمع هي أقوى القواعد والمناهج الإسلامية لبناء اقتصاد سليم يعم فيه العدل والحق بموازينهم وكيلهم حيث أن الإستقامة في

---

(١) «سنن ابن ماجه» ـ الجزء الثاني ـ ص ٢٠ ـ ٢٢٤٢.

المجتمع تعتبر الركيزة الأساسية في التشريع الإسلامي، والتي ذكرها الله تعالى بإرساله شعيباً لقومه، وكذلك بقية الأنبياء والرسل، كما تعلمنا من قصص القرآن الكريم...

وعن ذلك ما ورد في كتاب «سنن ابن ماجه»[1] في سيرة الرسول العطرة عن الإستقامة في السلف في كيل ووزن معلوم إلى أجل معلوم، ما يلي: -

۲۳۰۰ - حدثنا هشام بن عمار، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن عبد الله بن كثير (۱۸۳ ب)، عن أبي المنهال، عن ابن عباس؛ قال: قدم النبي ﷺ وهم يسلفون في الثمر، السنتين والثلاث. فقال: «من أسلف في تمر فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم، إلى أجل معلوم».

۲۳۰۱ - حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام، عن أبيه، عن جده عبد الله بن سلام؛ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «إن بني فلان أسلموا لقوم من اليهود وإنهم قد جاعوا. فأخاف أن يرتدوا. فقال النبي ﷺ: «من عنده؟»، قال رجل من اليهود: عندي كذا وكذا لشيء سماه أراه قال: ثلاثمائة دينار بسعر كذا وكذا من حائط بني فلان. فقال رسول الله ﷺ: «بسعر كذا وكذا إلى أجل كذا وكذا، وليس من حائط بني فلان».

۲۳۰۲ - حدثنا محمّد بن بشار، قال: حدثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمٰن بن مهدي. قالا: حدثنا شعبة، قال يحيى: عن عبد الله بن أبي المجالد. وقال عبد الرحمن: عن ابن أبي المجالد، قال: امترى عبد الله بن شداد وأبو بردة في السلم. فأرسلوني إلى عبد الله بن أبي أوفى. فسألته فقال: كنا نسلم على عهد رسول الله ﷺ وعهد أبي بكر وعمر في الحنطة والزبيب والشعير والتمر، عند قوم ما عندهم.

---

(۱) «سنن ابن ماجه» - الجزء الثاني - ص ۳۲.

فسألت ابن أبزي. فقال: مثل ذلك.

ولهذا فإن بناء أمتنا الإسلامية في تجارتنا وأوزاننا وكيلنا لا يأتي إلا بالإستقامة سواء استقامة الإنسان المسلم المؤمن الذي يطبق شريعة الله وسنة نبيه أو يستقيم في معاملاته للناس بإقامة الحق والعدل في معاملاته.

د ـ الصـدق:

الصدق هو أحد الصفات والأخلاقيات الإسلامية في الإنسان المسلم الذي يطبق شريعة الله وسنة نبيه، وهو يعتبر الركيزة الأساسية في الاقتصاد وخاصة في المعاملات التجارية والمالية والبيع والشراء في الأسواق...

والتاجر الصادق مع الصديقين والشهداء... وقد حث الإسلام على الصدق لأنه يطهر النفس ويبعد المرء عن وسوسة الشيطان... فالإنسان الصادق مع نفسه ومع الآخرين يحقق الخير والعدل في كافة معاملاته...

وتؤكد لنا قصة شعيب عليه السلام أن النقص في الميزان أو الكيل أو الزيادة بهما، وكذا التلاعب في الأعمال التجارية والمالية والتدليس والغش لها عواقب وخيمة وعذاب أليم في الدنيا والآخرة...

وعندما نرى ما كتبه المفسرون عن الآية الكريمة (١٩٠) من سورة الشعراء عن قوم شعيب ومدى تقبل المؤمن دعوة النبى من صدق وتكذيب الكافر لكلام الله تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

قال الإمام ابن كثير[1]: ـ

أي العزيز في انتقامه من الكافرين، الرحيم بعباده المؤمنين بقوله تعالى مخبراً عن الكتهاب الذي أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ: ﴿وانه﴾ أي القرآن الذي تقدم ذكره في أول السورة في قوله:

(١) الإمام ابن كثير ـ سورة الشعراء ـ الآية (١٩٠) ص ٣٤٩.

﴿وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث﴾.

كما جاء في قول الشيخ محمود حجازي[1] ـ

﴿إن في ذلك لآية﴾ يا كفار مكة لو كنتم تعلمون، وما كان أكثر قوم شعيب بمؤمنين، وإن ربك لهو العزيز الذي يعز أولياءه وينصرهم، ويذل أعداءه ويأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وهو الرحيم بالخلق جميعاً إن عاقب أو أثاب، ولا يتغير قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ الآية، تكريراً لأنها سبقت عقب كل قصة، وفي كل قصة آية وعبرة: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

قال الإمام الطبري[2]: ـ

يقول تعالى ذكره أن في تعذيبنا قوم شعيب عذاب يوم الظلة بتكذيبهم نبيهم شعيباً لآية لقومك يا محمد وعبرة لمن اعتبر إن اعتبروا إن سنتنا فيهم بتكذيبهم إياك سنتنا في أصحاب الأيكة وما كان أكثرهم مؤمنين في سابق علمنا فيهم وإن ربك يا محمد لهو العزيز في نقمته ممن انتقم منه من أعدائه الرحيم بمن تاب من خلقه وأناب إلى طاعته...

وقال الإمام ابن كثير[3]: ـ

ي وإن ربك لهو العزيز في انتقامه من الكافرين الرحيم بعباده المؤمنين التائبين.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

---

(١) الشيخ محمود حجازي ـ سورة الشعراء ـ الآية (١٩٠) ص ٧٣ ج ١٩.

(٢) الإمام الطبري ـ سورة الشعراء ـ الآية (١٩١) ص ٦٧.

(٣) الإمام ابن كثير ـ سورة الشعراء ـ الآية (١٩١).

قال الإمام الطبري[1]: ـ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿**وإنه لتنزيل رب العالمين بلسان عربي مبين**﴾، يقول تعالى ذكره وإن هذا القرآن لتنزيل من رب العالمين.

وقال الإمام الرازي[2]: ـ

وذلك لأنه لفصاحته معجز فيكون ذلـك من رب العالمين، أو لانـه اخبار عن القصص الماضية من غير تعلم البتة، فلا يكون ذلك إلا بوحي من الله تعالى.

هـ ـ الإستغفــار: ـ

هو من الأفعال والأخلاقيات التي طالب بها ودعا إليها معظم الرسل والأنبياء... وقد وعدنا الله تبارك وتعالى بالمتاع الحسن والمغفـرة.. ففي سورة هود: **وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً...**﴾ آية (٣)... وفي سورة المزمل: ﴿... **واستغفروا الله إن الله غفور رحيم**﴾ آية (٢٠).

وقد دعا شعيب عليه السلام قومه إلى الإستغفار والتوبة معاً... ففي سـورة هـود: ﴿**واستغفـروا ربكم ثم تـوبـوا إليـه إن ربي رحيم ودود**﴾ آية (٩٠).

ولو أن قوم شعيب عليه السلام آمنوا برسالته وصدقوه لفازوا برحمة الله وتجنبوا العذاب الذي حل بهم... ولكنهم كذبوه... وكانوا قوماً خاسرين وأصبحوا في دارهم جاثمين....

وفي سورة النساء... ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مـا دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً**﴾ آية (٤٨).

---

(١) الإمام الطبري ـ سورة الشعراء ـ الآية (١٩٢) ص ٦٨.

(٢) الإمام الرازي ـ سورة الشعراء ـ الآية (١٩٢) ص ١٦٥.

وقد دعا شعيب عليه السلام قومه بأن يستغفروا للواحد الأحد، وفيما يلي تفسير بعض أفاضل العلماء لما ذكرته سورة هود ـ الآية (٩٠): ـ

﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾.

يقول الإمام الطبري[1]:

استغفروا ربكم أيها القوم من ذنوبكم بينكم وبين ربكم التي أنتم عليها مقيمون من عبادة الآلهة والأصنام وبخس الناس حقوقهم في المكاييل والموازين.

وجاء في تفسير الإمام الرازي[2]: ـ

من الوجوه التي ذكرها شعيب عليه السلام قوله: ـ

واستغفروا ربكم من عبادة الأوثان ثم توبوا إليه عن البخس والنقصان إن ربي رحيم بأوليائه ودود. قال أبو بكر الأنباري الودود في أسماء الله تعالى المحب لعباده من قولهم وددت الرجل أوده. وقال الأزهري في كتابه شرح أسماء الله تعالى واعلم أن هذا الترتيب الذي راعاه شعيب عليه السلام في ذكر هذه الوجوه الخمسة ترتيب لطيف. وذلك لأنه بين أولاً أن ظهور البينة له وكثرة إنعام الله تعالى عليه في الظاهر والباطن يمنعه عن الخيانة، وفي وحي الله تعالى ويصده عن التهاون في تكاليفه، ثم بين ثانياً أنه مواظب على العمل بهذه الدعوة ولو كانت باطلة لما اشتغل هو بها مع اعترافكم بكونه حليماً رشيداً ثم بين صحته بطريق آخر وهو أنه كان معروفاً بتحصيل موجبات الصلاح وإخفاء موجبات الفتن.

فلو كانت هذه الدعوة باطلة لما اشتغل بها ثم لما بين صحة طريقته، أشار إلى نفس المعارض ونفيه وقال: لا ينبغي أن تحملكم عداوتي على

---

(١) الإمام الطبري ـ سورة هود ـ الآية (٩٠) ص ٦٣ م ٩.

(٢) الإمام الرازي ـ سورة هود ـ الآية (٩٠) ص ٤٥ م ٦ ج ١٨.

مذهب ودين تقعون بسببه في العداء الشديد من الله تعالى كما وقع فيه أقوام الأنبياء المتقدمين، ثم إنه لما صحح مذهب نفسه بهذه الدلائل عاد إلى تقرير ما ذكره أولاً وهو التوحيد والمنع من البخس.

وقال الشيخ محمد رشيد رضا[1]: ـ

﴿**واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه**﴾، أي اطلبوا منه المغفرة لما أنتم عليه من الشرك والمعاصي بتركهما ثم توبوا إليه كلما وقع منكم معصية، ﴿**إن ربي رحيم ودود**﴾ هذا تعليل لما قبله أي عظيم الرحمة للمستغفرين التائبين بمغفرته وعفوه كثير المودة لهم بإحسانه ونعمه، وهذا وعد قضي به على الوعيد الذي قبله وترك لهم الخيار فيما يرجحونه منهما بعد إقامة الحجة عليهم، والآية دليل على أن الندم على فعل الفساد والظلم بالتوبة واستغفار الرب تعالى من أسباب خير الدنيا والآخرة كما تقدم نظيره مكرراً في هذه السورة، وكذلك يقتضيان فعل العدل والإصلاح اللذين هما سبب العمران والخير في الدنيا ومغفرة الله ومثوبته في الآخرة، وقد عبر عنهما هنا بما يدل عليهما من صفاته تعالى وهي الرحمة والمودة.

وجاء في تفسير الشيخ المراغي[2]: ـ

﴿**واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه**﴾ أي واطلبوا من ربكم المغفرة مما أنتم عليه من عبادة الأوثان وبخس الناس حقوقهم في المكيال والميزان، ثم ارجعوا إلى طاعته والإنتهاء إلى أمره ونهيه. بعد أن جادلوه أولاً بالتي هي أحسن وعيت عليهم العلل وضاقت بهم الحيل، ولم يجدوا للمحاورة ثمرة ـ تحولوا إلى الإهانة والتهديد وجعلوا كلامه من الهذيان والتخليط الذي لا يفهم معناه ولا تدرك فحواه فقابلهم بالإنذار بقرب الوعيد، ونزول العذاب الشديد.

---

(١) الشيخ محمد رشيد رضا ـ سورة هود ـ الآية (٩٠) ص ١٤٥ م ١٢.

(٢) الشيخ مصطفى المراغي ـ سورة هود ـ الآية (٩٠) ص ٧٣ م ٤.

و ـ القلـوب:

لقد أرسل الله شعيباً إلى قومه ليهدي القلوب الضعيفة التي عصت أمر ربها بانتهاك المحرمات من النقص والبخس وعدم الوفاء بالكيل والميزان، وغير ذلك حيث نسترشد من قصة شعيب عليه السلام أن وسوسة الشيطان تدخل في قلب كل إنسان، ولكن المسلم المؤمن لا ينقاد إلى وسوسة الشيطان لمعصية أمر الله.

وقد ورد عن الإمام القاسمي في تفسيره للآية (١٩٠) من سورة الشعراء في قلب المؤمن والكافر بما ردد شعيب عليه السلام ما يلي: ـ

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

قال الإمام القاسمي[1]: ـ

﴿إن في ذلك لآية﴾ أي على أخذه العصاة بمقتضى أعمالهم: **﴿وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾**، إن الغالب على تعذيب من شاء بما شاء الرحيم، بإرسال الرسل وإنزال الكتب، لئلا يكون للناس على الله حجة.

قال الزمخشري: فإن قلت: كيف كرر في هذه السورة، في أول كل قصة واخرها، ما كرر؟ قلت: كل قصة منها كتنزيل برأسه. وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها. فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في أن تفتتح بما افتتحت به صاحبتها، وأن تختتم بما اختتمت به.

ولأن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس، وتثبيتاً لها في الصدور. ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد ما يراد بحفظه منها؟ وكلما زاد ترديد ما يراد بحفظه منها؟

وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب وأرسخ في الفهم، وأثبت للذكر وأبعد من النسيان. ولأن هذه القصص طرقت بها أذان.

وأنه لبناء اقتصاد سليم على أسس إسلامية لا بد أن نكون أقوياء أمام

(١) الإمام القاسمي ـ سورة الشعراء ـ الآية (١٩٠) ص ٤٤ م ٣.

رغبات الشيطان في الطمع والجشع في المال والتجارة وأن نقوى قلوبنا على هدى من كتاب الله وتعاليم سنة نبيه ولنبني مجتمعاً إسلامياً على العدل والحق.

ز ـ التفاضل: ـ

التفاضل هو أحد الأسس والقواعد الإسلامية في الاقتصاد وذلك كما ذكر الله تعالى في سورة هود: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾﴾.

من ذلك علمنا الله درساً عملياً كيف أن قوم شعيب رأوا أن شعيباً ضعيفاً عندما نصحهم وأرشدهم لكلام الله ولكن قوم شعيب لم يؤذوه بسبب رهطه أي جماعته وعشيرته.

وفيما يلي ما فسره بعض أفاضل العلماء من سورة هود ـ الآية (٩١) عن التفاضل: ـ

﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾.

قال الشيخ محمد رشيد رضا[1]: ـ

﴿قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول﴾ إن الفقه في اللغة أخص من الفهم والعلم وهو الفهم الدقيق العميق المؤثر في النفس الباعث على العمل أي ما نفقه كثيراً مما ترمي مما وراء ظواهر أقوالك من مواطنها وتأويلها كبطلان عبادة آلهتنا وقبح حرية التصرف في أموالنا وعذاب محيط يبيدنا وإصابتنا بمثل الأحداث الجوية التي نزلت بمن قبلنا كأن أمرها بيدك

(١) الشيخ محمد رشيد رضا ـ سورة هود ـ الآية (٩١) ص ١٤٧ م ١٢.

وتصرفك أو تصرف ربك يصيب بها من تشاء أو يشاء لأجلك: ﴿**إنا لنراك فينا ضعيفاً**﴾ لا حول لك ولا قوة تمتنع بها منا إن أردنا أن نبطش بك وأنت على ضعفك تنذرنا العذاب المحيط الذي لا يفلت منه أحد ﴿**ولولا رهطك**﴾ أي عشيرتك الأقربون ـ والرهط الجماعة من الثلاثة إلى السبعة أو العشرة ﴿**لرجمناك**﴾ لقتلناك شر قتلة وهي الرمي بالحجارة حتى تدفن فيها ﴿**وما أنت علينا بعزيز**﴾ أي بذي عزة ومنعة علينا تحول بيننا وبين رجمك، وإنما نعز رهطك ونكرمهم على قتلهم لأنهم منا وعلى ديننا الذي نبذته وراء ظهرك، وأهنته، ودعوتنا إلى تركه لبطلانه وفساده في زعمك.

وكذلك ما ذكر في الآية الكريمة من سورة هود: ـ

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾. الآية (٩٢).

قال الشيخ المراغي[1]: ـ

قال يا قوم أرهطي أعز عليكم وأكرم من الله حتى كان امتناعكم عن رجمي بسبب انتسابي إليهم وأنهم رهطي لا بسبب انتسابي إلى الله تعالى الذي أدعوكم إليه بأمره. ﴿**واتخذتموه وراءكم ظهريا**﴾ أي واستخففتم بربكم فجعلتموه خلف ظهوركم لا تأتمرون لأمره ولا تخافون عقابه ولا تعظمونه حق التعظيم، وكان القوم يؤمنون بالله ويشركون به سواه، وأكثر الناس اليوم لا يراقبون الله في أقوالهم ولا في أعمالهم فيرجوه إذا أساءوا ويتسابقون إلى الإحسان ابتغاء مرضاته. ﴿**إن ربي بما تعملون محيط**﴾ أي إن ربي محيط علمه بعملكم فلا يخفى عليه شيء منه وهو مجازيكم عليه وأما رهطي فلا يستطيعون لكم ضراً ولا نفعاً.

وفي الآية الكريمة يبين لنا الله فضله على قوم شعيب عليه السلام.

وكذلك ذكر الله في سورة الأعراف ـ الآية (٨٦).

---

(١) الشيخ مصطفى المراغي ـ سورة هود ـ الآية (٩٢) ص ٧٥ م ٤.

﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾.

قال الإمام ابن الجوزي[1]: ـ

قوله تعالى: **﴿واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم﴾** قال الزجاج: جائز أن يكون المعنى: جعلكم أغنياء بعد أن كنتم فقراء، وجائز أن يكون: كثر عددكم بعد أن كنتم قليلاً، وجائز أن يكونوا غير ذوي مقدرة وأقدار، فكثرهم... **﴿قال أولوا كنا كارهين﴾** أي: أو تجبروننا على ملتكم إن كرهناها؟

وقال الإمام ابن كثير[٣] في كتابه البداية والنهاية عن ذلك: ـ

﴿واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾، ذكرهم بنعمة الله تعالى عليهم في تكثيرهم بعد القلة وحذرهم نقمة الله بهم إن خالفوا ما أرشدهم إليه ودلهم عليه.

من ذلك يتبين لنا أن الإنسان يبت في بعض تصرفاته الاقتصادية من معاملات تجارية ومالية حسب الظروف أو يعطي حساب لغني أو فقر الشخص أو نفوذه ومركزه الاجتماعي، ولكن الله تعالى علمنا درساً في التفاضل أن المسلم يسير وفق كتاب الله في تصرفه وعمله أمام التعامل مع الآخرين.

ح ـ المقارنة: ـ

ذكر الله تعالى في سورة هود...

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾. الآية (٨٩).

وقد تحدث الله تعالى لنا عن الأقوام الذين حل بهم غضبه لأنهم

(١) الإمام ابن الجوزي ـ سورة الأعراف ـ الآية (٨٦) ص ٢٢٨ م ٣.

(٢) البداية والنهاية ـ الحافظ بن كثير ـ سورة الأعراف ـ الآية (٨٦) ج ١، ص ١٨٢.

عصوا أمره. . . وقد طالب شعيب عليه السلام قومه بألا يصيروا مثلهم وذكرهم بقوم نوح وهود وصالح عليهم السلام وما حدث لهم، وأن قوم لوط عليه السلام ليسوا ببعيد أي أن الزمن في تلك الحقبة التاريخية كان قريباً. . . وقد أرشدنا الله إلى أن المقارنة التي بينها لقوم شعيب عن الأقوام الآخرين هي أحد الدروس والمفاهيم الإسلامية في الاقتصاد لأن قوم شعيب عليه السلام كانوا يعصون أمر الله في تجارتهم وكسب أموالهم وأن شعيباً عليه السلام كان يحذرهم بألا يكونوا مثل الأقوام الأخرى حيث أصابهم الله بجزائه مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط. . .

وفيما يلي ما فسره أفاضل العلماء عما ذكرته سورة هود - الآية (٨٩): -

يقول الإمام الطبري[١]: -

يقول تعالى مخبراً عن قول شعيب لقومه: ﴿**ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي**﴾، يقول: لا يحملنكم عداوتي وبغضي وفراق الدين الذي أنا عليه على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر بالله وعبادة الأوثان وبخس الناس في المكيال والميزان وترك الإنابة والتوبة فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح من الغرق أو قوم هود من العذاب أو قوم صالح من الرجفة، وما قوم لوط الذين ائتفكت بهم الأرض منكم ببعيد هلاكهم أفلا تتعظون به وتعتبرون، يقول: فاعتبروا بهؤلاء واحذروا أن يصيبكم بشقاقي مثل الذين أصابهم.

وقال الإمام الرازي[٢]: -

أي لا يكسبنكم شقاقي إصابة العذاب. إذا عرفت هذا فنقول: المراد من الآية لا تكسبنكم معاداتكم إياي أن يصيبكم عذاب الإستئصال في الدنيا مثل ما حصل لقوم نوح عليه السلام من الغرق ولقوم هود من الريح العقيم. ولقوم صالح من الرجفة ولقوم لوط من الخسف.

---

(١) الإمام الطبري - سورة هود - الآية (٨٩) ص ٦٣ م ١٢.

(٢) الإمام الرازي - سورة هود - الآية (٨٩) ص ٤٧ ج ٦ م ١٨.

وأما قوله: ﴿ما قوم لوط منكم ببعيد﴾ ففيه وجهان:

الأول: أن المـراد نفي البعد في المكـان لأن بـلاط قـوم لـوط عليه السلام قريبة من «مدين».

والثاني: أن المراد نفي البعد في الزمان لأن إهلاك قوم لوط عليه السلام أقرب الإهلاكات التي عرفها الناس في زمان شعيب عليه السلام. وعلى هذين التقديرين فإن القرب في المكان وفي الزمان يفيد زيادة المعرفة وكمال الوقوف على الأحوال، فكأنه يقول: اعتبروا بأحوالهم واحذروا من مخالفة الله تعالى ومنازعته حتى لا ينزل بكم مثل ذلك.

كما قال الإمام ابن كثير[1]: -

ثم حذرهم الله تعالى من خلال ترهيبهم فقال: ﴿**يا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط ببعيد**﴾... أي نحملكم مخالفتي وبغضكم ما جئتكم به على الاستمرار على ضلالكم وجهلكم ومخالفتكم فيحل الله بكم من العذاب والنكال نظير ما أحله بنظرائكم وأشباهكم من قوم نوح وقوم هود وقوم صالح من المكذبين المخالفين. وقوله: ﴿**وما قوم لوط منكم ببعيد**﴾، قيل: معناه في الزمان أي ما بالعهد من قدم مما قد بلغكم ما أحل بهم على كفرهم وعتوهم، وقيل: معناه وما هم منكم ببعيد في المحلة والمكان. وقيل: في الصفات والأفعال المستقبحات من قطع الطريق وأخذ أموال الناس جهرة وخفية بأنواع الحيل والشبهات والجمع بين هذه الأقوال ممكن فإنهم لم يكونوا بعيدين منهم لا زماناً ولا مكاناً ولا صفات ثم مزج الترهيب بالترغيب.

وورد في تفسير الإمام الشوكاني[2]: -

قوله: ﴿**ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي**﴾ قال الزجاج: معناه لا يكسبنكم

---

(١) البداية والنهاية - الحافظ بن كثير - سورة هود - الآية (٨٩) ص ١٩١ ج ١.

(٢) الإمام الشوكاني - سورة هود - الآية (٨٩) ص ٥١٨.

شقاقي أصابه العذاب إياكم كما أصاب من كان قبلكم، وقيل معنا: لا يحملنكم شقاقي. والشقاق العداوة ﴿مثل ما أصاب قوم نوح﴾ من الغرق ﴿أو قوم هود﴾ من الريح ﴿أو قوم صالح﴾ من الصيحة، ﴿وما قوم لوط منكم ببعيد﴾ يحتمل أن يريد ليس مكانهم ببعيد من مكانكم أو ليس زمانهم ببعيد من زمانكم أو ليسوا ببعيد منكم في السبب الموجب لعقوبتهم: وهو مطلق الكفر وإفراد لفظ ﴿بعيد﴾ لمثل ما سبق في ﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾ ثم بعد ترهيبهم بالعذاب أمرهم بالإستغفار والتوبة.

أما الشيخ المراغي[1] فقال:

﴿وما قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح﴾، أي لا نحملنكم عداوتي وبغضي وفراق الدين الذي أنا عليه على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر بالله وعبادة الأوثان وبخس الناس في المكيال والميزان فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح من الغرق أو قوم هود من العذاب أو قوم صالح من الرجفة.

﴿ وماقوم لوط منكم ببعيد﴾ زماناً ولا مكاناً أي إن لم تعتبروا بمن ذكرنا قبل لقدم عهد أو بعد مكان فاعتبروا بهؤلاء فإنهم بمرأى منكم ومسمع. وقد يكون المعنى ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوىء فاحذروا أن يحل بكم مثل ما حل بهم من العذاب.

وقال الشيخ محمود حجازي[2]:

مثل ما أصاب قوم نوح بالغرق أو قوم هود بالريح العاتية، أو قوم صالح بالصيحة الطاغية وما عذاب قوم لوط منكم ببعيد زماناً ولا مكاناً ولا إجراماً.

---

(١) الشيخ مصطفى المراغي ـ سورة هود ـ الآية (٨٩) ص ٧٢ م ٤.
(٢) الشيخ محمود حجازي ـ سورة هود ـ الآية (٨٩) ص ٤٦ ج ١٢.

كما فسر أفاضل العلماء ما ذكرته سورة الأعراف - الآية (٨٧) بما يلي: -.

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

وقال الإمام ابن الجوزي[1] في ذلك: -

أي: إن اختلفتم في رسالتي، فصرتم فريقين، مصدقين ومكذبين **﴿فاصبروا حتى يحكم الله بيننا﴾** بتعذيب المكذبين، وإنجاء المصدقين، **﴿وهو خير الحاكمين﴾** لأنه العدل الذي لا يجور.

وقال الإمام الشوكاني[2]: -

هذا من باب التهديد والوعيد الشديد لهم. وليس هو من باب الأمر بالصبر على الكفر. وحكم الله بين الفريقين هو نصر المحقين على المبطلين.

(١) الإمام ابن الجوزي - سورة الأعراف - الآية (٨٧) - ص ٢٢٩ م ٣.
(٢) الإمام الشوكاني - فتح القدير - سورة الأعراف - الآية (٨٧) ص ٢٢٣ م ٢. ج ٢٩.

٣ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في التجارة: ـ

لقد ذكر الله تعالى في سورة هود: ﴿**ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين**﴾ الآية (٨٥).

وكذلك بين الله تعالى في سورة هود: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾. آية (٨٨).

قال الإمام أبو السعود[1] في ذلك: ـ

﴿**إن أريد إلا الإصلاح**﴾ أي ما أريد بالأمر والنهي إلا الإصلاح لكم ودفع الفساد في دينكم ومعاملاتكم، ﴿**ما استطعت**﴾ ما بلغت إليه استطاعتي وتمكنت منه طاقتي.

﴿**إن أريد**﴾ أي ما أريد بما أباشره من الأمر والنهي ﴿**إلا الإصلاح**﴾ إلا أن أصلحكم بالنصيحة والموعظة، ﴿**ما استطعت**﴾ أي مقدار ما استطعته من الإصلاح والتقييد به للإحتراز عن الإكتفاء بالإصلاح في الجملة لا عن إرادة ما ليس في وسعه منه، ﴿**وما توفيقي**﴾ أي كوني موفقاً لتحقيق ما أنتحيه من إصلاحكم، ﴿**إلا بالله**﴾ أي بتأييده ومعونته بل الإصلاح من حيث

(١) الإمام أبو السعود ـ سورة هود ـ الآية (٨٨) ـ ص ٢٣٤ م ٤.

الخلق مستند إليه سبحانه وإنما أنا من مباديه الظاهرة، قال عليه السلام تحقيقاً للحق وإزاحة لما عسى يوهمه إسناد الإستطاعة إليه بإرادته من استبداده بذلك، ﴿عليه توكلت﴾ في ذلك معرضاً عما عداه، فإنه القادر على كل مقدور وما عداه عاجز محض في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمعزل عن مرتبة الإستعداد به والإستظهار ﴿وإليه أنيب﴾ أي أرجع فيما أنا بصدده.

وقد جاء في تفسير الإمام القرطبي[1]: -

قوله تعالى: ﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي﴾ تقدم، ﴿ورزقني منه رزقاً حسناً﴾ أي واسعاً حلالاً، وكان شعيب عليه السلام كثير المال، قاله ابن عباس وغيره. وقيل: أراد به الهدى والتوفيق، والعلم والمعرفة، أي أفلا أنهاكم عن الضلال، وقيل المعنى: أرأيتم إن كنت على بينة من ربي «أتبع الضلال». وقيل: المعنى: أرأيتم إن كنت على بينة من ربي أتأمرونني بالعصيان في البخس والتطفيف وقد أغناني الله (ما أريد أن أخالفكم)، (إلى ما أنهاكم عنه) أي ليس أنهاكم عن شيء وأرتكبه، كما لا أترك ما أمرتكم به. إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت. أي ما أريد إلا فعل الصلاح، أي إن تصلحوا دنياكم بالعدل وآخرتكم، أي إن أريد إلا الإصلاح جهدي واستطاعتي. ﴿وما توفيقي﴾ أي رشدي والتوفيق الرشد. ﴿إلا بالله عليه توكلت﴾. ﴿وإليه أنيب﴾ أي أرجع فيما ينزل بي من جميع النوائب. وقيل: إليه أرجع في الآخرة. وقيل: إن الإنابة الدعاء ومعناه وله ادعوا.

كما قال الشيخ مصطفى المراغي[2]: -

أي ولا تقعدوا بكل طريق تخوفون من آمن بالقتل، وقد روي عن ابن عباس أن بلادهم كانت خصبة وكان الناس يمتارون منهم، فكانوا يقعدون

---

(١) الإمام القرطبي: سورة سود، آية (٨٨) - من ٣٣١٥ حتى ٣٣٢١.
(٢) الشيخ مصطفى المراغي - سورة الأعراف - الآية (٨٦) ص ٢٠٦ ج ٩.

على الطريق ويخوفون الناس أن يأتوا شعيباً ويقولـون لهم إنه كـذاب فلا يفتنكم عن دينكم.

وقـد رتب سبحانـه هذه الأوامـر والنواهي بحسب التـرتيب الزمني، فوجهت الدعوة أولاً إلى أقرب الناس في بلده، ثم إلى الأقرب فالأقرب من الذين يزورون أرضهم، وقد كان الأقربون داراً هم الأبعدون استجابة له، وحين رأوا غيرهم يقبل دعوته ويهتدي بها شرعوا يصدون الناس عنـه فلا يدعون طريقاً توصل إليه إلا قعد بها من يتوعد سالكيها إليه، ويصدونهم عن سبيـل الله التي يدعـوهم إليها، ويـطلبون بـالتمـويـه والتضليـل أن يجعلوا استقامتها عوجا، وهداها ضلالاً.

﴿واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم﴾ أي وتذكروا الزمن الذي كنتم فيه قليلي العدد فكثركم الله بما بارك في نسلكم، واشكـروا له ذلـك بعبادتـه وحده، واتباع وصاياه في الحق، والإعراض عن الفساد في الأرض. وقد روى أن مدين بن إبراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمـى الله في نسلها البركة والنماء فكثروا.

وقد يكون المعنى ـ إذ كنتم مقلين فقراء فجعلكم مكثرين موسرين ـ أو المراد: إذ كنتم أذلة قليلي العدد فأعزكم بكثرة العدد والعُدد.

﴿وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾ من الأمم والشعوب المجاورة لكم كقـوم نـوح وعـاد وثمـود، وكيف أهلكهم الله بفســادهم وبغيهم في الأرض، فاعتبروا بما حل بهم، واحذروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم.

التحليل الإقتصادي: ـ

وقـد ذكر الشيـخ مصطفى المـراغي[1] ما نهى الله عنـه قـوم شعيب وينحصر فيما يلي: ـ

---

(١) الشيخ مصطفى المراغي ـ سورة الأعراف ـ الآية (٨٦) ـ ص ٢٠٦ ج ٢.

١ - قعود قوم شعيب عليه السلام على الطرقات التي توصل إليه مخوفين من يجيئه ليرجع عنه قبل أن يراه ويسمع دعوته.

٢ - صدهم من وصل إليه وآمن به بصرفه عن الثبات على الإيمان والإستقامة على الطريق الموصلة إلى سعادة الدارين.

٣ - ابتغاؤهم جعل سبيل الله المستقيمة معوجة بالطعن وإلقاء الشبهات المشككة فيها أو المشوهة لها، وهم بعملهم هذا ارتكبوا ضلالتين:

التقليد والعصبية للآباء والأجداد، وضلالة الغلو في الحرية الشخصية التي أباحت لهم الطعن في الأديان حتى بلغوا في ذلك حد الطغيان.

ومن ذلك يتضح لنا بعد شرح تفاسير أفاضل العلماء بأن الله تعالى علمنا في قصة شعيب عليه السلام أنه أرسل إلى قومه ليأمر بالمعروف وينهى عن كل فساد ومعصية لأمر الله حيث كان شعيب عليه السلام يعظهم ويرشدهم ويأمرهم بعدم الفساد في الأرض وطاعة الله، ويحذرهم من الغش والخداع في الكيل والميزان وقطع الطريق وكل ما حرمه الله...

ومن ذلك نتعلم درساً ينفعنا في حياتنا الإقتصادية وفي أسواقنا وتجارتنا، وقد حذرنا الله تبارك وتعالى بأن نبتعد عن المحرمات والمنهيات في معاملاتنا، وأن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر والفساد في مجتمعنا وأمتنا الإسلامية لبناء اقتصاد إسلامي على أسس شريعة الله.

أ - الإيمان: -

يرتبط الإيمان ارتباطاً وثيقاً بأخلاقيات وسلوكيات المسلم... وأركان الإيمان كما جاء في الحديث النبوي الشريف والذي رواه الإمام مسلم عن عمر رضي الله عنه هي: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره...»، ولا يمكنني في هذه العجالة أن أتحدث عن الإيمان من كافة جوانبه... والنفس البشرية أمارة بالسوء... إلا ما رحم

ربي... وتختلف نفوس البشر بعضها عن بعض.. فهناك النفس المطمئنة... والنفس المضطربة.. غير المؤمنة... مثل قوم شعيب عليه السلام.. الذين دعاهم إلى الإيمان بالله وحده فكذبوه.. وصدوا عن دينه فأصبحوا كافرين.. ودعاهم إلى الحق واتباع العدل في معاملاتهم وعدم بخس الناس أشياءهم.. وأن يوفوا الكيل والميزان فلم يصدقوه.. ومن الآيات الكثيرة التي ذكرت في القرآن الكريم هذه الآية من سورة الأعراف: **﴿وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين﴾** آية (٨٧). وفي نفس سورة الأعراف: **﴿وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضَّرَّعون﴾** آية (٩٤). وفي سورة هود: **﴿ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾**، آية (٩٤).

وهكذا تؤكد كلمات الله عز وجل أن قوم شعيب عليه السلام تعرضوا للصيحة وهي العقاب الإلهي... وأن الذين آمنوا بشعيب عليه السلام نجاهم الله تبارك وتعالى.

ومثل هذه الصورة المضيئة ينبغي أن يدركها ويتفهمها كل مسلم مؤمن... فإن حياتنا الاقتصادية تحتاج إلى السلوكيات الصحيحة والأخلاق الكريمة.. لأن اتباع الحق والعدل هو أحسن الطرق والوسائل للإقتصاد السليم... الذي يبنى على أسس من المفاهيم والأسس الإسلامية بعيداً عن وساوس الشيطان الذي يعتبر العدو اللدود لبني البشر.

وفيما يتعلق بتهديد الفئة الضالة من قوم شعيب عليه السلام له ولمن آمن معه، فقد جاء في تفسير بعض أفاضل العلماء للآية (٨٨) من سورة الأعراف ما يلي: ـ

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾.

قال الإمام الطبري[1]: -

يقول تعالى ذكره: ﴿قال الملأ الذين استكبروا﴾ يعني بالملأ الجماعة من الرجال ويعني بالذين استكبروا والذين تكبروا عن الإيمان بأس الله والإنتهاء إلى أمره واتباع رسوله شعيب لما حذرهم شعيب بأن الله على خلافهم أمر ربهم وكفرهم به لنخرجنك يا شعيب ومن تبعك وصدقك وآمن بك وبما جئت به معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا﴾، يقول: لترجعن أنت وهم في ديننا وما نحن عليه، قال شعيب مجيباً لهم ﴿أو لو كنا كارهين﴾ ومعنى الكلام أن شعيباً قال لقومه: أتخرجوننا من قريتكم وتصدوننا عن سبيل الله ولو كنا كارهين لذلك.

وقال الإمام القرطبي[2]:

معنى: ﴿أو لتعودن في ملتنا﴾ أي لتصيرن إلى ملتنا. وقيل: كان أتباع شعيب قبل الإيمان به على الكفر، أي لتعودن إلينا كما كنتم من قبل. أي لحقني ذلك منه. فقال لهم شعيب: ﴿أو لو كنا كارهين﴾ أي ولو كنا كارهين تجبروننا عليه، أي على الخروج من الوطن أو العود في ملتكم. أي إن فعلتم هذا أتيتم عظيماً.

كما ورد في قول الإمام ابن كثير[3]: -

وقوله: ﴿أولو كنا كارهين﴾ يقول: أو أنتم فاعلوا ذلك ولو كنا كارهين ما تدعونا إليه فإنا إن رجعنا إلى ملتكم ودخلنا معكم فيما أنتم فيه فقد أعظمنا الفريةِ على الله في جعل الشركاء معه أنداداً وهذا تنفير منه على اتباعهم.

---

(١) الإمام الطبري - سورة الأعراف - الآية (٨٨) - ص ٦٧ م ٤.

(٢) الإمام القرطبي - سورة الأعراف - الآية (٨٨) - ص ٢٦٨٤ م ٩.

(٣) الإمام ابن كثير - سورة الأعراف - الآية (٨٨) - ص ٢٣٢.

وقال الإمام القاسمي[1]:

﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه﴾ أي عن الإيمان ﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن﴾ أي إلى ترك دعوى الرسالة والإقرار بها، داخلين ﴿في ملتنا﴾ أي ملة المشركين.

﴿قال﴾ أي شعيب ﴿أولو كنا كارهين﴾ أي: أتجبروننا على ذلك، وإن كنا كارهين له؟ مع أنه لا فائدة في الإكراه، لأن دينكم إن كان حقاً، لم نكن بالإكراه منقادين له، وإن كان باطلاً، لم نكن بالإكراه متصفين به، لأنه بالحقيقة صفة القلب، ولا يسري إكراهكم إليه. وكيف لا نكرهه وهو يستلزم غاية القبح والظلم.

وقال الشيخ محمود حجازي[2] ما يلي: -

قال الملأ الذين كفروا - وهم عيون مدين وأشرافهم - قالوا: للمستضعفين المؤمنين: تالله لئن اتبعتم شعيباً وآمنتم به إنكم إذا لخاسرون شرفكم حيث تركتم دين آبائكم إلى دين لم تعرفوه ولم تألفوه، وخاسرون دنياكم حيث تركتم ما به ينمو مالكم ويزيد من التطفيف في الكيل، وأكل أموال الناس.

ولقد كان وصفهم بالإستكبار أولاً لمناسبة التهديد بالإخراج من الديار، ووصفهم هنا بالكفر يناسب الضلال والصد عن سبيل الله، أما جزاؤهم فأخذتهم الرجفة وعمتهم الصيحة، وزلزلوا زلزالاً شديداً، حتى أصبحوا جثثاً هامدة، جاثمين في مكانهم لا حراك لهم.

ب - التقوى: -

هي من الصفات الحميدة التي يجب على كل مسلم مؤمن أن يتحلى بها... وفي قصة شعيب عليه السلام دروس وعظات ينبغي علينا الإستفادة

(١) الإمام القاسمي - سورة الأعراف - الآية (٨٨) - ٢٠٨ م ٧.

(٢) الشيخ محمود حجازي - سورة الأعراف - الآية (٨٨) - ص ٨٧ م ٩.

بها... فقد جاء ليهدي قومه إلى التقوى والإبتعاد عن المعاصي والمفاسد التي يرتكبوها بسلوكياتهم وتصرفاتهم المعوجة... وذكرت سورة الشعراء: **﴿إذ قال لهم شعيب ألا تتقون (١٧٧) إني لكم رسول أمين (١٧٨)﴾. وفي نفس سورة الشعراء: ﴿واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين﴾** آية (١٨٤).

ومن ذلك يجب علينا الإستفادة من هذه الدروس كي نبني اقتصاداً قوياً بعيداً عن المفاسد والمحرمات التي ارتكبها قوم شعيب عليه السلام... الذين أكلوا حقوق الناس وأفسدوا المجتمع. ولهذا فإن البعد عن مثل هذه المحرمات هو خير طريق لبناء الاقتصاد السليم متمسكين بديننا الحنيف وفقاً للشريعة السماوية السمحاء... وأن نتقي الله عز وجل فإن تقوى الله لها أجر عظيم، وهي مفتاح الفوز بالجنة والنجاة من النار...

وقد فسر أفاضل العلماء ـ الآية (١٨٤) من سورة الشعراء بما يلي: ـ

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾.

قال الإمام الطبري[1]: ـ

يقول تعالى ذكره: واتقوا أيها القوم عقاب ربكم الذي خلقكم وخلق الجبلة الأولي يعني بالجبلة الخلق الأولين.

حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: والجبلة الأولين قال الخلق الأولين... الجبلة الخلق.

وقال الإمام ابن كثير[2]: ـ

يخوفهم شعيب عليه السلام بأس الله الذي خلقهم وخلق آباءهم الأوائل، كما قال موسى عليه السلام: **﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾** قال

---

(١) الإمام الطبري ـ سورة الشعراء ـ الآية (١٨٤) ص ١٦٥.

(٢) الإمام ابن كثير ـ سورة الشعراء ـ الآية (١٨٤) ص ٣٤٦.

ابن عباس ومجاهد والسدي وسفيان بن عيينة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿**والجبلة الأولين**﴾، يقول: خلق الأولين يخبر تعالى عن جواب قومه له بمثل ما أجابت به ثمود لرسولها تشابهت قلوبهم.

كما ورد في قول الشيخ مصطفى المراغي [1] : -

أيْ وخافوا أمر الله الذي خلقكم من العدم للإصلاح في الأرض، وخلق من قبلكم ممن كانوا أشد منكم قوة وأكثر مالاً. كقوم هود الذين قالوا: من أشد منا قوة، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر.. وقد تمخض هذا النصح عن شيئين: القدح في رسالته أولاً، واستصغار الوعيد ثانياً.

جـ - التوبة: -

هي من الأبواب التي فتحها الله عز وجل على عباده ودعا إليها معظم الأنبياء والرسل... ففي سورة النور: ﴿**وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**﴾ الآية (٣١).

وفي سودة هود:

﴿**واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود**﴾ آية (٩٠).

وقد دعا شعيب عليه السلام قومه إلى أن يتوبوا ويقلعوا عن ارتكاب المعاصي والمحرمات التي استمروا في استخدامها مثل بخس الناس أشياءهم.. وعدم إيفاء الكيل والميزان.. وقال تعالى في سورة طه: ﴿**وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى**﴾ الآية (٨٢).. ولو أن قوم شعيب عليه السلام آمنوا برسالته.. وتابوا عن المعاصي.. لفازوا بمغفرة الحق سبحانه وتعالى...

وهكذا.. أوضحت لنا قصة شعيب عليه السلام أهمية التوبة للإنسان... وكي نبني اقتصاداً إسلامياً قوياً... علينا أن نترك المحرمات

---

(١) الشيخ مصطفى المراغي - سورة الشعراء - الآية (١٨٤) ص ٩٨ ج ١٢.

وألا نرتكب المعاصي والآثام مثل تلك التي سبقنا إليها قوم شعيب عليه السلام أو غيرها... وأن نتعظ مما حدث لهم من عذاب لأنهم لم يتوبوا ولم يقلعوا عن هذه المحرمات...

وقد فسر ذلك أفاضل العلماء ـ الآية (٩٠) من سورة هود بما يلي: ـ

﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾.

يقول الإمام الطبري[1]: ـ

﴿ثم توبوا إليه﴾ يقول: ثم ارجعوا إلى طاعته والإنتهاء إلى أمره ونهيه: **﴿إن ربي رحيم﴾** يقول: هو رحيم عمن تاب وأناب إليه أن يعذبه بعد التوبة **﴿ودود﴾** يقول: ذو محبة لمن أناب وتاب إليه يوده ويحبه.

وقال الإمام الرازي[2]: ـ

﴿ثم توبوا إليه﴾ بين لهم أن سبق الكفر والمعصية منهم لا ينبغي أن يمنعهم من الإيمان والطاعة لأنه تعالى رحيم ودود يقبل الإيمان والطاعة والتوبة من الكافر والفاسق لأن رحمته لعباده وحبه لهم يوجب ذلك وهذا التقرير في غاية الكمال.

اعلم أنه عليه السلام لما بالغ في التقرير والبيان أجابوه بكلمات فاسدة.

كما قال الإمام ابن كثير[3] في البداية والنهاية: ـ

وتوبوا إلى ربكم الرحيم الودود فإنه من تاب إليه تاب عليه فإنه رحيم بعباده أرحم بهم من الوالدة بولدها، ودود وهو الحبيب ولو بعد التوبة على عبده ولو من الموبقات العظام.

---

(١) الإمام الطبري ـ سورة هود ـ الآية (٩٠) ص ٦٣ م ٩.

(٢) الإمام الرازي ـ سورة هود ـ الآية (٩٠) ص ٤٥ م ٦ ج ١٨.

(٣) الإمام ابن كثير في البداية والنهاية ـ سورة هود ـ الآية (٩٠) ص ١٩١ ج ١.

د ـ الحسنة والسيئة والقوة والضعف: ـ

ذكر الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ آية (٩٥).

من ذلك علمنا الله أن شعيباً عليه السلام كان يهدي ويعظ الناس لترك ما حرم الله من سيئات ويبدلها لهم حسنات بعد أن يبتعدوا عن معصية الله في تجارتهم من عدم الوفاء والبخس بالميزان وغير ذلك. . .

ومن هذا نتعلم لبناء اقتصاد إسلامي يبنى على قواعد متينة، ينبغي أن نترك كل المعاصي والمفاسد السيئة التي نهانا وحذرنا منها الله وأن نبدلها بتصرف إسلامي سليم يبنى على كتاب الله وسنة نبيه، وبهذا نصل إلى الهدف الذي ذكره الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام أنه بدل مكان السيئة بالحسنة في تصرف وأعمال قومه.

٤ ـ العدل في المعاملات الاقتصادية: ـ

يعتبر العدل من المناهج الرئيسة والأساسية في العقيدة الإسلامية، وقد ذكر العدل في كثير من القصص القرآنية، ونلاحظ من خلال التاريخ الاقتصادي للأمم العقوبات التي لحقت بها لأنها لم تتمسك بالعدل ولم تطبقه في حياتها الاقتصادية.. وقصة شعيب عليه السلام والتي نحن بصددها.. أوضحت لنا أن قومه لم يعدلوا في ميزانهم أو كيلهم.. بل بخسوا الناس أشياءهم وفسدوا في الأرض بالغش والحيل التجارية السيئة.. ورغم تحذيرات شعيب عليه السلام لهم فإنهم أصروا على عنادهم وتكذيبهم لما جاء به.. وكان العقاب الإلهي الصارم حيث أخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين...

وقد أرسل الله تعالى شعيباً إلى قومه لإقامة العدل وإعطاء كل ذي حق حقه في التجارة، وبالبيع والشراء وعدم إفساد المجتمع بل إصلاحه... كما ذكر الله تعالى في سورة هود: **﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهيكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾**. آية (٨٨).

ولهذا فإننا نتعلم من قصة شعيب عليه السلام درساً اقتصادياً لحياتنا الاقتصادية العملية في أسواقنا وفي تجارتنا وأعمالنا بأن الاقتصاد الإسلامي المتين ينبغي أن يبنى على العدل أولاً سواء من الجهة التشريعية أو من جهة المسلم المؤمن بكتاب الله، ومن التاجر والمسئول الذي يزاول عملاً عاماً أو

خاصاً أو في البنوك الإسلامية، وفي الصناعة أو أي دائرة حكومية. . . وذلك كما ذكر الله تعالى في سورة الشعراء. . .

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾.

الآيات من (١٨١) حتى (١٨٣)

وجاء في كتاب ابن ماجه(*) حول بعض الأحاديث النبوية الشريفة عن «الرجحان في الوزن». . . ما يلي: ـ

٢٢٣٩ ـ حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وعلي بن محمد، ومحمد بن إسماعيل، قالوا: حدثنا وكيع، قال: حدثنا سفيان عن سماك بن حرب، عن سويد بن قيس؛ قال: جلبت أنا ومخرقة العبدي بزا من هجر. فجاءنا رسول الله ﷺ. فساومنا سراويل. وعندنا وزان يزن بالأجر. فقال له النبي ﷺ: «يا وزان! زن وارجح».

٢٢٤٠ ـ حدثنا محمد بن بشار، ومحمد بن الوليد، قالا: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن سماك بن حرب. قال: سمعت مالكاً أبا صفوان بن عميرة؛ قال: بعت من رسول الله ﷺ رجل سراويل قبل الهجرة. فوزن لي، فأرجح لي.

٢٢٤١ ـ حدثنا محمد بن يحيى، قال: حدثنا عبد الصمد، قال: حدثنا شعبة عن محارب بن دثار، عن جابر بن عبد الله؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وزنتم فأرجحوا».

أ ـ التصرف:

ذكر الله تعالى في سورة هود:

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا

(*) سنن ابن ماجه ـ الجزء الثاني ـ ص ١٩.

رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ ﴾.
الآيتان (٩١)، (٩٢).

ومن ذلك بين الله لنا أحد التعريفات الإسلامية وهو التصرف الذي يمس حياته وإيمانه بالله عن قرب حيث أرشدنا الله تعالى أن قوم شعيب عليه السلام كانوا يرغبون في رجمه ولكنهم تركوا شعيباً عليه السلام من أجل رسالته ولكن من أجل رهطه (جماعته وعشيرته) وماله. . . وإزاء هذا التصرف كان رد شعيب عليه السلام على هؤلاء القوم بأن الله عز وجل خبير عليم بكل تصرفاتهم. . .

وفي ذلك نأتي إلى تفسير الآية (٩١) من سورة هود:

﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾ ﴾.

جاء في تفسير الإمام الطبري[1]: ـ

يقول تعالى ذكره: قال قوم شعيب لشعيب: يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول، أي ما نعلم حقيقة كثيرة مما تقول ومخبرنا به وإنا لنراك فينا ضعيفاً ذكر أنه كان ضريراً فلذلك قالوا له: إنا لنراك فينا ضعيفاً.

وقوله: وما أنت علينا بعزيز، يعنون ما أنت ممن يكرم علينا فيعظم علينا إذلاله وهو علينا هين.

وقال الإمام الزمخشري[2]:

﴿ما نفقه﴾ ما نفهم، ﴿كثيراً مما تقول﴾ لأنهم كانوا يلقون إليه أذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله ـ وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ـ أو

(١) الإمام الطبري ـ سورة هود ـ الآية (٩١) ص ٦٤ ـ ٩ م.
(٢) الإمام الزمخشري ـ سورة هود ـ الآية (٩١) ص ٢٨٩.

كانوا يفقهونه ولكنهم لم يقبلوه فكأنهم لم يفقهوه أو قالوا ذلك على وجه الإستهانة به.

﴿فينا ضعيفاً﴾ لا قوة لك ولا عز فيما بيننا، فلا تقدر على الإمتناع منا إن أردنا بك مكروهاً.

﴿لرجمناك﴾ لقتلناك شر قتلة، ﴿وما أنت علينا بعزيز﴾ أي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم، وإنما يعز علينا رهطك لأنهم من أهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا كأنه: قيل: وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا.

وقال الإمام الشوكاني[1]: -

إنك يا شعيب تأتينا بما لا عهد لنا به من الإخبار بالأمور الغيبية كالبعث والنشور، ولا نفقه ذلك: أي نفهمه كما نفهم الأمور الحاضرة المشاهدة فيكون نفي الفقه على هذا حقيقة لا مجازاً، وقيل: قالوا ذلك اعراضاً على سماعه واحتكار الكلام مع كونه مفهوماً لديهم معلوماً عندهم فلا يكون نفي الفقه حقيقة بل مجازاً. ﴿وإنا لنراك فينا ضعيفاً﴾ أي لا قوة لك تقدر بها على أن تمنع نفسك منا وتتمكن بها من مخالفتنا، وقيل: المراد أنه ضعيف في بدنه، قاله علي بن عيسى، وقيل: إنه كان مصاباً ببصره. ﴿ولولا رهطك لرجمناك﴾ ورهط الرجل عشيرته الذين يستند إليهم ويتقوى بهم، ومنه الراهط لحجر اليربوع لأنه يتوثق به ويخبىء فيه ولده. والرهط يقع على الثلاثة إلى العشرة، وإنما جعلوا رهطه مانعاً من إنزال الضرر به مع كونهم في قلة والكفار ألوف مؤلفة لأنهم كانوا على دينهم فتركوه احتراماً لهم لا خوفاً منهم، ثم أكدوا ما وصفوه به من الضعف بقولهم: ﴿وما أنت علينا بعزيز﴾ حتى نكف عنك لأنك لأجل عزتك عندنا، بل تركنا رجمك لعزة رهطك علينا، ومعنى لرجمناك لقتلناك بالرجم، وكانوا إذا قتلوا إنساناً رجموه بالحجارة، وقيل: معنى لرجمناك لشتمناك. ويطل الرجم على اللعن. ومنه الشيطان الرجيم وجيله.

---

(١) الإمام الشوكاني - سورة هود - الآية (٩١) ص ٥١٩.

وقال الشيخ محمد رشيد رضا[1]: ـ

﴿**قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول**﴾، إن الفقه في اللغة أخص من الفهم والعلم، وهو الفهم الدقيق العميق المؤثر في النفس الباعث على العمل، أي ما نفقه كثيراً مما ترمي مما وراء ظواهر أقوالك من مواطنها وتأويلها كبطلان عبادة آلهتنا وقبح حرية التصرف في أموالنا وعذاب محيط يبيدنا، وإصابتنا بمثل الأحداث الجوية التي نزلت بمن قبلنا كان أمرها بيدك وتصرفك أو تصرف ربك يصيب بها من تشاء أو يشاء لأجلك: ﴿**إنا لنراك فينا ضعيفاً**﴾ لا حول لك ولا قوة تمتع بها منا إن أردنا أن نبطش بك وأنت على صعفك تنذرنا العذاب المحيط الذي لا يفلت منه أحد، ﴿**ولولا رهطك**﴾ أي عشيرتك الأقربون ـ والرهط الجماعة من الثلاثة إلى السبعة أو العشرة ﴿**لرجمناك**﴾ لقتلناك شر قتلة وهي الرمي بالحجارة حتى تدفن فيها، ﴿**وما أنت علينا بعزيز**﴾ أي بذي عزة ومنعة علينا تحول بيننا وبين رجمك، وإنما نعز رهطك ونكرمهم على قتلهم لأنهم منا وعلى ديننا الذي نبذته وراء ظهرك، وأهنته، ودعوتنا إلى تركه لبطلانه وفساده في زعمك.

وجاء في تفسير الشيخ المراغي[1]: ـ

﴿**قالوا: يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول**﴾ أي ما نعلم حقيقة كثير مما تقول وتخبرنا به، من بطلان عبادة آلهتنا وقبح حرية التصرف في أموالنا ومجيء عذابه يحيط بنا، وإصابتنا بمثل الأحداث التي أصابت من قبلنا كأن أمرها بيدك يصيب بها ربك من يشاء لأجلك. ﴿**وإنا لنراك فينا ضعيفاً**﴾ لا قوة لك ولا قدرة على شيء من الضر والنفع ولا تستطيع أن تمتنع منا إن أردنا أن نبطش بك. ﴿**ولولا رهطك لرجمناك**﴾ أي ولولا عشيرتك الأقربون لقتلناك بالحجارة حتى تدفن فيها. ﴿**وما أنت علينا بعزيز**﴾ أي وما أنت بذي عزة ومنعة تحول بيننا وبين رجمك، وإنما نعز رهطك على قلتهم:

---

(١) الشيخ محمد رشيد رضا ـ سورة هود ـ الآية (٩١) ص ١٤٧ م ١٢.

(٢) الشيخ مصطفى المراغي ـ سورة هود ـ الآية (٩١) ص ١٤٨ م ١٢

وكذلك نأتي إلى تفسير الآية (٩٢) من سورة هود حيث

قال الإمام ابن كثير[1]: ـ

قال أبو روق يعنون ذليلاً لأن عشيرتك ليسوا على دينك: ﴿**ولولا رهطك لرجمناك**﴾ أي قومك لولا معزتهم علينا لرجمناك، قيل: بالحجارة، وقيل لسبيناك، ﴿**وما أنت علينا بعزيز**﴾ أي ليس عندنا لك معزة، ﴿**قال يا قوم أرهطي أعز عليك من الله**﴾، يقول: أتتركوني لأجل قومي ولا تتركوني إعظاماً لجناب الرب تبارك وتعالى أن تنالوا نبيه بمساءة وقد اتخذتم كتاب الله ﴿**وراءكم ظهريا**﴾ أي نبذتموه خلفكم لا تطيعونه ولا تعظمونه ﴿**إن ربي بما تعملون محيط**﴾ أي: هو يعلم جميع أعمالكم وسيجزيكم.

وكذلك ما قاله شعيب عليه السلام وتصرفه مع قومه في الآية الكريمة (٨٤) من سورة هود. . .

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾.

وقد جاء في تفسير الإمام الطبري[2]: ـ

إنه قال لقومه وذلك قوله: إني أراكم بخير، يعني بخير الدنيا، وقد يدخل في خير الدنيا المال وزينة الحياة الدنيا، وإنما قال ذلك شعيب لأن قومه كانوا في سعة من عيشهم ورخص من أسعارهم كثيرة أموالهم، فقال لهم: لا تنقصوا الناس حقوقهم في مكايلكم وموازينكم فقد وسع الله عليكم رزقكم وإني أخاف عليكم بمخالفتكم أمر الله وبخسكم الناس أموالهم في مكاييلكم وموازينكم عذاب يوم محيط، يقول: أن ينزل بكم عذاب يوم محيط بكم عذابه.

---

(١) الإمام ابن كثير ـ سورة هود ـ الآية (٩٢) ص ٤٥٧.

(٢) الإمام الطبري ـ سورة هود ـ الآية (٨٤) ص ٦٠ م ٩.

ومن تلك القصة بيّن الله لنا أن تصرف الإنسان في حياته وأعماله وتجارته وفي أسرته ومجتمعه يحاسب عليها أمام الله، وأنه مرتبط برباط وثيق وهو شريعة الله وسنة نبيه... وعلى ضوء ذلك ينبغي أن يطابق تصرفاته أحكام الله تبارك وتعالى في حياتنا الاقتصادية وأعمالنا التي نزاولها وأن نبتعد في تصرفاتنا عما حرمه الله في تجارتنا وأعمالنا من الغش في التجارة..

جـ - الأرث في الأرض: -

ذكر الله تعالى في سورة الأعراف:

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ . الآية (١٠٠).

علمنا الله تعالى أحد القواعد الإسلامية في الاقتصاد في أعمالنا وتصرفاتنا في الحياة الدنيا أن الإنسان ليس مخلداً في الأرض وأنه مسئول أمام الله لا يفيده قربه من أبيه وقومه ولا أمواله وتجارته وأعماله، فإن الله يجزي كل شخص بعمله.

لهذا فقد علمنا شعيب عليه السلام عندما نصح قومه بالبعد عن معصيته أوامر الله في عدم الوفاء والبخس في الكيل والميزان وأكل الناس بالباطل وقطع الطريق، والإنسان لا يتبع ما يورث إليه من عادات وتقاليد ومعصية أمر الله بل إن الإنسان يتبع في حياته الاقتصادية ومعاملاته المالية والتجارية الحق والعدل وإقامة شريعة الله.

جـ - الزهد والقناعة: -

لا شك أن الزهد والقناعة من الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم... والزهد في الدنيا مطلوب من كل مسلم مؤمن، واعتبار أنها دار ممر وليست دار مقر. أما القناعة والرضا بما قسمه الله فهو يريح النفس.. ويغنيها عن كل سوء...

وقد أوضحت لنا قصة شعيب عليه السلام موقف قومه من رسالته وعدم رضاهم وحبهم وتشبثهم بمباهج الدنيا وزيفها المصطنع بما حققوه من ربح حرام بعد تطفيفهم للميزان والكيل وإفسادهم في الأرض. . . وفي سورة الأعراف: **﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾** الآية (٨٥).

وفي سورة هود الآية (٩١): -

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾.

جاء في تفسير الإمام الطبري[1]: -

يقول تعالى ذكره: قال قوم شعيب لشعيب: يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول، أي ما نعلم حقيقة كثيرة مما تقول ومخيرنا به وإنا لنراك فينا ضعيفاً، ذكر أنه كان ضريراً فلذلك قالوا له: إنا لنراك فينا ضعيفاً.

وقوله: وما أنت علينا بعزيز، يعنون ما أنت ممن يكرم علينا فيعظم علينا إذلاله وهو علينا هين.

وقال الإمام الزمخشري[2]:

﴿ما نفقه﴾ ما نفهم **﴿كثيراً مما تقول﴾** لأنهم كانوا يلقون إليه أذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله ـ وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ـ أو كانوا يفقهونه ولكنهم لم يقبلوه فكأنهم لم يفقهوه أو قالوا ذلك على وجه الإستهانة به.

﴿فينا ضعيفاً﴾ لا قوة لك ولا عز فيما بيننا، فلا تقدر على الإمتناع منا إن أردنا بك مكروهاً.

(١) الإمام الطبري ـ سورة هود ـ الآية (٩١) ص ٦٤ ـ ٩ م.
(٢) الإمام الزمخشري ـ سورة هود ـ الآية (٩١) ص ٢٨٩.

﴿لرجمناك﴾ لقتلناك شر قتلة، **﴿وما أنت علينا بعزيز﴾** أي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم، وإنما يعز علينا رهطك لأنهم من أهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا كأنه قيل: وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا.

وجاء في تفسير الشيخ المراغي[1]: ـ

﴿قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول﴾ أي ما نعلم حقيقة كثير مما تقول وتخبرنا به، من بطلان عبادة آلهتنا وقبح حرية التصرف في أموالنا ومجيء عذابه يحيط بنا، وإصابتنا بمثل الأحداث التي أصابت من قبلنا كأن أمرها بيدك يصيب بها ربك من يشاء لأجلك. **﴿وإنا لنراك فينا ضعيفاً﴾** لا قوة لك ولا قدرة على شيء من الضر والنفع،ولا تستطيع أن تمتنع منا إن أردنا أن نبطش بك. **﴿ولولا رهطك لرجمناك﴾** أي: ولولا عشيرتك الأقربون لقتلناك بالحجارة حتى تدفن فيها. **﴿وما أنت علينا بعزيز﴾** أي وما أنت بذي عزة ومنعة تحول بيننا وبين رجمك، وإنما نعز رهطك على قلتهم: لأنهم منا وعلى ديننا الذي نبذته وراء ظهرك وأهنته، ودعوتنا إلى تركه لبطلانه في زعمك، فوبخهم شعيب على سفاهتهم كم حكى سبحانه عنه.

وكذلك في سورة هود الآية (٩٢).

﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

وجاء في تفسير الشيخ محمد رشيد رضا[2]:

قال: يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله؟ هذا استفهام إنكاري، أي: أرهطي أعز وأكرم عليكم من الله الذي أدعوكم إليه بأمره: **﴿واتخذتموه**

---

(١) الشيخ مصطفى المراغي ـ سورة هود ـ الآية (٩١) ص ١٤٨ م ١٢.

(٢) الشيخ محمد رشيد رضا ـ سورة هود ـ الآية (٩٢) ص ١٤٧ م ١٢.

وراءكم ظهرياً﴾ أي أشركتم به وجعلتموه كالشيء اللقا الذي ينبذ وراء الظهر لهوانه على نابذه وعدم حاجته إليه فينسى حتى لا يحسب له حساب. وكان القوم يؤمنون بالله ويشركون به، ولا عجب من حالهم هذه فإنه شأن أكثر الناس اليوم، لا يراقبون الله في أقوالهم ولا في أعمالهم فيرجوه إذا أحسنوا ويخافوه إذا أساءوا أو فيمتنعوا عن الإساءة ويتسابقوا إلى الإحسان ابتغاء مرضاته: **﴿إن ربي بما تعملون محيط﴾** علماً فهو يحصيه عليكم ويجزيكم به وأما رهطي فلا يستطيعون لكم ضراً ولا نفعاً.

وفي الحديث النبوي الذي رواه ابن ماجه عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.. قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس: فقال: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وأزهد فيما عند الناس يحبك الناس».

د ـ الصبر: ـ

بين الله لنا أحد الدروس والمفاهيم الإسلامية التي يحتاجها ويتزود بها كل مسلم مؤمن بكتاب الله وسنة نبيه ويعمل في الحياة الدنيا لطلب الرزق في معايشه ألا وهو الصبر... فقد بين الله لنا أن شعيب عليه السلام كان صبوراً في تبليغ رسالة ربه إلى قومه، كما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف: **﴿إن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين﴾** آية (٨٧).

وبهذا علمنا الله من قصة شعيب أحد المفاهيم والتعريفات الإسلامية لبناء اقتصادنا، وفي أعمالنا وتجارتنا بأن نتبع كتاب الله والإيمان به والصلاة والزكاة وأن نبتعد عن كل المعصيات والمنهيات التي حرمها الله علينا من الربا والغش والخداع والبخس في الكيل والميزان، وأن نصبر على ما قسمه الله لنا لأن صبر المسلم المؤمن هو سلاحه للفوز بالجنة.

وقد جاءت دعوة شعيب عليه السلام لقومه بالصبر في سورة الأعراف ـ الآية (٨٧).. وقد فسر ذلك بعض أفاضل العلماء بما يلي: ـ

﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾.

قال الإمام الرازي[1]:

المقصود منه تسلية قلوب المؤمنين وزجر من لم يؤمن، لأن قوله: **﴿فاصبروا﴾** تهديد، وكذلك قوله: **﴿حتى يحكم الله بيننا﴾**، والمراد إعلاء درجات المؤمنين، وإظهار هوان الكافرين، وهذه الحالة قد تظهر في الدنيا فإن لم تظهر في الدنيا فلا بد من ظهورها في الآخرة.

ثم قال: **﴿وهو خير الحاكمين﴾** يعني أنه حاكم منزه عن الجور والميل والحيف فلا بد وأن يخص المؤمن التقي بالدرجات العالية، والكافر الشقي بأنواع العقوبات ونظيره قوله: **﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض﴾**.

وقال الإمام ابن كثير[2]: ـ

أي قد اختلفتم على **﴿فاصبروا﴾** أي انتظروا، **﴿حتى يحكم الله بيننا﴾** وبينكم أي يفصل، **﴿وهو خير الحاكمين﴾** فإنه سيجعل العاقبة للمتقين، والدماء على الكافرين.

هذا خبر من الله تعالى عما واجهت به الكفار نبيه شعيباً ومن معه من المؤمنين في توعدهم إياه ومن معه بالنفي عن القرية أو الإكراه على الرجوع في ملتهم والدخول معهم فيما هم فيه، وهذا خطاب مع الرسول، والمراد أتباعه الذين كانوا معه على الملة.

---

(١) الإمام الرازي ـ سورة الأعراف ـ الآية (٨٧) ـ ص ١٧٢ م ١٢.
(٢) الإمام ابن كثير ـ سورة الأعراف ـ الآية (٨٧) ـ ص ٢٣١.

وقال الشيخ المراغي[1]:

إن كان جماعة منكم صدقوا بالذي أرسلت به من إخلاص العبادة لله وترك معاصيه من ظلم الناس وبخسهم في المكاييل والموازين، واتبعوني في كل ذلك، وجماعة أخرى لم يصدقوني وأصروا على شركهم وإفسادهم، فاصبروا على قضاء الله الفاصل بيننا وبينكم، وهو خير من يفصل وأعدل من يقضي، لتنزهه عن الباطل والجور، وليعتبر كفاركم بعاقبة من قبلهم وسيحل بهم ما حل بأولئك بحسب السنن التي قدرها العليم الحكيم، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً.

هذه الآيات من تتمة قصص شعيب ذكر فيها جواب الملأ من قومه عما أمرهم به من عبادة الله وحده، وإيفاء الكيل والميزان، وعدم الفساد في الأرض وعما ختم به حديثه من التهديد والإنذار بقوله: فاصبروا حتى يحكم الله بيننا.

وتولى الرد عليه أشراف قومه كما هو الشأن في بحث كبريات المسائل ومهام الأمور.

كما قال الشيخ محمود حجازي[2]:

إن كان هذا فاصبروا أيها المؤمنون حتى يحكم الله ويقضي بيننا، وهو الحكم العدل، وقد حكم بنصرة عباده المؤمنين وهلاك الظالمين المفسدين، وهو خير الحاكمين.

---

(١) الشيخ مصطفى المراغي ـ سورة الأعراف ـ الآية (٨٧) ـ ص ٢٠٧ ج ٩.
(٢) الشيخ محمود حجازي ـ سورة الأعراف ـ الآية (٨٧) ـ ص ٧٧ م ٩.

ثالثاً - المحرمات الإسلامية في الاقتصاد للموازين والمكاييل

علمنا الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام أنه أرسل أإلى قومه محذراً ومنذراً ليقيموا الحق والعدل والوفاء في الكيل والميزان، وعدم الإفساد في الأرض بل إصلاحها بالعمل الطيب وإقامة تشريع الله بما أمرهم به وما نهاهم عنه من البخس، النقص، الغش، الغبن، الخسارة.. كل هذه المنهيات والمحظورات الإسلامية التي ذكرها شعيب عليه السلام لقومه تتعلق بالكيل والميزان وعندما نحللها نأتي إلى ما يلي: -

١ - في مجال التعامل التجاري والاقتصادي: -

البخس، النقص، الغش، الغبن، المخسرين، الكذب، المكر والخداع.

٢ - المنهيات في المعاملات التجارية: -

الاعوجاج، الإثم، المعاصي، السيئات، الكفر، الاستكبار، الظلم، الفسق.

١ - في مجال التعامل التجاري والاقتصادي: -

أ - النقص: -

علمنا الله تعالى من خلال قصة شعيب عليه السلام، أحد المنهيات الإسلامية التي نهانا الله عنها في الموازين والمكاييل... حيث أن النقص

هو مدلول تشريعي اقتصادي يختص بتقليل ونقص حقوق الناس سواء في التلاعب أو عدم الوفاء بالوزن والمكيال.

ولهذا فإن الإنسان عندما يرى أن حقوقه قد أهدرت ونقصت أمام من ظلمه في التجارة فإنه يشعر بفقدان أمواله الخاصة وتهديد حياته الاقتصادية اليومية.. وقد بين الله تعالى لنا أن مجتمع وقوم شعيب عليه السلام كان فاسداً لأنه ينقص حقوق الناس في الكيل والميزان ويرتكب المعاصي... وقد أمرنا الله تبارك وتعالى بأن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر في بناء مجتمع إسلامي يسوده الحق والعدل وترك المعاصي والفساد في الأرض، وبأن لا يظلم الناس في حقوقهم... وأن نعطي كل ذي حق حقه ولا ننقص حقوق الناس في أموالهم، وفي بيعنا بأسواقنا، وكما ذكر الله تعالى في سورة الشعراء: ﴿**فاتقوا الله وأطيعون**﴾ آية (١٧٩)، وفي سورة هود: ﴿**ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط**﴾ آية (٨٤).

وقد ورد في معجم لسان العرب للعلامة ابن منظور(*) عن النقص فقال:

النقص: الخسران في الحظ، والنقصان يكون مصدراً ويكون قدر الشي الذاهب من المنقوص. نقص الشيء ينقص نقصاً ونقصاناً ونقيصة ونقصه هو، يتعدى ولا يتعدى. وانتقص الشيء: نقص، واستنقص المشتري الثمن أي استحط وتقول نقصانه كذا وكذا هذا قدر الذاهب.

ب ـ الغش:

إن قصة شعيب عليه السلام هي من القصص القرآنية التي علمنا الله منها دورساً وعظات جمة لبنان اقتصادنا على منهج إسلامي مستمد من كتاب الله حيث بيّن شعيب عليه السلام أنه كان يعظ قومه بالبعد عن الأفعال

(*) معجم لسان العرب للعلامة ابن منظور ـ (المجلد الثالث ـ ص ٧٠٤).

والمفاسد التي يرتكبونها، كانتزاع الأموال بـطريق الحيل والغش التجـاري بعدم الوفاء بالميزان، وكذلك المخادعة بنقص وبخس في الميزان والبضاعة التي يبيعونها بأن تكون غير سليمة، ولهذا فإن الله تعالى حذرنا ونهانا عن أمور هامة اقتصادية في عالمنا الإسلامي في بيعنا ومزاولتنا أعمال التجـارة والصناعة، وبكل أنواع العمليات التي تدخل فيها البيع والشراء ومنها الغش التجاري ـ الغش في البضاعة والسلطة المراد بيعهـا ـ الغش والتحايـل في عدم الوفاء بالميزان والكيل ـ أكل حقوق الناس عن طريق الغش والتحايل ـ الألاعيب التجارية في الخفاء والتدليس ـ عدم الوفاء بالكيل والميزان بالنقص والبخس.

كل هذه المنهيات حذرنا الله عنها ونهانا من التعامل بها في اقتصادنا الإسلامي وداخل أسواقنا وتجارتنا وصناعتنا، بل نبني اقتصادنا على أسس إسلامية مستمدة من كتاب الله وسنة نبيه، وكمـا ذكر الله تعـالى في سورة هود: **﴿يا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾** آية (٨٥).

وقد ورد في معجم لسان العرب للعلامة ابن منظور[١] عن الغش فقال:

الغش نقيض النصح وهو مأخوذ من الغشش المشرب الكدر ـ قـال: ومن هذا الغش في البياعات. وفي الحديث: أن النبي ﷺ قال: ليس منا من غشنا، قال أبو عبيدة: معناه: ليس من أخلاقنا الغش وهذا شبيه بالحديث الآخر: المؤمن يطبع على كل شيء إلا الخيانة. وفي رواية من غشنا فليس منا أي ليس من أخلاقنا ولا على سنتنا. وفي حديث أم زرع: ولا تملأ بيتنا تغشيشاً، قال ابن الأثير: هكذا جاء في رواية وهو من الغش، وقيل: هو من النميمة.

وفيما يختص بالنهي عن الغش فقد جاء في كتاب سنن ابن ماجه[٢] الحديثين الشريفين التاليين: ـ

---

(١) معجم لسان العرب للعلامة ابن منظور ـ (المجلد الثاني ـ ص ٩٩٠).
(٢) سنن ابن ماجة ـ الجزء الثاني ـ ص ٢٠.

٢٢٤٣ - حدثنا هشام بن عمار، قال: حدثنا سفيان عن الغلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: مر النبي ﷺ برجل يبيع طعاماً. فأدخل يده فيه. فإذا هو مغشوش. فقال رسول الله ﷺ: «ليس منا من غش».

٢٢٤٤ - حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا يونس بن أبي إسحاق، عن أبي داود، عن أبي الحمراء؛ قال: رأيت رسول الله ﷺ مر بجنبات رجلٍ عنده طعام في وعاء. فأدخل يده فيه. فقال: «لعلك غششته. من غشنا فليس منا».

جـ - الغبن: -

إن الغبن أحد التعريفات الاقتصادية التي نهانا الله عنها في كتابه العزيز.. وكان قوم شعيب عليه السلام يغبنون حقوق الناس في أموالهم وبضاعتهم بعدم الوفاء في الكيل والميزان... ولهذا فإن الغبن من الأمور التي حرمها الله في تجارتنا ونشاطاتنا الاقتصادية، وأن نبتعد عنها، وأن لا نستعملها بأن نغبن حقوق الناس في أموالهم وبضاعتهم نظير ربح ومكسب يحرمه الله علينا، وكما قال الله تعالى لقوم شعيب في سورة هود: ﴿**ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم**﴾، آية (٨٥)، وكذلك في سورة الأعراف: ﴿**فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم**﴾ آية (٨٥)، وكذلك في سورة اشعراء: ﴿**أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين (١٨١) وزنوا بالقسطاس المستقيم**﴾ (١٨٢).
وقد ورد في معجم لسان العرب للعلامة ابن منظور[1] عن الغبن:

الغبن، بالتسكين، في البيع، والغبن، بالتحريك، في الرأي، والغبن في البيع والشراء: الوكس، غبنه يغبنه غبناً هذا الأكثر أي خدعه، وقد غبن

---

(١) معجم لسان العرب للعلامة ابن منظور - (المجلد الثاني - ص ٩٥٦، ٩٥٧).

فهـو مغبون. وغبنت في البيـع غبناً إذا غفلت عنـه، بيعاً كـان أو شراء - والتغابن: أن يغبن القوم بعضهم بعضـاً. ويوم التغـابن: يوم البعث، من ذلك، وقيل: سمي بذلك لأن أهل الجنة يغبن أهل النار بما يصير إليه أهل الجنة من النعيم ويلقي فيه أهل النار من العذاب، وضرب الله ذلـك مثلاً للشراء والبيع كما قال تعالى:

﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾.

د - المخسـريـن: -

علمنا شعيب عليه السلام أن قومه كانوا يبخسون وينقصون في الكيل والميزان ويفسدون في الأرض بالظلم، ونظام مجتمعهم وأكل أموال الناس بالباطـل وارتكاب الإثم، ويصـدون عن سبيل الله ويتخـذون الفساد وسيلة للكسب الحرام. . . كل هذه المفاسد جعلت قوم شعيب من المخسرين في الأرض فخسروا حياتهم الدنيوية والأخروية نظير الكسب المادي الحرام عن طريق إفساد مجتمعهم. . ولهذا فإننا نتعلم من قصة شعيب عليه السلام مع قومه بأن المجتمع الإسلامي ينبغي أن يبنى على أسس وقواعـد إسلاميـة مستمدة من شريعة الله وسنة نبيـه، ومن خلال قصص القـرآن الكريم هي بمثابة النور الذي ينير لنا حياتنا الدنيوية والأخروية وأن لا نخسرهـا كقوم شعيب عليه السلام.

وورد في معجم لسان العرب للعلامة ابن منظور[1] عن المخسرين:

الخساءوالخسارة والخيسري: الضلال والهلاك. وفي التنزيل العزيز:

(١) معجم لسان العرب للعلامة ابن منظور. . .
(المجلد الأول - ص ٨٢٩، ٨٢٠).

«والعصر إن الإنسان لفي خسر﴾، الفراء: لفي عقوبة بذنبه وأن يخسر أهله ومنزله في الجنة. وقال عز وجل: ﴿خَسِر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾. وخسر التاجر: وُضِعَ في تجارته أو غَبِنَ. والخَسْرُ والخسران: النقص. وخَسَرَ الوزن والكيل خسراً وأخسره: نقصه. ويقال: كِلْتُه ووزنته فأخسرته أي نقصته. قال الله تعالى: ﴿وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخْسِرُون﴾، الزجاج: أي ينقصون في الكيل والوزن. أبو عمرو: الخاسر الذي ينقص المكيال والميزان إذا أعطى، ويستزيد إذا أخذ. ابن الأعرابي: خسر إذا نقص ميزاناً أو غيره، وخسر إذا هلك. أبو عبيد: خَسَرْتُ الميزان وأخْسَرْتُه أي نقصته... الليث: الخاسر الذي وُضِعَ في تجارته. وقوله عز وجل: ﴿وخسر هنالك المبطلون... وخسر هنالك الكافرون﴾، المعنى: تبين لهم خسرانهم لما رأوا العذاب وإلا فهم كانوا خاسرين في كل وقت.

هـ - الكــذب: -

أوضحت لنا قصة شعيب عليه السلام أن قومه كـذبوه ولم يصـدقوا ما جاء به من دروس وعظات ومحظورات ومنهيات ليسيروا في الطريق الاقتصادي السليم الذي ينير لهم طريق الحق ويبعدهم عما حرمه الله كالكذب... كما ذكر الله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ آية (٣٧).

وكذلك ذكر الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين﴾ آية (٩٢).

كما قال الله تعالى في سورة الشعراء: ﴿كذب أصحاب لئيكة المرسلين﴾ آية (١٧٦). وكذلك كما بين الله تعالى لنا في سورة الشعراء: ﴿وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين﴾ آية (١٨٦). وذكرت سورة الشعراء: ﴿فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم﴾ آية (١٨٩).

ومن هذا أكدت لنا قصة شعيب عليه السلام تكذيب قومه لرسالته

وما آتاه من أنظمة اقتصادية في الإسلام وكان عقاب الله عز وجل لقوم شعيب أليما شديداً.

وقد فسر أفاضل العلماء الآية (١٨٥) من سورة الشعراء بما يلي: -

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾.

قال الإمام الطبري[١]: -

قالوا: إنما أنت يا شعيب معلل تعل بالطعام والشراب كما نعلل بهما نحن ولست ملكاً.

وقال الإمام ابن كثير[٢]: -

أي يعنون من المسحورين.

كما قال الشيخ مصطفى المراغي[٣]: -

أي ما أنت إلا ممن سحر عقله مرة بعد أخرى، فصار كلامه جزافاً لا يعبر عن حقيقة، ولا يصيب هدف الحق.

﴿ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾.

الآية (١٨٦) من سورة الشعراء

قال الإمام الطبري[٤]: -

وما أنت إلا بشر مثلنا تأكل وتشرب وإن نظنك لمن الكاذبين... يقول: وما نحسبك فيما تخبرنا وتدعونا إليه إلا ممن يكذب فيما يقول: فإن كنت صادقاً فيما تقول بأنك رسول الله كما تزعم.

(١) الإمام الطبري ـ سورة الشعراء ـ الآية (١٨٥) ص ٦٥.
(٢) الإمام ابن كثير ـ سورة الشعراء ـ الآية (١٨٥) ص ٣٤٧.
(٣) الشيخ مصطفى المراغي ـ سورة الشعراء ـ الآية (١٨٥) ص ١٠٠ ج ١٢.
(٤) الإمام الطبري ـ سورة الشعراء ـ الآية (١٨٦) ص ٦٥٠.

وقال الإمام ابن كثير[1]: -

﴿وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين﴾ أي تتعمد الكذب فيما تقوله لا أن الله أرسلك إلينا.

كما قال الشيخ محمود حجازي[2]: -

قالوا: إنما أنت رجل سحرت مراراً حتى فسد عقلك، وضاع لبك على أنك بشر مثلنا، فكيف تأتيك الرسالة دوننا، ونحن لا نظنك إلا من الكاذبين وإن كنت صادقاً حقاً، وأننا سنعذب لو لم نطعك فأسقط علينا قطعة من السماء تكون دليلاً على أنك رسول من قبل الله، ولكن الله يعلم ما عندهم، وقد حكاه بقوله: **﴿وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم﴾** الآية (٤٤) من سورة الطور وقد طمأن شعيب نفسه.

﴿فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين﴾.

الآية (١٨٧) من سورة الشعراء

قال الإمام الرازي[3]: -

﴿فأسقط علينا كسفاً من السماء﴾ وهي القطعة والسماء السحاب أو الظلة، وهم إنما طلبوا ذلك لاستبعادهم وقوعه فظنوا أنه إذا لم يقع ظهر كذبه فعنده.

كما قال الإمام القرطبي[4]: -

أي جانباً من السماء وقطعة منه، فنظر إليه، كما قال تعالى: **﴿وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم﴾**. وقيل: أرادوا أنزل علينا العذاب وهو مبالغة في التكذيب.

---

(١) الإمام ابن كثير - سورة الشعراء - الآية (١٨٦) ص ٣٤٨.
(٢) الشيخ محمود حجازي - سورة الشعراء - الآية (١٨٦) ص ٧٣ ج ١٢.
(٣) الإمام الرازي - سورة الشعراء - الآية (١٨٧). ص ١٦٣.
(٤) الإمام القرطبي - سورة الشعراء - الآية (١٨٧) ص ٤٨٥٢.

وجاء في قول الشيخ مصطفى المراغي[1]: -

أي فإن كنت صادقاً في دعواك الرسالة فأنزل علينا من السحاب قطعاً يكون فيها العذاب لنا. وهذا شبيه بما قالته قريش لنبيهم فيما حكى الله عنهم بقوله: **﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً... إلى أن قالوا... أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾**، وقوله: **﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾**.

فأجابهم شعيب:

﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾. **الآية (١٨٨) من سورة الشعراء.**

قال الإمام الطبري[2]: -

يقول تعالى ذكره، قال شعيب لقومه: ربي أعلم بما تعملون، يقول: بأعمالهم هو بها محيط لا يخفى عليه منها شيء وهو مجازيكم بها جزاءكم.

كما قال الإمام القرطبي[3]: -

تهديد، أي إنما على التبليغ وليس العذاب الذي سألتم إليّ وهو يجازيكم.

وقال الشيخ مصطفى المراغي[4]. -

فيجازيكم به، فإن شاء عجل لكم العذاب، وإن شاء أخره إلى أجل

(١) الشيخ مصطفى المراغي - سورة الشعراء - الآية (١٨٧) ص ١٠٠ ج ١٢.
(٢) الإمام الطبري - سورة الشعراء - الآية (١٨٨) ص ٦٦.
(٣) الإمام القرطبي - سورة الشعراء - الآية (١٨٨) ص ٤٨٥٢ م ٦.
(٤) الشيخ مصطفى المراغي - سورة الشعراء - الآية (١٨٨) ص ١٠٠ م ١٢.

معلوم، وما عليّ إلا البلاغ، وأنا مأمور به، فلم أنذركم من تلقاء نفسي، ولا أدعي القدرة على عذابكم.

وقال الشيخ محمود حجازي[1]: -

وقال: لست مكلفاً بإدخال الإيمان في قلوبكم، ولست مكلفاً بحسابكم على أعمالكم، إن عليَّ إلا البلاغ وربي وربكم يعلم ما تفعلون، وسيجازيكم على أعمالكم.

وقال أئمة التفسير للآية (١٨٩) من سورة الشعراء ما يلي: -

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

قال الإمام الرازي[2]: -

فلما استمروا على التكذيب أنزل الله عليهم العذاب على ما اقترحوا من عذاب يوم الظلة إن أرادوا بالسماء السحاب، وإن أرادوا الظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم، يروى أنه حبس عنهم الريح سبعاً وسلط عليهم الرمل فأخذ بأنفسهم، لا ينفعهم ظل ولا ماء فاضطروا إلى أن خرجوا إلى البرية فأظلتهم سحابة وجدوا لها برداً ونسيماً فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا، وروى أن شعيباً بعث إلى أمتين أصحاب مدين وأصحاب الأيكة فأهلكت مدين بصيحة جبريل عليه السلام، وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة، وههنا آخر الكلام في هذه القصص السبع التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة تسلية لمحمد ﷺ فيما ناله من الغم الشديد.

---

(١) الشيخ محمود حجازي - سورة الشعراء - الآية (١٨٨) ص ٧٢ ج ١٩.
(٢) الإمام الرازي - سورة الشعراء - الآية (١٨٩) ص ١٦٤.

وقال الإمام القرطبي[1] : ـ

قال ابن عباس: أصابهم حر شديد فأرسل الله سبحانه سحابة فهربوا إليها ليستظلوا بها، فلما صاروا تحتها صيح بهم فهلكوا. وقيل: أقامها الله فوق رؤوسهم وألهبها حراً حتى ماتوا من الرمد. وكان من أعظم يوم في الدنيا عذاباً. وقيل: بعث الله عليهم سموماً فخرجوا إلى الأيكة يستظلون بها فأضرمها الله عليهم ناراً فاحترقوا. وعن ابن عباس أيضاً وغيره: إن الله تعالى فتح عليهم باباً من أبواب جهنم، وأرسل عليهم حراً شديداً فأخذ بأنفاسهم، فدخلوا بيوتهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فأنضجهم الحر، فخرجوا هرباً إلى البرية، فبعث الله عز وجل سحابة فأظلتهم فوجدوا لها برداً وروحاً وريحاً طيبة، فنادى بعضهم بعضاً، فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهبها الله تعالى عليهم ناراً، ورجفت بهم الأرض فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلى، فصاروا رماداً فذلك قوله: ﴿**فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها**﴾، وقوله: ﴿**فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم**﴾، وقيل: إن الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة أيام، وسلط عليهم الحر حتى أخذ بأنفاسهم، ولم ينفعهم ظل ولا ماء فكانوا يدخلون الأسراب ليتبردوا فيها فيجدوها أشد حراً من الظاهر، فهربوا إلى البرية، فأظلتهم سحابة وهي الظلة، فوجدوا لها برداً ونسيماً، فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا.

كما قال الإمام القاسمي[2] : ـ

﴿**فكذبوه**﴾ أي فاستمروا على تكذيبه ولم يتوبوا ﴿**فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم**﴾، أي لحلول العقاب فيهم، من جنس ما سألوه من إسقاط السماء قطعاً عليهم. فقد أظلتهم سحابة أطبقت عليهم. وأظلمت الجو فوقهم، وغشيهم العذاب وأحاط بهم.

قال الحافظ بن كثير: ذكر تعالى صفة إهلاكهم في ثلاثة مواطن. كل موطن بصفة تناسب ذلك السياق. ففي (الأعراف) ذكر أنهم: ﴿**فأخذتهم الرجفة**

---

(١) الإمام القرطبي ـ سورة الشعراء ـ الاية (١٨٩) ص ٤٨٥٣ م ٦.

(٢) الإمام القاسمي ـ سورة الشعراء ـ الآية (١٨٩) ص ٤٣ م ٣.

فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾، وذلك لأنهم قالوا: **﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا﴾**، فأرجفوا نبي‌الله ومن اتبعه **﴿فأخذتهم الرجفة﴾**، وفي سورة هود قال: **﴿وأخذت الـذين ظلموا الصيحـة﴾** ذلك لأنهم استهزءوا بنبي الله في قولهم: **﴿... أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد)**، قالوا: ذلك على سبيل التهكم والإزدراء. فناسب أن تأتيهم صيحة تسكتهم فقال: **﴿وأخذت الذين ظلموا الصيحة﴾**، وههنا قالوا: **﴿فأسقط علينا كسفاً من السماء﴾** الآية على وجه التعنت والعناد فناسب أن يحقق عليهم ما استبعدوا وقوعه: **﴿فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾**.

و ـ المكر والخداع: ـ

بين الله تعالى لنا في قوم شعيب أنهم كانوا لا يطبقون تعاليم الله تعالى ولا يوفون الكيل والميزان ويبخسون حقوق الناس في تجارتهم وتعاملهم مع الغير بالمكر والخداع، ولذلك أرسل الله شعيباً عليه السلام ليهديهم إلى الحق وإلى الطريق السليم، كما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف: **﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾** آية (١٩٩).

وبهذا نهانا الله عن التعامل بالمكر والخداع والغبن والسرقة ليبين لنا الطريق السليم لبناء اقتصاد سليم خالٍ من المحرمات.

٢ ـ المنهيات في المعاملات التجارية: ـ

وقد أوضحنا في السابق العديد من المحظورات والمنهيات التي حرمها الله تعالى وحذرنا مما ارتكبه قوم شعيب عليه السلام من المعاصي والكذب والآثام والمكر والخداع والحيل بالبخس ونقص في الميزان وظلم الناس والكفر بكلام الله وتكذيب شعيب عليه السلام وقطع الطريق وصد الناس عن سبيل الله من آمن بشعيب...

كل هذه المحرمات أرشدنا شعيب عليه السلام إليها ليعطينا درساً وعظة

لبناء اقتصاد إسلامي على أسس متينة مستمدة من كلام الله وسنة نبيه وأن نبتعد عن كلِّ المحرمات التي نهانا الله عنها.

أ ـ الإعوجاج: ـ

دعا شعيب عليه السلام قومه إلى سلوك الطريق السليم في تعاملهم في التجارة والمال حيث ذكر الله تعالى في سورة الأعراف...

ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا....﴾.

الآية (٨٦)

من ذلك أرشدنا الله تعالى إلى أن شعيباً بعثه الله برسالته ليهدي قومه إلى الطريق السليم في تعاملهم وبيعهم وإيفاء الكيل والميزان، وألا يهددون ويتوعدون وأن يؤمنوا بكلام الله ويأمروا بالمعروف.. لأن الله أرسل شعيباً عليه السلام لكي يصحح الإعوجاج في سلوكهم وتصرفاتهم في المال والتجارة وعدم الإيمان بالله... ويعتبر ذلك درساً نستفيد منه في اقتصادنا العملي وفي معاملاتنا في المال والتجارة حسب شريعة الله وسنة نبيه... فهي الطريق السليم لتجنب المحظورات وتصحيح الاعوجاج في حياتنا...

ب ـ المعصية: ـ

ورد في معجم لسان العرب[1] للعلامة ابن منظور قال: العصيان خلاف الطاعة. عصى العبد ربه إذا خالف أمره، وعصى فلان أميره يعصيه عصياً وعصياناً ومعصية إذا لم يطعه، فهو عاصي وعصيّ.

ويقال للجماعة إذا خرجت عن طاعة السلطان: قد استعصت عليه. وفي الحديث: لولا أن نعصي الله ما عصانا أي لم يمتنع عن إجابتنا إذا

(١) معجم لسان العرب ـ للعلامة ابن منظور. (المجلد الثاني ـ ص ٨٠٢).

دعوناه فجعل الجواب بمنزلة الخطاب فسماه عصياناً كقوله تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله﴾.

وفي الحديث أنه غير اسم العاصي، إنما غيره لأن شعار المؤمن الطاعة والعصيان ضدها. والذي ورد في الحديث: أن رجلاً قال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى، فقال له النبي ﷺ: «بئس الخطيب أنت»! قل: ومن يعصِ الله ورسوله فقد غوى.

وفيما يتعلق بقصة شعيب عليه السلام، فقد حذر قومه من العذاب الذي أصاب من سبقهم من قوم نوح أو هود أو صالح عليهم السلام... كما نهاهم عن معصية الله تبارك وتعالى وطلب منهم أن يستغفروا الله تعالى ويتوبوا إليه... إلا أن قوم شعيب عليه السلام لم يستمعوا لهذه النصيحة... واستمروا في عنادهم وتكذيبهم.

جـ- الإثـم: -

بين لنا الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام أن كل عمل مخالف لتعاليم كتاب الله وأنبيائه ورسله يعتبر إثماً... فقد كان قوم شعيب عليه السلام يبخسوا الناس أشياءهم... فلم يوفوا حقوق الناس في الكيل والميزان، وقد توعدوا المؤمنين بالقتل والصد عن سبيل الله... وهكذا فإن مثل هذه التصرفات تعتبر من الإثم الذي حرمه الله تبارك وتعالى وحذرنا منه.

د - المعاصـي: -

أوضح لنا الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام أن نتجنب المعاصي.. فقد ارتكب قوم شعيب عليه السلام المعاصي من خلال النقص في حقوق الناس في الكيل والميزان خفية.. وقد نصحهم شعيب عليه السلام ألا يرتكبوا المعاصي في أرض الله... وبهذا أرشدنا الله تعالى إلى درس اقتصادي عن المحظورات والمنهيات في الإسلام وخاصة فيما يتعلق بالمعاصي لقوم شعيب عليه السلام... فكان عذاب الله تعالى.. .وكانت الصيحة التي أصبحوا بعدها جاثمين في ديارهم...

وقد ذكرت سورة هود ـ الآيات (٨٩ حتى ٩٤): -

﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾.

هـ ـ السيئات: -

أوضحنا سابقاً عن المحظورات والمنهيات التي نهانا الله عنها في قصة شعيب عليه السلام لقومه عن ظلم الناس في حقوقهم والنقص في الكيل والميزان وقطع الطريق والصد عن سبيل الله...

كل هذه المعاصي التي حرمها الله تعتبر من السيئات التي فعلها قوم شعيب عليه السلام فهي درس إسلامي اقتصادي في كيفية التعامل بين الناس في مجال المال والاقتصاد والتجارة وأن يبتعد عن كل عمل ينهانا الله عنه.

و ـ الكفر: -

بيّن الله تعالى لنا في قصة شعيب عليه السلام العقاب الذي استحقه

القوم الذين لم يسمعوا ويطيعوا شعيب عليه السلام حيث كان يرشدهم إلى الطريق الصحيح ويهديهم إلى النور والبعد عن ارتكاب المعاصي، وما حرمه الله بل إن هؤلاء القوم بعصيانهم لشعيب عليه السلام وما نهاهم الله عنه فإن أفعالهم تعتبر كفرا وعصياناً لعدم اتباعهم النصيحة... كما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف...

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾. الآية (٩٠).

ومن الدروس المستفادة أننا نطبق كتاب الله ونبتعد عن المعاصي وظلم الناس والوفاء بحقوقهم وعدم البخس في الكيل والميزان...

ز - الإستكبار: -

بين الله تعالى لنا أن فئة من قوم شعيب عليه السلام لم تستجب لتحذيراته ونصائحه، وهي في الأصل من كلام الله عز وجل بل استكبروا وكذبوا شعيباً على ما ذكره من كلام الله... وقد ذكر الله تعالى في سورة الأعراف...

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾....

الآيتان (٨٨)، (٨٩).

وبهذا يتضح لنا من قصة شعيب أن الله أرسله للنصيحة والهدى واتباع الحق بين الناس، ولكن فئة من قومه استكبروا وعصوا وكذبوه فاستحقوا العذاب. وورد في تفسير بعض العلماء الأفاضل للآية (٨٨) من سورة الأعراف، ما يلي: -

قال الإمام الرازي[1]: ـ

اعلم أن شعيباً لما قرر تلك الكلمات قال: ﴿**الذين استكبروا**﴾ وأنفوا من تصديقه وقبول قوله لا بد من أحد أمرين: إما أن نخرجك ونخرج أتباعك من هذه القرية. . . وإما أن تعود إلى ملتنا، والإشكال فيه أن يقال: إن قولهم: ﴿**أو لتعودن في ملتنا**﴾ يدل على أنه عليه السلام كان على ملتهم التي هي الكفر، فهذا يقتضي أنه عليه السلام كان كافراً قبل ذلك.

وقال الإمام الشوكاني[2]: ـ

﴿**قال الملأ الذين استكبروا من قومه**﴾ أي قال الأشراف المستكبرون ﴿**لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك**﴾، لم يكتفوا بترك الإيمان والتمرد عن الإجابة إلى ما دعاهم إليه، بل جاوزوا ذلك بغياً وبطراً وأسراً إلى توعد نبيهم ومن آمن به بالإخراج من قريتهم.

كما جاء في قول الإمام محمد رشيد رضا[3]: ـ

أي قال أشراف قومه وأكابرهم الذين استكبروا عن الإيمان له وعتوا عما أمرهم به ونهاهم عنه اتباعاً لأهوائهم ـ وقد استضعفوه ـ نقسم لنخرجنك يا شعيب أنت والذين معك من قريتنا الجامعة أو من بلادنا كلها ـ فلفظ القرية والبلد يطلق أحياناً على القطر أو المملكة ـ أو لتعودن وترجعن إلى ملتنا وما ندين به من تقاليدنا الموروثة عن آبائنا، فتكون ملة لكم ومحيطة بكم معنا.

---

(١) الإمام الرازي ـ سورة الأعراف ـ الآية (٨٨) ص ١٧٣ م ١٢.

(٢) الإمام الشوكاني ـ فتح القدير ـ سورة الأعراف ـ الآية (٨٨) ـ ص ٢٢٣ م ٢ ج ٢٩.

(٣) الإمام محمد رشيد رضا ـ المنار ـ سورة الأعراف ـ الآية (٨٨) ـ ص ٥٢٤، م ٩.

والمعنى: نقسم ليكونن أحد هذين الأمرين: إخراجكم أو عودتكم في الملة فاختاروا لأنفسكم، قيل: إن التعبير بالعود يقتضي أنهم كانوا على ملتهم ثم خرجوا منها، وهو يصدق بالمجموع فلا ينافي القول بعصمة الأنبياء من الكفر حتى قبل النبوة، على أن شعيباً عليه السلام لم يكن قبل النبوة على ملة أخرى غير ملة قومه فيمنعهم ذلك من التعبير في شأنه بالعودة، وكونه لم يشاركهم في شركهم ولا في بخس الناس أشياءهم وهضم حقوقهم أمر سلبي لا يتلفت إليه جمهورهم، ولا يعدونه به خارجاً عنهم، وقال الراغب: العود الرجوع إلى الشيء بعد الإنصراف عنه إما انصرافاً بالذات أو بالقول والعزيمة أو منه ذمة والدعوة إلى غيره ولا يقتضي هذا المعنى سبق الكون فيه ولا عدمه، فلا حاجة إذن إلى تصحيح التعبير بما قيل من تفسير العود بالمصير، وفيه من التكلف ما ليس في القول بالتغليب، ولا سيما في جوابه عليه السلام.

﴿**قال أولو كنا كارهين**﴾ يعني العود في ملتكم على كل حال من الأحوال حتى حال الكراهة لها الناشئة عن اعتقاد بطلانها وقبحها وما يترتب عليها من الفساد في الدنيا والعذاب في الآخرة؟ فالإستفهام للإنكار و«لو» للغاية، أو أتأمروننا أن نعود فيها وتهددوننا بالنفي من وطننا والإخراج من ديارنا إن لم نفعل ولو كنا كارهين لكل من الأمرين؟.

وقال الشيخ المراغي[1]:

﴿**قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا**﴾، أي قال أشراف قومه الذين استكبروا عن الإيمان وعن اتباع ما أمرهم به وما نهاهم عنه: قسماً لنخرجنك يا شعيب أنت ومن آمن معك ـ من بلادنا كلها ـ بغضاً لكم ودفعاً لفتنتكم، أو لترجعن إلى ديننا ومعتقداتنا التي ورثناها عن آبائنا، وتدخلن في زمرتنا وتندمجن في غمارنا.

---

(١) الشيخ مصطفى المراغي ـ سورة الأعراف ـ الآية (٨٨) ـ ص٢١٢ ج ٩.

والخلاصة: ليكونن أحد الأمرين: إخراجكم من البلاد، أو عودتكم في الملة، فاختاروا لأنفسكم ما ترونه أرفق بكم وأوفق لكم.

وشعيب عليه السلام لم يكن قبل النبوة على ملة أخرى غير ملة قومه، فساغ لهم أن يطالبوه بالعود إلى ملتهم، وكونه لم يشاركهم في شركهم ولا بخس الناس أشياءهم ـ أمر سلبي لا يعده به جمهورهم خروجاً عنهم ـ فلا منافاة بين هذا وعصمة الأنبياء عن الكفر.

﴿**قال أولو كنا كارهين**﴾ أي أتأمروننا أن نعود في ملتكم وتهددوننا بالنفي من أوطاننا، والإخراج من ديارنا إن لم نفعل ولو كنا كارهين لكل من الأمرين؟

وقال الشيخ محمود حجازي[1]:

أمر شعيب قومه بعبادة الله وحده، والوفاء بالكيل والميزان وعدم الفساد في الأرض، فما كان من أشراف قومه الذين استكبروا عن الإيمان بالله ورسله وعاثوا في الأرض الفساد، إلا أن قالوا: تالله لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من بلادنا حتى تسكن الفتنة، وتهدأ الثورة التي أثرتموها باتخاذكم ديناً غير دين الآباء والأجداد.

ح ـ الظلم: ـ

بين لنا الله تعالى درساً من الدروس الإسلامية في الاقتصاد وهو ظلم الناس لبعضهم البعض... وكما أشارت قصة شعيب أن قومه ظلموا بعضهم البعض في حقوقهم بالبخس وعدم الوفاء في الكيل والميزان، وكذلك خيانتهم في الأموال وأخذها بغير حق عن طريق البخس في الميزان، فهذا ظلم واعتداء على حقوق المشترين وفي ظلم الباعة من الغش والحيل التي تنتقص بها حقوق الناس، كما ذكر الله تعالى في سورة هود: ﴿**ولما جاء**

---

(١) الشيخ محمود حجازي ـ سورة الأعراف ـ الآية (٨٨) ـ ص ٨٧، م ٩.

أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ الآية (٩٤).

وبهذا تعلمنا درساً اقتصادياً في التعامل بين البائع والمشتري أو بين الحق والباطل فيما بين الناس.

ط ـ الظلم التجاري: ـ

جاء في معجم لسان العرب[1] للعلامة ابن منظور عن الظلم.. فقال: ظلم: الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، قال الأصمعي: ما ظلم أي ما وضع الشبه في غير موضعه وأصل الظلم الجوروجاوزة الحد ـ والظلم: الميل عن القصد، والعرب تقول: الزم هذا الصوب ولا تظلم عنه أي لا تجر عنه. وقوله عز وجل: **﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾**، يعني: إن الله تعالى هو المحيي المميت الرزاق المنعم وحده لا شريك له، فإذا أشرك به غيره، فذلك أعظم الظلم، لأنه جعل النعمة لغير ربها.

والظلمة: المانعون أهل الحقوق حقوقهم، يقال: ما ظلمك عن كذا، أي ما منعك، وقيل: الظَّلمة في المعاملة.

وقوله عز وجل: **﴿أتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً﴾**، أي لم تنقص منه شيئاً، وقال الفراء في قوله عز وجل: **﴿وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾**، قال: مانقصونا شيئاً بما فعلوا ولكن نقصوا أنفسهم.

والظلم من المحظورات التي نهانا الله تبارك وتعالى عن ارتكابها... وقد دعا آدم عليه السلام وزوجته حواء الله عز وجل.. .عندما وسوس لهما الشيطان فذاقا الشجرة وقالا... **﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾**.

والآيات القرآنية التي حذرت بني آدم من الظلم كثيرة.. وعلى سبيل

---

(١) معجم لسان العرب ـ للعلامة ابن منظور. (المجلد الثاني ـ ص ٦٤٩، ص ٦٥٠).

المثال لا الحصر... ذكرت الآية (١) من سورة الطلاق: -

﴿ . ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ... ﴾ .

وفي سورة الشعراء ذكرت الآية الكريمة (٢٢٧): -

﴿ بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ .

أما في سورة الزخرف فقد ذكرت الآية (٦٥) -

﴿ فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا ... ﴾ .

وفيما يختص بقوم شعيب... فقد ذكرت سورة هود الآية (٩٤): -

﴿ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ﴾ .

وهكذا نجد أن العقاب الإلهي للظالم شديد وأليم... فإن جميع الآيات القرآنية توضح أن الظالم يذوق العذاب في الدنيا والآخرة... فلا يشعر بنجاح... أو فلاح... لأن الله تبارك وتعالى لا يهدي القوم الظالمين... والظلم اقترن بالشرك بالله...

ففي سورة لقمان الآية (١٣): -

﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ... ﴾ .

وقد حرم الله تبارك وتعالى الظلم على نفسه... فقال في سورة يونس الآية (٤٤): -

﴿ إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون ﴾ .

وفي سورة الكهف الآية (٤٩): -

﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا... ﴾ .

وقانا الله تبارك وتعالى شر الظلم والظالمين وجعلنا من المتقين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه...

ي - الفسق: -

أوضحت لنا قصة شعيب عليه السلام أن الله أرسله إلى قومه لأنهم

فسدوا وفسقوا في الأرض وارتكبوا المعاصي والآثام التي حرمها الله تعالى من نقص حقوق الناس في أموالهم بأخذها على وجه البخس ونقص المكيال والميزان خفية، والصد عن سبيل الله من آمن به وأخذ الرشوة وقطع الطريق وظلم النـاس بالبغي والعـدوان، كل هـذه المسببات كـانت إفساداً وفسقـاً لمجتمعهم وبهذا حرم الله علينا الفسق.

ولبناء مجتمع إسلامي ينبغي علينا أن نطبق شريعة الله وسنة نبيه بالحق والعدل وعدم إفساد مجتمعنا الإسلامي من بيع المحرمات كالخمور ولحم الخنزير أو فساد المجتمع بالرشوة والظلم، وعدم إقامة العدل وإعطاء كل ذي حق حقه، وغير ذلك من الفسوق التي حرمها الله علينا وعلى من سبقونا، كما ذكر الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام في سورة الأعراف: ﴿**وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين**﴾ آية (١٠٢).

المبحث الرابع
الاقتصاد التطبيقي للموازين والمكاييل

أولاً - الإستقرار الاقتصادي للموازين والمكاييل: -

أوضح الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام فرعاً من فروع الاقتصاد وهو النظام الإسلامي في استقرار معايشنا في الأرض.

فقد ذكرت سورة الأعراف:

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾﴾. الآيتان (١٠، ١١).

وفيما يلي تحليلنا لهذه الأسس الاقتصادية للإستقرار الاقتصادي للموازين والمكاييل: -

يذكر علم الاقتصاد الحديث أن العناصر الأساسية للإستقرار الإقتصادي هي السياسة النقدية والسياسة المالية... وبدراسة التاريخ الإقتصادي من خلال قصة شعيب عليه السلام نجد أنه جاء برسالة الله تعالى وحدوده في إيفاء الكيل والميزان وعدم الفساد والعثو في الأرض والإصلاح، وقد نبه قومه بعدم مخالفة حدود الله وأن مصيرهم العقاب نظير أفعالهم... ومن الإصطلاحات الاقتصادية لدعوة شعيب عليه السلام قومه لترك بخس الميزان ومكسه والتطفيف وعدم الوفاء والقسط والعدل في الميزان، كل هذه

المسببات تعطينا مفهوماً اقتصادياً للموازين والمكاييل باستقرار الميزان وحدوده واستقرار الأسعار النقدية.

ومن تلك المفاهيم الاقتصادية الهامة في مجال الاستقرار الاقتصادي تحديد الوزن والكيل للسلعة وإعطائها الصبغة الرسمية... حيث أن الدورة الإقتصادية والتجارية التي تحدث لهذه السلع من رواج أو كساد وتقلب في الأسعار وزيادة أو نقصان... فمثل هذه العمليات من التقلبات الإقتصادية تعتمد على تخطيطات اقتصادية للسلعة نفسها والإستقرار في الإقتصاد التطبيقي، ومعرفة حدود الوزن والكيل، وهذا هو مفهوم الاستقرار الاقتصادي الذي نادى به شعيب عليه السلام قومه، والذي يعتبر أساس استقرار معايشنا وحياتنا الدنيوية الاقتصادية فينعكس على الوضع الاقتصادي في الأسواق حيث أن الإستقرار يؤثر على حياتنا المعيشية في الأسواق وإقامة العدل وإعطاء كل ذي حق حقه بإيفاء الميزان والكيل، وبالتالي سيتحدد السعر الحقيقي بما شرعه الله من مكاسب حقيقية، كما يؤثر ذلك على الدخل القومي للفرد وتحديد السلعة بقيمتها الحقيقية، وسيؤثر ذلك على الأسواق التجارية وكسب سمعتها في الإستقرار والطمأنينة للموازين والأسعار، وبذلك يستقر الوضع الاقتصادي المحلي والدولي بتثبيت الأسعار وعدم الغش والتحايل، وسيعود هذا الإستقرار على الفرد، وبالتالي على المجتمع، وتتحقق الحكمة الإلهية من رسالة شعيب عليه السلام الاقتصاية بالإستقرار الاقتصادي والطمأنينة الاقتصادي في معايشنا...

١ - إيفاء الكيل والميزان: -:

يعتبر إيفاء الكيل والميزان بمعنى إتمامه - بأن يكون كاملاً غير ناقص - من الصفات التي أوضحتها قصة شعيب عليه السلام... وقد ذكرت سورة هود: ﴿ويا قوم أوفوا المكيال والميزان﴾ آية (٨٥)، وكذلك في سورة الأعراف: ﴿قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان﴾ آية (٨٥). وكذلك بين الله تعالى في سورة الشعراء: ﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من

المخسرين﴾ آية (١٨١). وكما ذكر الله تعالى في سورة المطففين: **﴿ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون﴾** آية (١)، (٢).

من ذلك علمنا الله تبارك وتعالى درساً في الاقتصاد التطبيقي عن وفاء البائع إلى المشتري في الكيل والميزان بإيفائه لهما وتسليمه البضاعة كاملة غير منقوصة.

فإيفاء الوزن والكيل هو أحد الأسس والمناهج الرئيسية في عقيدتنا الإسلامية في الاقتصاد... وذلك لتحقيق العدالة التجارية الاقتصادية في مجتمعنا وأمتنا الإسلامية... وعندما نحلل ذلك اقتصادياً فإن مدلول الوفاء له أهداف اقتصادية نوجزها فيما يلي:

١ - إن الوفاء في الكيل والميزان هو إقامة العدل والحق بين ما يبيعه التاجر وأخذ الحق للمشتري من السلعة المراد بيعها.

٢ - إن التلاعب في التجارة والمال والإقتصاد سواء بالغش أو الغبن أو التحايل يؤدي إلى فساد المجتمع، وهذا ما نهانا الله عنه في كتابه العزيز لإقامة الوفاء والقسط في الكيل والميزان.

٣ - إن أسس العقيدة الإسلامية من شروطها الوفاء في الكيل والميزان لأن كل مسلم يعمل بالتجارة أو الصناعة أو بالمال لا بد أن يفي ويعطي الحق لصاحب الحق.

وقد علمنا الله تعالى في كتابه العزيز عن الوفاء في الكيل والميزان في قصة يوسف عليه ابلسلام حيث ذكر الله تعالى في سورة يوسف: **﴿ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين﴾** آية (٥٩).

وكذلك ذكر الله تعالى في سورة يوسف: **﴿فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوفِ لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين﴾** آية (٨٨).

كما علمنا الله تعالى من خلال قصة شعيب عليه السلام أحد الأسس

الإسلامية في اقتصادنا وهو الأمانة سواء كانت أمانة الشخص نحو طاعة ربه وعدم معصيته أو تعامله في عمله وتجارته، وفي أقواله بأن يأخذ الطريق السليم نحو بناء مجتمع إسلامي يقيم العدل والحق ويقر الأمانة حيث أوضح لنا شعيباً عليه السلام أنه كان أميناً صادقاً في رسالة ربه إلى قومه، يقيم العدل ويتمسك بالحق ويبتعد عما حرمها الله كما ذكر الله تعالى:

﴿إذ قال لهم شعيب ألا تتقون (١٧٧) إني لكم رسول أمين (١٧٨) فاتقوا الله وأطيعون (١٧٩)﴾.

سورة الشعراء

٤ - كذلك نهى الله تبارك وتعالى البائع بألا يبخس الميزان وأن يعطي للمشتري حقوقاً مستوفاة من ناحية السلعة المراد بيعها.

٥ - كما بين الله تبارك وتعالى ما ينبغي على البائع والمشتري القيام به، وأن يكونوا أمناء في معاملتهم وخاصة ما يتعلق بعملية البيع والشراء،وأن لا يتحايل ولا يغش ولا يغبن أي منهما الآخر.

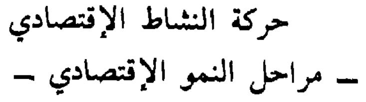
٦ - وهناك قاعدة أساسية في الإسلامي ينبغي أن يتبعها المسلم... وقد ذكر في سورة الشعراء **﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾** آية (١٧٩).

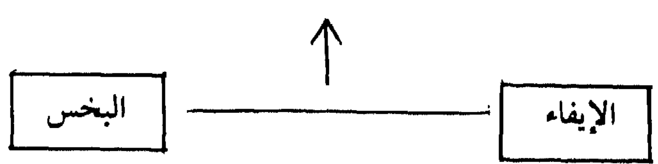
٧ - وفيما يتعلق بالإقتصاد التطبيقي في التجارة الدولية فإن تبادل المنتجات بين الدول يلعب دوراً رئيسياً في هذا المجال... فتقوم بعض الدول بمقايضة منتجاتها وتبيع الدول الأخرى بضائعها بعد تقدير أوزانها وأسعارها ومن ثم معرفة قيمتها... وهكذا تنشأ العلاقات التجارية الدولية وتنتعش التجارة بين الدول من خلال التمسك بإيفاء الكيل والميزان وتطبيق منهج الله تعالى وتوخي العدل والحق...

٨ ـ لقد أثبت إيفاء الكيل والميزان... أنه يساعد على النمو الاقتصادي في البلد... كما يحقق الإنتعاش الاقتصادي المطلوب، وكذلك يضمن زيادة المعدلات الحالية للنمو في مختلف القطاعات الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة... وذلك كله بفضل التمسك بالشريعة الإسلامية السمحاء، التي تعتمد أساساً على العدل والحق واتباع المنهج التطبيقي للإقتصاد الإسلامي...

وعندما نلقي بعض الضوء على ما يفعله قوم شعيب من مفاسد بجانب البخس ونقص الميزان نجد أن المفهوم الاقتصادي في مجتمعهم مصدره السرقة والرشوة وقطع الطريق وابتزاز الأموال من الغرباء بالإستيلاء على دراهمهم عن طريق التحايل، وكان هذا المفهوم الاقتصادي ينعكس ويؤثر على فئات المجتمع مالياً واقتصادياً في حركة النشاط الاقتصادي والسبب المباشر لهذا كله هو عدم قناعتهم بما يرزقهم الله من فضله.

تحليل الإستقرار الاقتصادي في الموازين والمكاييل

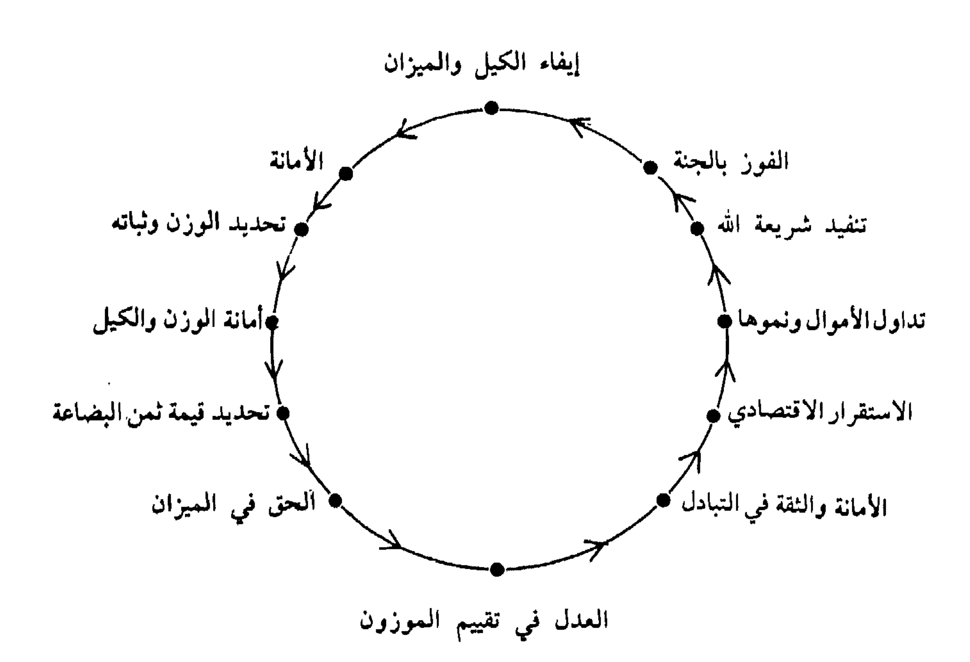




- الإيفاء
- الوفاء والقسط
- شريعة الله وحدوده.
حرية التجارة
- حرية الاقتصاد
ثبات الدورة الاقتصادية
أمان في الميزان التجاري
- تنمية اقتصادية مستقرة
- الثقة في التجارة الدولية
- اعتدال نمو رأس المال المتداول.
حلال في دخل الفرد
- الاعتدال في قانون العرض والطلب

- النقص والبخس
- التخلف الإقتصادي
- التغيرات الاقتصادية
- عدم ثبات الأسعار
- عدم استقرار السوق
- إفراط في الفساد.
- الغش والتحايل التجاري
- انكماش في انفاق المستهلك
- نقص في رأس المال المتداول
- اقتصاد مغلق
- زيادة في الربح الاقتصادي المحرم
- التغير الاقتصادي
- الحرام في دخل الفرد
تقلبات في قانون العرض والطلب

التحليـل الإقتصـادي لإيفـاء الكيـل والميـزان والدورة الإقتصادية



البخس

هو أحد المنهيات والمحظورات التي علمها شعيب عليه السلام لقومه، فقد دعاهم إلى عدم البخس أي نقص حقوق الناس في أموالهم، ونقص المكيال والميزان خفية وتدليساً... ويقال: بخسه حقه أي نقصه وقلله أياه في الوزن وظلمه في حقوقه... ولقد كان البخس وتقليل الوزن متفشياً في قوم شعيب عليه السلام، ويعتبر من المفاسد والمعاصي التي حرمها الله علينا... والبخس أعم وأشمل من نقص المكيل والموزون حيث يشمل البخس في المساومة والغش التجاري والتلاعب والحيل التي تنتقص بها حقوق المشتري من البضاعة.

ولهذا، فإن البخس هو أحد المفاسد، ولهذا أرسل الله تعالى شعيباً لإقامة الحق والعدل في الكيل والميزان بين قومه، كما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف: **﴿قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾** آية (٨٥).

وكذلك ذكر الله تعالى في سورة هود: **﴿ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾**. آية (٨٥).

وقد ذكر الله تعالى في سورة الشعراء: **﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾**. آية (١٨٣).

وقد ورد في معجم لسان العرب للعلامة ابن منظور عن البخس ما يلي: -

البخس: النقص، بخسه حقه، يبخسه بخساً إذا نقصه، أبو العباس: باخس بمعنى ظالم. ولا تبخسوا الناس: لا تظلموهم. والبخس من الظلم أن يبخس أخاك حقه فتنقصه كما يبخس الكيال مكياله فينقصه... وقوله عز وجل: ﴿**فلا يخاف بخساً ولا رهقاً**﴾ أي لا ينقص من ثواب عمله، ولا رهقاً أي ظلماً.

﴿**وشروه بثمن بخس**﴾ أي ناقص دون ثمنه، والبخس: الخسيس الذي يخس به البائع... قال الزجاج: بخس أي ظلم لأن الإنسان الموجود لا يحل بيعه، وبخس الميزان: نقصه. وتباخس القوم: تغابنوا.

(*) معجم لسان العرب للعلامة ابن منظور ـ (المجلد الأول ـ ص ١٦٨).

«آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن البخس»

السورة	الآية	
البقرة	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ۚ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ۚ وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ۖ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ	﴿٢٨٢﴾

السورة	الآية	الرقم
هود	مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ	١٥
الأعراف	وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ	٨٥
هود	وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ٨٥	٨٥
الشعراء	وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ	١٨٣

١٥

٨٥

الرقم	الآية	السورة
١٣	وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا	الجن
٢٠	وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ	يوسف

وقال شيخ الإسلام رحمه الله[1]

عمن يبخس المكيال والميزان

أما بخس المكيال والميزان، فهو من الأعمال التي أهلك الله بها قوم شعيب، وقص علينا قصتهم في غير موضع من القرآن لنعتبر بذلك. والإصرار على ذلك من أعظم الكبائر، وصاحبه مستوجب تغليظ العقوبة، وينبغي أن يؤخذ منه ما بخسه من أموال المسلمين على طول الزمان، ويصرف في مصالح المسلمين، إذا لم يمكن إعادته إلى أصحابه.

والكيال والوزان الذي يبخس الغير: هو ضامن محروم، مأثوم، وهو من أخسر الناس صفقة، إذ باع آخرته بدنيا غيره. ولا يحل أن يجعل بين الناس كيالاً أو وزاناً يبخس أو يحابي، كما لا يحل أن يكون بينهم مقوم يحابي، بحيث يكيل أو يزن أو يقوم لمن يرجوه أو يخاف من شره، أو يكون له جاه ونحوه؛ بخلاف ما يكيل أو يزن أو يقوم لغيرهم، أو يظلم من يبغضه، ويزيد من يحبه.

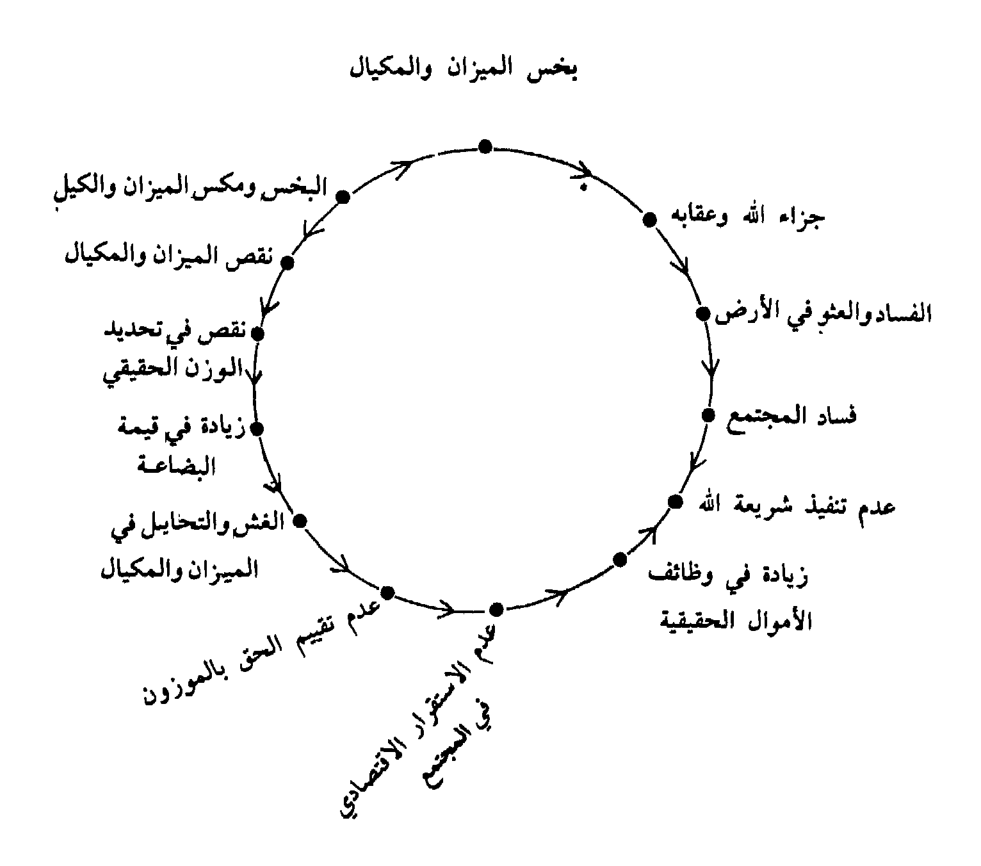
قال الله تعالى: ﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط، لا نكلف نفساً إلا وسعها﴾، وقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط، شهداء لله، ولو على أنفسكم، أو الوالدين والأقربين، إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما، فلا تتبعوا الهوى إن تعدلوا، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾**. والله أعلم.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية...
(جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد) م ٢٩ ـ ص ٤٧٤.

التحليل الاقتصادي للبخس في الميزان والمكيال

والدورة الاقتصادية



ذكرت قصة شعيب آيات كريمة تبحث عن البخس، وكما أوردنا سابقاً بعض ما فسره أفاضل العلمـاء. . . ويعتبر البخس اصـطلاح اقتصادي من المحظورات التي حرمها الله تعالى علينا.

وقد دعا إليه شعيب عليه السلام قومه، وجاء في تفسير بعض أفاضل العلماء للآية (٨٥) من سورة هود ما يلي: ـ

﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ﴾.

قال الإمام الرازي[١] : عن البخس هو النقص في كل الأشياء.

أما الإمام القرطبي[٢] فقد قال عن ذلك: أى لا تنقصوهم مما استحقوه شيئاً.

كما ذكرت الآية (٨٥) من سورة الأعراف، ما يلي: ـ

﴿ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ ﴾.

قال الإمام الطبري[٣]: ـ

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة: **﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾** قال: لا تظلموا الناس أشياءهم.

وقال الإمام ابن الجوزي[٤] **في ذلك**. . .

البخس هو النقص والقلة.

أما الإمام الرازي[٥] **فقد قال**: ـ

---

(١) الإمام الرازي ـ سورة هود ـ الآية (٨٥) ص ٣٩ م ٦ ج ١٨.
(٢) الإمام القرطبي ـ سورة هود ـ الآية (٨٥) ص ٣٣١٣.
(٣) الإمام الطبري ـ سورة الأعراف ـ الآية (٨٥) ص ١٦٦ م ٥.
(٤) الإمام ابن الجوزي ـ سورة الأعراف ـ الآية (٨٥) ص ٢٢٨ م ٣.
(٥) الإمام الرازي ـ سورة الأعراف ـ الآية (٨٥) ص ١٧٥ م ١٢.

قوله: ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾، والمراد: أنه لما منع قومه من البخس في الكيل والوزن منعهم بعد ذلك من البخس والتنقيص بجميع الوجوه، ويدخل فيه المنع من الغضب والسرقة، وأخذ الرشوة، وقطع الطريق، وانتزاع الأموال بطريق الحيل.

كما قال الإمام ابن كثير

أي لا يخونوا الناس في أموالهم ويأخذوها على وجه البخس وهو نقص المكيال والميزان خفية وتدليساً، كما قال تعالى: **﴿ويل للمطففين ـ إلى قوله ـ لرب العالمين﴾**، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد نسأل الله العافية منه، ثم قال تعالى إخباراً عن شعيب الذي يقال له خطيب الأنبياء لفصاحة عبارته وجزالة موعظته.

وقال الإمام الشوكاني[1]: ـ

قوله: **﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾**، البخس: النقص وهو يكون بالتعييب للسلعة أو التزهيد فيها أو المخادعة لصاحبها والاحتيال عليه، وكل ذلك من أكل أموال الناس بالباطل، وظاهر قوله: **﴿أشياءهم﴾** أنهم كانوا يبخسون الناس في كل الأشياء.

وقال الإمام القاسمي[2] ـ

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد في قوله تعالى: **﴿ولا تبخسوا...﴾ الآية.. قال**: أي لا تسموا لهم شيئاً، وتعطوا لهم غير ذلك.

---

(١) الإمام ابن كثير ـ سورة الأعراف ـ الآية (٨٥) ص (٨٥) ص ٢٣١.
(٢) الإمام الشوكاني ـ فتح القدير ـ سورة الأعراف ـ الآية (٨٥) ص ٢٢٣ م ٢ ج ٢٩.
(٣) الإمام القاسمي ـ سورة الأعراف ـ الآية (٨٥) ص ٢٠٢ م ٧.

وقال الشيخ محمد رشيد[1] رضا: ـ

وجملة: ﴿**ولا تبخسوا الناس أشياءهم**﴾ تشعر بأنهم كانوا يتواطأون على هضم الغريب وبخسه، وإن كانت تشمل بخس الأفراد بعضهم أشياء بعض، وهضم الشعب في جملته أشياء الغرباء الذين يعاملونهم، فقد روى أنهم كانوا إذا دخل الغريب يأخذون دراهمه ويقولون هذه زيوف، فيقطعونها ثم يشترونها منه بالبخس يعني النقصان.

وقال الشيخ المراغي[2]: ـ

والبخس يشمل نقص المكيل والموزون وغيرهما من المبيعات كالمواشي والأشياء المعدودة، ويشمل البخس في المساومة والغش والحيل التي ينتقص بها الحقوق وفي الحقوق المعنوية كالعلوم والفضائل.

وقد فشا كل من هذين النوعين في هذا العصر، فكثير من التجار باخسون مطففون في ما يبيعون وما يشترون، وكثير من المشتغلين بالعلوم والآداب والسياسة بخاسون لحقوق بني جلدتهم، مدعون للتفوق عليهم، منكرون لما خص الله به سواهم من المزايا والخصائص حسداً عليهم وبغياً.

وقد روى أن قوم شعيب كانوا إذا دخل عليهم الغريب يأخذون دراهمه ويقولون: هذه زيوف فيقطعونها ثم يشترونها منه بالبخس أي بالنقصان.

وقد شرح الدكتور محمد فريز منفيخي[3] في كتابه «النظام الاقتصادي القرآني» معنى التطفيف وعدم بخس الناس أشياءهم... فقال: ـ

أمر الله عباده المؤمنين بعدم الإتصاف بهاتين الصفتين عدم التطفيف (الوفاء بالكيل والميزان) وعدم بخس الناس أشياءهم، على مر العصور لأن

---

(١) المنار ـ الشيخ محمد رشيد رضا ـ سورة الأعراف ـ الآية (٨٥) ص ٥٢٣ م ٩.
(٢) الشيخ المراغي ـ سورة الأعراف ـ الآية (٨٥) ص ٢٠٥ ج ٩.
(٣) الدكتور محمد فريز منفيخي ـ النظام الاقتصادي القرآني ـ ص ١١٢١.

فيهما تعطيلاً للحركة التجارية أن تتم على صورتها الحقة وسيادة خلق النصب والسرقة وأخذ أموال الناس بالباطل، يقوم النظام الاقتصادي الإسلامي على الحق والهدى والرشاد وأن لا يظلم أحد من الناس ولو كان ضعيفاً.

وأضاف الدكتور فريز منفيخي يقول: ـ

سنرى معاني هذه الآيات الكريمة من خلال تفسير المراغي:

وأتموا الكيل إذا كلتم للناس أو اكتلتم عليهم لأنفسكم، وأوفوا الميزان إذا وزنتم لأنفسكم فيما تبتاعون أو لغيركم فيما تبيعون فليكن كل ذلك وافياً تاماً بالعدل ولا تكونوا من أولئك المطففين. إذ أن الإيفاء يكون من الجانبين حين البيع وحين الشراء فيرضى المرء لغيره ما يرضاه لنفسه، وقوله: ﴿**بالقسط**﴾ يدل على تحري العدل في الكيل والميزان حال البيع والشراء بقدر المستطاع، وإن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا ما يسعها فعله، بأن تأتيه بلا عسر ولا حرج فهو لا يكلف من يبيع أو يشتري الأقوات ونحوها أن يزنها أو يكيلها بحيث لا تزيد حبة ولا مثقالاً بل يكلفه أن يضبط الوزن والكيل له أو عليه سواء بحيث يعتقد أنه لم يظلم بزيادة ولا نقص يعتد بهما عرفا، والقاعدة الشرعية أن التكليف إنما يكون بما في وسع المكلف بلا حرج ولا مشقة عليه ولو اتبع المسلمون هذه الوصية وعملوا بها لاستقامت أمور معاملاتهم وعظمت الثقة والأمانة بينهم.

ثنى الله بالأمر بإيفاء الكيل والميزان إذا باعوا، والنهي عن بخس الناس أشياءهم إذا اشتروا بعد أن أمرهم بتوحيد الله، لأن ذلك كان فاشياً فيهم أكثر من سائر المعاصي، ومن ثم تهتم به كما اهتم لوط بنهي قومه عن الفاحشة التي كانت فاشية بهم، فقد كانوا من المطففين الذين إذا اكتالوا على الناس أو وزنوا عليهم لأنفسهم ما يشترون من المكيلات والموزونات يستوفون حقهم أو يزيدون عليه، وإذا كالوهم أو وزنوهم ما يبيعون لهم يخسرون الكيل والميزان أي ينقصونه فيبخسونهم أشياءهم وينقصونهم حقوقهم.

والبخس يشمل نقص المكيل والموزون وغيرهما من المبيعات كالمواشي والأشياء المعدودة، ويشمل: البخس في المساومة والغش والحيل التي تنتقص بها الحقوق، وفي الحقوق المعنوية كالعلوم والفضائل، وقد فشا كل من هذين النوعين في هذا العصر، فكثير من التجار باخسون مطففون فيما يبيعون وما يشترون، وكثير من المشتغلين بالعلوم والآداب والسياسة بخاسون لحقوق بني جلدتهم مدعون للتفوق عليهم، منكرون لما خص الله به سواهم من المزايا والخصائص حسداً عليهم وبغياً، وقد روى أن قوم شعيب كانوا إذا دخل عليهم الغريب يأخذون دراهمه ويقولون: هذه زيوف فيقطعونها ثم يشترونها منه بالبخس أي بالنقصان.

﴿**ولا تبخسوا الناس أشياءهم**﴾ البخس: النقص في كل الأشياء، يقال: بخسه ماله وبخسه علمه وفضله أي لا تظلموا الناس أشياءهم وذلك يشمل ما للأفراد وما للجماعات من مكيل وموزون ومعدود ومحدود بحدود حسية وحقوق مادية أو معنوية.

﴿**ولا تعثوا في الأرض مفسدين**﴾، الإفساد تعطيل يشمل مصالح الدنيا وأمور الدين وأخلاق النفس وصفاتها، وكل ذلك فاشٍ في مجتمعنا، أي: لا تفسدوا في الأرض وأنتم تتعمدون الإفساد، وإنما اشترط في النهي تعمد الإفساد لأن بعض ما هو إفساد في الظاهر قد يراد به الإصلاح أو دفع أخف الضررين كما يقع في الحرب في قطع الأشجار.

ما يبقى لكم بعد إيفاء الكيل والميزان من الربح الحلال خير لكم مما تأخذونه بالتطفيف ونحوه من الحرام إن كنتم مؤمنين به حق الإيمان، فالإيمان يطهر النفس من رذيلة الطمع ويجملها بفضيلة السخاء والكرم.

وأتموا الكيل للناس ولا تخسروهم إذا كلتم لهم حقوقهم قبلك، فإن كلتم لأنفسكم فلا جناح عليكم إن نقصتم عن حقكم ولم تفوا بالكيل وزنوا بالميزان العدل دون شيء من الجور أو الجيف، لأن جميع الناس محتاجون إلى المفاوضات والبيع والشراء، ومن ثم بالغ الشارع في المنع من التطفيف والنقصان سعياً في إبقاء الأموال لأربابها، ثم بين عاقبة هذه الأوامر وحسن

مآلها، فقال: ذلك خير أي إيفاؤكم بالعهد وإيفاؤكم من تكيلون له، ووزنكم بالعدل أمن توفون له خير لكم في الدنيا من نكثكم وبخسكم في الكيل والوزن لأن ذلك مما يرغب الناس في معاملتكم وحب الثناء عليكم، وذلك أجمل عاقبة لما يترتب على ذلك من الثواب في الآخرة والخلاص من العقاب الأليم، وكثير من الفقراء الذين اشتهروا بالأمانة والبعد عن الخيانة أقبلت عليهم الدنيا وحصل لهم الثروة والغنى وكان ذلك سبب سعادتهم فيها.

إذا بعتم للناس فكيلوا لهم الكيل كاملاً ولا تبخسوهم حقهم فتعطوه ناقصاً، وإذا اشتريتم فخذوا كما لو كان البيع لكم وزنوا بالميزان السوي العدل، ثم عم النهي عن البخس في كل حق فقال: ولا تنقصوا الناس أشياءهم وحقهم في كيل أو وزن أو غيرهما كالمزروعات والمعدودات كأخذ بيض كبير وإعطاء بيض صغير وإعطاء رغيف صغير وأخذ رغيف كبير، وهكذا ثم نهاهم عن جرم أعظم شأناً وأشد خطراً وهو الفساد في الأرض تجميع ضروبه وأشكاله فقال: لا تكثروا في الأرض الفساد بالقتل والغارة وقطع الطريق والسلب والنهب وغيرها، وبعد أن نهاهم عن ذلك خوفهم سطوة الجبار الذي خلقهم وخلق من قبلهم ممن كانوا أشد منهم بطشاً وعتوّاً.

وقد فسر العلماء الآية (١٨٣) من سورة الشعراء كما يلي: ـ

﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾. الآية (١٨٣) سورة الشعراء.

قال الإمام الطبري[1]: ـ

﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ يقول: ولا تنقصوا الناس حقوقهم في الكيل والوزن.

---

(١) الإمام الطبري ـ سورة الشعراء ـ الآية (١٨٣) ص ١٦٥.

وقال الإمام الرازي[1]: -

قوله تعالى: ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ يقال: بخسه حقه إذا نقصه إياه، وهذا عام في كل حق يثبت لأحد أن لا يهضم، وفي كل ملك أن لا يغصب مالكه ولا يتصرف فيه إلا بإذنه تصرفاً شرعياً.

كما قال الإمام القاسمي[2]: -

﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ أي تنقصوهم حقوقهم. قال الزمخشري: هو عام في كل حق ثبت لأحد أن لا يهضم، وفي كل ملك أن لا يغصب عليه مالكه، ولا يتحيف منه، ولا يتصرف منه إلا بإذنه شرعياً.

وقال الشيخ المراغي[3]: -

أي ولا تنقصوا الناس حقهم في كيل أو وزن أو غيرهما كالمزروعات والمعدودات كأخذ بيض كبير وإعطاء بيض صغير، وإعطاء رغيف صغير وأخذ رغيف كبير وهكذا.

٢ - عدم الفساد في الأرض: -

أرسل الله عز وجل محمداً ﷺ رحمة للعالمين، وكانت معجزته القرآن الكريم... كما أرسل جميع أنبيائه ورسله لإصلاح وهداية البشر الذين يعيشون في الأرض، وذلك لكثرة أمراضهم الإجتماعية... وقد أرسل كل رسول ونبي إلى قوم أو قرية معينة، وأوضح لنا التاريخ الإقتصادي لقصص القرآن الكريم كثيراً من العظات والعبر... وعندما نحلل فساد قوم شعيب عليه السلام في الأرض نأتي إلى ما يلي: -

(١) الإمام الرازي - سورة الشعراء - الآية (١٨٣) ص ١٦٢.
(٢) الإمام القاسمي - سورة الشعراء - الآية (١٨٣) ص ٤٢.
(٣) الشيخ مصطفى المراغي - سورة الشعراء - الآية (١٨٣) ص ٩٨ م ١٢.

أ : ذكر الله تعالى في سورة الأعراف: **﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إلّه غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾** آية (٨٥).

وقد بين الله تعالى أن قوم شعيب فسدوا في الأرض بعدم الوفاء بالكيل والميزان وببخس حقوق الناس وخيانتهم للناس في أموالهم بأخذها بغير حل، وهو نقص المكيال والميزان مكراً وخفية، أي أن الصفات والأخلاقيات التي حرمها الإسلام كانت من طبيعة قوم شعيب عليه السلام بالغش والحيل التي تنتقص بحقوق الناس أي انتزاع الأموال بطرق ملتوية غير شرعية أو الكسب غير المشروع.

ب : ذكر الله تعالى في سورة هود: **﴿قال ياقوم أرأيتم إن كنتم على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾**. الآية (٨٨).

أوضح الله تبارك وتعالى لنا من الآية الكريمة أن قوم شعيب كانوا ينقصون ويبخسون في الكيل والميزان أي يربحون الأموال ويأخذونها على وجه البخس وهو نقس المكيال والميزان.. وهذه الأموال كسبوها بواسطة الغش التجاري والحيل والألاعيب التجارية التي نهى الله عنها وحرمها ووصفها بالفساد في الأرض.

كما أوضحت لنا الآية الكريمة من قصة شعيب عليه السلام إن الله يزرق الرزق للعباد وأنه يوجد ما حلله الله من الرزق، وهو كما دلت عليه الآية الكريمة الرزق الحسن أي كسب الأموال بالطريقة الشرعية، وأن قوم شعيب عليه السلام رزقهم الله، ولكن مكسبهم كان حراماً عليهم لأنهم كسبوه بالبخس بالكيل واليزان، وهذا فساد في الأرض لأنظمة الله وشريعته.

جـ: ذكر الله تعالى في سورة الأعراف:

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾. الآية (٨٦).

أوضح الله تعالى لنا من الآية الكريمة أن قوم شعيب كانوا يفسدون في الأرض وذلك بالكفر والظلم وأكل أموال الناس بالباطل والبغي والعدوان على الأنفس والقعود في الطرق والصد عن الطريق وأخذ المال بالقوة والجبر بدون أن يفعلوا شيئاً، وإفساد المجتمع بشيوع الإنحلال الخلقي، ويريدون الفساد في الأرض باعوجاجها ويصدون عن سبيل الله من آمن به... كل هذه المفاسد بينتها الآية الكريمة لقوم شعيب عليه السلام وقد نهانا الله عنها.

د : وكما أوضحنا سابقاً أن قوم شعيب عليه السلام أفسدوا في الأرض وسبيل بناء اقتصاد يقوم على أسس إسلامية سليمة لمعايشنا في الأرض لا يكون إلا بتطبيق شريعة الله وسنة نبيه والبعد عن جميع المفاسد التي حرمها الله علينا من غش وتلاعب في المكاييل والموازين والتجارة والأموال.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله[1]...

وقوله تعالى: **﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾**، قال أكثر المفسرين: لا تفسدوا فيها بالمعاصي، والداعي إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة الله [مفسد]، فإن عبادة غير الله والدعوة إلى غيره والشرك به هو أعظم الفساد في الأرض، بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو الشرك بالله، ومخالفة أمره. قال الله تعالى: **﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس﴾** قال عطية في الآية: ولا تعصوا في الأرض فيمسك الله المطر، ويهلك الحرث

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية...
(جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد) المجلد ١٥ ص ٢٤.

بمعاصيكم. وقال غير واحد من السلف: إذا قحط المطر فالدواب تلعن عصاة بني آدم، فتقول: اللهم العنهم فبسببهم أجدبت الأرض، وقحط المطر.

و «بالجملة» **فالشرك والدعوة إلى غير الله وإقامة معبود غيره، أو مطاع متبع غير الرسول ﷺ، هو أعظم الفساد في الأرض، ولا صلاح لها ولأهلها إلا أن يكون الله وحده هو المعبود والدعوة له لا لغيره، والطاعة والإتباع لرسول الله ﷺ وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول ﷺ، فإن أمر بمعصيته فلا سمع ولا طاعة: فإن الله أصلح الأرض برسوله ﷺ ودينه، وبالأمر بالتوحيد، ونهى عن فسادها بالشرك به، ومخالفة رسوله ﷺ.**

ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض، فسببه توحيد الله وعبادته، وطاعة رسوله ﷺ، وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وبحط وتسليط عدو وغير ذلك: فسببه الرسول ﷺ والدعوة إلى غير الله، ومن تدبر هذا حق التدبر وجد هذا الأمر كذلك في خاصة نفسه، وفي غيره عموماً وخصوصاً ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وورد في تفسير أفاضل العلماء للآية (٨٦) من سورة الأعراف، ما يلي: - ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ ﴾.

قال الإمام ابن الجوزي[1]: -

قوله تعالى: **﴿ولا تقعدوا بكل صراط﴾** أي: بكل طريق **﴿توعدون﴾** من آمن بشعيب بالشر، وتخوفونهم بالعذاب والقتل.

قوله تعالى: **﴿وتصدون عن سبيل الله﴾** أي: تصرفون عن دين الله من آمن به.

---

(١) الإمام ابن الجوزي - سورة الأعراف - الآية (٨٦) ص ٢٢٨ م ٣.

وقال الإمام ابن كثير[1] في كتابه البداية والنهاية عن ذلك: ـ

﴿**ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ولا تقعدوا بكل صراط**﴾ أي طريق ﴿**توعدون**﴾ أي تتوعدون الناس بأخذ أموالهم من مكوس وغير ذلك وتخيفون السبل، قال السدي في تفسيره عن الصحابة: ﴿**ولا تقعدوا بكل صراط توعدون**﴾، أنهم كانوا يأخذون العشور من أموال المارة... ﴿**يبخسون الناس**﴾ يعني يعشرونهم وكانوا أول من سن ذلك ﴿**وتصدون**﴾ عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا﴾ فنهاهم عن قطع الطريق الحسية الدنيوية والمعنوية الدينية.

وقال الإمام القاسمي[2]: ـ

﴿**ولا تقعدوا بكل صراط توعدون**﴾ نهى عن قطع الطريق الحسي. أي: لا تجلسوا على كل طريق فيه ممر الناس الغرباء، تضربونهم وتخوفونهم، وتأخذون ثيابهم، وتتوعدونهم بالقتل، إن لم يعطوكم أموالهم.

قال مجاهد: كانوا عشارين ـ أخرجه أبو الشيخ. وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي مثله. وعن ابن عباس وغير واحد أي تتوعدون المؤمنين الآتين إلى شعيب ليتبعوه.

واستطرد القاسمي فقال: جاء عن ابن كثير ﴿**وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا**﴾ أي: تصرفون عن دين الله وطاعته من آمن به وتبغونها عوجا﴾ أي: تصرفون عن دين الله وطاعته من آمن بشعيب، وتطلبون لها عوجا بإلقاء الشبه، ووصفها بما ينقصها لتغييرها ﴿**واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم**﴾ بالعدد والعدد، فاشكروا نعمة الله عليكم في ذلك: ﴿**وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين**﴾ أي: من الأمم الخالية والقرون الماضية، وما حل بهم من العذاب والنكال باجترائهم على معاصي الله وتكذيب رسله.

---

(١) البداية والنهاية ـ الحافظ بن كثير ـ سورة الأعراف ـ الآية (٨٦) ص ١٨٢، ج ١.
(٢) الإمام القاسمي ـ سورة الأعراف ـ الآية (٨٦) ص ٢٠٣ م ٧.

عدم العثو في الأرض: -

أوضح الله تعالى لنا أن قوم شعيب عليه السلام عثوا في الأرض فساداً، وقد فسر فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف، لا تعثوا أي لا تفسدوا أشد الإفساد، فالإنسان خلقه الله ليعيش في الأرض ويتعبد ويؤمن بالله الواحد الأحد ويطبق شريعة الله ويتصرف حسب ما بين الله لنا من أحكام وشرائع في القرآن الكريم...

ولهذا فإن تصرف قوم شعيب عليه السلام وفسادهم في الأرض يعتبر من الأشياء التي حرمها الله علينا... وقد ذكر الله تعالى في ذلك من الآيات التي أوضحت فساد وعثو قوم شعيب في الأرض وهي كالتالي: -

في سورة العنكبوت:

﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

الآية (٣٦).

وفي سورة هود: ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

الآية (٨٥).

وجاء في تفسير أفاضل العلماء للآية (١٨٣) من سورة الشعراء بما يلي: -

﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾

وقوم شعيب عليه السلام لم يبخسوا الناس في الكيل والميزان ولم يعثوا في الأرض بالفساد فحسب، بل شاع في مجتمعهم الإنحلال والظلم والعدوان على الأنفس والأعراض وأكل أموال الناس بالباطل والبغي، وكذلك السرقة وشيوع الرشوة بين الناس وقطع الطريق بالسلب والنهب وارتكاب الإثم والفواحش مما عجل بهلاكهم والتخلص من شرورهم وأصبحوا عبرة لغيرهم من أصحاب العقول السليمة والفكر الصحيح.

وفسر العلماء الآية (٨٥) من سورة هود بما يلي: ـ

﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٨٥ ﴾

قال ابن عطية[١]:

﴿تعثوا﴾ معناه: تسعون في فساد، وكرر ﴿مفسدين﴾ على جهة التأكيد يقال: عثا يعثو أو عثى يعثي، وعثّ يعثّ، وعاث يعيث إذا أفسد ونحوه من المعنى. والعثّة: الدودة التي تفسد ثياب الصوف[٢].

وقال الإمام القرطبي[٣]

﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ بين الخيانة في المكيال والميزان مبالغة في الفساد في الأرض.

أما الإمام القاسمي[٤] فقد قال:

أي لا تعلموا فيها بالفساد يعم أيضاً تنقيص الحقوق وغيره كالسرقة والشرك والدعاء إليه والصد عن الإيمان ونحوها.

وقال الإمام محمد رشيد رضا[١]:

أي لا تفسدوا فيها حال كونكم متعمدين للإفساد، وهذا نهي آخر عام يشمل غير ما تقدم كقطع الطرق وتهديد الأمن والخروج على السلطان وقطع

(١) تفسير ابن عطية ـ المحرر الوجيز ـ أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ص ٣٧٧ م ٧.
(٢) في «اللسان»: العثّة: السوسة أو الأرضة التي تلحس الصوف، والجمع: عثّ وعثث.
(٣) الإمام القرطبي ـ سورة هود ـ الآية (٨٥) ص ٣٣١٣.
(٤) الإمام القاسمي ـ سورة هود ـ الآية (٨٥) ص ١٥٢ م ٩.
(١) الإمام محمد رشيد رضا ـ سورة هود ـ الآية (٨٥) ص ١٣٧ م ١٢.

الشجر وقتل الحيوان وقيده بقصد الإفساد، لأن بعض ما هو إفساد في الظاهر قد يراد به الإصلاح أو دفع أخف الضررين كالذي يقع في الحرب من قطع الأشجار أو فتح سدود الأنهار أو إحراق بعض الأشياء بالنار، ومنه خرق الخضر للسفينة التي كانت لمساكين يعملون في البحر لمنع الملك الظالم الذي وراءهم من أخذها إذا أعجبته، والإفساد تعطيل يشمل مصالح الدنيا وصفات النفس وأخلاقها وأمور الدين، وكل هذه المفاسد فاشية في هذا العصر.

وقال الشيخ مصطفى المراغي[1]: -

الإفساد تعطيل يشمل مصالح الدنيا وأمور الدين وأخلاق النفس وصفاتها، وكل ذلك فاشٍ في عصرنا أي لا تفسدوا في الأرض وأنتم تتعمدون الإفساد، وإنما اشترط في النهي تعمد الإفساد لأن بعض ما هو إفساد في الظاهر قد يراد به الإصلاح أو دفع أخف الضررين، كما يقع في الحرب من قطع الأشجار أو فتح سدود الأنهار أو إحراق بعض الغابات، وكما فعل الخضر عليه السلام للسفينة التي كانت لمساكين يعملون في البحر لأجل منع الملك الظالم الذي وراءهم من أخذها إذا أعجبته. وهذا نهي عام يشمل غير ما سبق كقطع الطرق وتهديد الأمن وقطع الشجر وقتل الحيوان ونحو ذلك.

وقد فسر العلماء الأفاضل الآية (١٨٣) من سورة الشعراء، كما يلي: -

﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

قال الإمام النسفي[2]: -

لا تبالغوا فيها في الإفساد نحو قطع الطريق والغارة وإهلاك الزروع،

(١) الشيخ مصطفى المراغي - سورة هود - الآية (٨٥) ص ٤٩ م ٤.
(٢) الإمام النسفي - سورة الشعراء - الآية (١٨٣) ص ١٩٥.

وكانوا يفعلون ذلك فنهوا عنه، يقال: عثا في الأرض إذا أفسد وعثى في الأرض لغة في عثا.

وجاء في تفسير الرازي[1]: ـ

يقال: عثا في الأرض وعثى وعاث وذلك نحو قطع الطريق، والغارة وإهلاك الزرع. وكانوا يفعلون ذلك مع توليتهم أنواع الفساد فنهوا عن ذلك.

وورد في تفسير المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية[2]: ـ

أي بالقتل وقطع الطريق وارتكاب الموبقات وإطاعة الهوى. واحذروا عقوبة الله الذي خلقكم وخلق الأمم القوية العاتية المتقدمة.

وفيما يختص بتفسير العلماء للآية (٣٦) من سورة العنكبوت: ـ

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

قال الإمام الطبري[3]: ـ

﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾، يقول: ولا تكثروا في الأرض معصية الله ولا تقيموا عليها ولكن توبوا إلى الله منها وأنيبوا.

وقال الإمام القرطبي[4]: ـ

أي لا تفكروا فإنه أصل كل فساد. والعثو والعثي أشد الفساد. عثى

---

(١) الإمام الرازي ـ سورة الشعراء ـ الآية (١٨٣) ص ١٦٣.

(٢) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة (المنتخب) ـ سورة الشعراء ـ الآية (١٨٣) ص ٥٥٨.

(٣) الإمام الطبري ـ سورة العنكبوت ـ الآية (٣٦) ص ٩٥ م ١٢.

(٤) الإمام القرطبي ـ سورة العنكبوت ـ الآية (٣٦) ص ٥٠٥٩ م ٦.

بعثى وعثا يعثو بمعنى واحد. وقيل: ﴿وأرجوا اليوم الآخر﴾ أي صدقوا به فإن القوم كانوا ينكرونه.

وقال الإمام ابن كثير[٣]: -

قوله تعالى: ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾، نهاهم عن العبث في الأرض بالفساد، وهو السعي فيها والبغي على أهلها، وذلك أنهم كانوا ينقصون المكيال والميزان ويقطعون الطريق على الناس، هذا مع كفرهم بالله ورسوله فأهلكهم الله برجفة عظيمة زلزلت عليهم بلادهم وصيحة أخرجت القلوب من حناجرها وعذاب يوم الظلة الذي أزهق الأرواح من مستقرها إنه كان عذاب يوم عظيم.

وقال الأستاذ سيد قطب[١]: -

في هذا القصص تتمثل ألوان من الفتن، ومن الصعاب والعقبات في طريق الدعوة.. وفي قصة شعيب عليه السلام مع مدين يتبدى الفساد والتمرد على الحق والعدل، والتكذيب فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين.

كما قال الإمام القاسمي[٢] في ذلك:

﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ أي بالقتل والغارة وقطع الطريق والجور والظلم وأكل أموال الناس بالباطل.

وقال الشيخ المراغي[٣]: -

نهى شعيب عليه السلام قومه عن جرم أعظم شأناً وأشد خطراً، وهو

---

(١) الإمام ابن كثير - سورة العنكبوت - الآية (٣٦) ص ٣٥ م ٨.
(٢) الأستاذ سيد قطب - سورة العنكبوت - الآية (٣٦) ص ٢٧٢٧ م ٤.
(٣) الإمام القاسمي - سورة الشعراء - الآية (١٨٣) ص ٤٢.
(٤) الشيخ مصطفى المراغي - سورة الشعراء - الآية (١٨٣) ص ٩٨ م ١٢.

الفساد في الأرض بجميع ضروبه وأشكاله فقال: ﴿**ولا تعثوا في الأرض مفسدين**﴾ أي ولا تكثروا فيها الفساد بالقتل والغارة وقطع الطريق والسلب والنهب ونحوها. وبعد أن نهاهم عن ذلك خوفهم سطوة الجبار الذي خلقهم وخلق من قبلهم ممن كانوا أشد منهم بطشاً وعتواً.

فقد شرح الدكتور محمد فريز منفيخي[1] **في كتابه: «النظام الاقتصادي القراني»**

معنى العثو في الأرض، فقال: ـ

الإفساد: تعطيل يشمل مصالح الدنيا وأمور الدين وأخلاق النفس وصفاتها، وكل ذلك فاشٍ في مجتمعنا أي لا تفسدوا في الأرض وأنتم تتعمدون الإفساد، وإنما اشترط في النهي تعمد الإفساد لأن بعض ما هو إفساد في الظاهر قد يراد به الإصلاح أو دفع أخف الضررين كما يقع في الحرب في قطع الأشجار.

ذكر الله تعالى في سورة هود عن عدم نقص الموازين والمكاييل ـ الآية (٨٤):

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ ﴾.

قال الإمام الزمخشري في[2] ذلك: ـ

﴿**إني أراكم بخير**﴾ يريد بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف، أو أراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون، أو أراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما أنتم عليه.

﴿**يوم محيط**﴾ مهلك من قوله ـ وأحيط بثمره ـ وأصله من إحاطة

---

(١) الدكتور محمد فريز منفيخي ـ النظام الاقتصادي القرآني ـ ص ١١٢١.

(٢) الإمام الزمخشري الخوارزمي ـ الكشاف ـ سورة هود ـ من الآية (٨٤) ص ٢٨٤: ٢٩١.

العدو. فإذا أحاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما إذا أحاط بنعيمه. . .

فإن قلت: النهي عن النقصان أمر بالإيفاء فما فائدة قوله: أوفوا؟

قلت: نهوا أولاً عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لأن في التصريح بالقبيح نعياً على المنهى وتعبيراً له، ثم ورد الأمر بالإيفاء الذي هو حسن في العقول مصرحاً بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء به مقيداً بالقسط: أي ليكن الإيفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان أمراً بما هو الواجب لأن ما جاوز العدل فضل، وأمر مندوب إليه، وفيه توقيف على أن الموفى عليه أن ينوي بالوفاء القسط، لأن الإيفاء وجه حسنه أنه قسط وعدل فهذه ثلاث فوائد. البخس: الهضم والنقص، ويقال للمكس: البخس، وكانوا يأخذون من كل شيء يباع شيئاً كما تفعل السماسرة أو كانوا يمكسون الناس أو كانوا ينقصون من أثمان ما يشترون من الأشياء، فنهوا عن ذلك، والعتو في الأرض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل، ويجوز أن يجعل التطفيف والبخس عثياً منهم في الأرض.

وجاء في قول الإمام القرطبي[1] ما يلي: ـ

﴿**ولا تنقصوا المكيال والميزان**﴾ كانوا مع كفرهم أهل بخس وتطفيف، وكان إذا جاءهم البائع بالطعام أخذوا بكيل زائد، واستوفوا بغاية ما يقدرون وظلموا، وإن جاءهم مشترٍ للطعام باعوه بكيل ناقص. وشحوا له بغاية ما يقدرون فأمروا بالإيمان إقلاعاً عن الشرك، وبالوفاء نهياً عن التطفيف. ﴿**إني أراكم بخير**﴾ أي في سعة من الرزق وكثرة من النعم. ﴿**وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط**﴾ وصف اليوم بالإحاطة. . . وهو كقولك يوم شديد أي شديد حره. واختلف في ذلك العذاب فقيل: هو عذاب النار في الآخرة.

وقيل: عذاب الاستئصال في الدنيا، وقيل: غلاء السعر، روى معناه

(١) الإمام القرطبي ـ سورة هود ـ الآية (٨٤) ص ٣٣١٥.

عن ابن عباس، وفي الحديث عن النبي ﷺ:

«ما أظهر قوم البخس في المكيال والميـزان إلا باترهم الله بالقحط والغلاء».

وقال الإمام ابن كثير[1]: ـ

أي لا تركبوا ما أنتم عليه وتستمروا فيه فيمحق الله بركة ما في أيديكم ويفقركم ويذهب ما به يغنيكم، وهذا مضاف إلى عذاب الآخرة، ومن جمع له هذا فقد بالصفقة الخاسرة فنهاهم أولاً عن تعاطي ما لا يليق من التطفيف وحذرهم سلب نعمة الله عليهم في دنياهم وعذابه الأليم في أخراهم وعنفهم أشد تعنيف.

وقال الإمام المراغي[2]ـ

جرت سنة الأنبياء أن يبدءوا بالدعوة إلى التوحيـد لأنه جـذر شجرة الإيمان، ثم يتبعونه، فالأهم بالأهم فيما يرون لدى أقوامهم، ومن ثم ثنى بالنهي عن نقص الكيل والميزان لأن أهل مدين اعتادوا ذلك فقال: **﴿ولا تنقصوا المكيال والميزانم﴾**. . . أي ولا تنقصوا الناس حقوقهم في مكيالكم وميزانكم كما هي عـادتكم، وقد جـاء مثل هـذا النهي في قولـه: **﴿ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالـوهم أو وزنوهم يخسرون﴾** أي ينقصون، **﴿إني أراكم بخير﴾** أي إني أراكم بثروة وسعة في الرزق تغنيكم عن الدناءة في بخس حقوق الناس وأكل أموالهم بالباطل مما تنقصون لهم من المبيع في مكيل أو موزون وكانوا تجاراً مطففين إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم ينقصون المكيال والميزان. إلا أن في هذا كفراناً لنعمة الله عليكم إذ كان يجب عليكم شكرانها بالزيادة على سبيل الصدقة والإحسان.

---

(١) الإمام ابن كثير ـ سورة هود ـ الآية (٨٤) ص ١٨٥ ج ١ (البداية والنهاية) الحافظ بن كثير.

(٢) الإمام المراغي ـ سورة هود ـ الآية (٨٤) ص ٤٧ م ١٢.

وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط﴾ أي وإني أخشى عليكم يوماً يحيط بكم عذابه إذا أنتم أصررتم على شكركم بالله بعبادة غيره وكفرتم بنعمه بنقص المكيال والميزان. . .

وهذا العذاب إما في الدنيا بعذاب الإستئصال وإما في يوم القيامة.

وقال الشيخ محمود حجازي[1]:

قال لهم: يا قومي ويا أهلي ـ وهذا مما يدعو إلى الإستجابة والقبول ـ اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، مالكم إله غيره يتصف بما اتصف به الله جل شأنه حتى يعبد، ألست معي في أن الرسل جميعاً متفقون في طلب عبادة الله وحده؟ أما الأمور العملية فكل يعالج ناحية الضعف في أمته، ولذا قال شعيب، يا قومي اعبدوا الله ولا تنقصوا الكيل والميزان فيما تبيعون، وكانوا إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون أي ينقصون، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ومحاسبون؟ امتثلوا الأمر واجتنبوا النهي لأني أراكم بخير وعافية وغنى وسعة، وهذا يدعو إلى شكر الله وامتثال أمره ولأني أخاف عليكم عذابه إذا أنتم أصررتم على العصيان.

كما ذكر الله تعالى في سورة هود عن الوفاء في الموازين والمكاييل، الآيتان (٨٥)، (٨٦).

﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ ﴾.

قال الإمام الطبري[2]: ـ

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قول شعيب لقومه: أوفوا الناس الكيل والميزان بالقسط، يقول: بالعدل، وذلك بأن توفوا أهل الحقوق التي هي

---

(١) الشيخ محمود حجازي ـ سورة هود ـ الآية (٨٤) ص ٣٧ ج ٧.

(٢) الإمام الطبري ـ سورة هود ـ الآية (٨٥) ص ٦٠ ـ م ٩، الآية (٨٦).

نقص... وقوله: ﴿**ولا تبخسوا الناس أشياءهم**﴾ يقول: ولا تنقصوا الناس حقوقهم التي يجب عليكم أن توفوهم كيلاً أو وزناً أو غير ذلك.

قوله تعالى: ﴿**بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ**﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: بقية الله خير لكم ما أبقاه الله لكم بعد أن توفوا الناس حقوقهم بالمكيال والميزان بالقسط يقول بالعدل، وذلك بأن توفوا أهل الحقوق التي هي بما يكال فحله لكم خير لكم من الذي يبقى لكم ببخسكم الناس من حقوقهم بالمكيال إن كنتم مؤمنين، يقول: إن كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده وحلاله وحرامه.

وقال الإمام ابن كثير[1]: -

ينهاهم أولاً عن نقص المكيال والميزان إذا أعطوا الناس، ثم أمرهم بوفاء الكيل والوزن بالقسط آخذين ومعطين، ونهاهم عن العثو في الأرض بالفساد، وقد كانوا يقطعون الطريق، وقوله: ﴿**بقية الله خير لكم**﴾، قال ابن عباس: رزق الله خير لكم، وقال الحسن: رزق الله خير من بخسكم الناس.. وقال الربيع بن أنس: وصية الله خير لكم، وقال مجاهد: طاعة الله، وقال قتادة: حظكم من الله خير لكم، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الهلاك في العذاب والبقية في الرحمة، وقال أبو جعفر بن جرير: ﴿**بقية الله خير لكم**﴾ أي ما يفضل لكم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان خير لكم من أخذ أموال الناس، قال: وقد روى هذا عن ابن عباس قلت: ويشبه قوله تعالى ﴿**قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث**﴾.

كما قال الإمام المراغي[2] ما يلي: -

﴿**ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط**﴾ أي: ويا قوم أتموهما بالعدل بلا زيادة ولا نقصان. وقد أمرهم بالواجب بعد أن نهاهم عن ضده لتأكيده وللتنبيه إلى كون عدم التعمد للنقص لا يكفي لتحري الحق، بل

(١) الإمام الماغي - سورة هود - الآية (٨٥) ص ٤٩ م ١٢.

(٢) الإمام ابن كثير - سورة هود - من الآية (٨٤ حتى ٨٥) ص ٤٥٥.

يجب معه تحري الإيفاء بالعدل والسوية من غير زيادة ولا نقص وإن كان التيقن من ذلك لا يكون إلا بزيادة طفيفة، وتعمدها في الكيل والوزن للناس سخاء وفضيلة يمدح فاعلها عليها. وفي الاكتيال أو الوزن عليهم طمع فهو رذيلة مذمومة.

وجاء في تفسير الشيخ محمود حجازي: -

ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط والعدل، وهذا أمر بالواجب بعد النهي عن ضده لتأكيده وتنبيهاً على أنه لا بد منهما قصداً، ولا تنقصوا الناس أشياءهم في كيل أو وزن أو عد في حق حسي أو معنوي، ولا تعيبوا شيئاً لا يستحق العيب، ولا تفسدوا في الأرض بأي نوع من الفساد حالة كونكم قاصدين له، واعلموا أن ما يبقيه الله لكم بعد إيفاء الحقوق بالقسط أكثر بركة وأحمد عاقبة مما تبقونه لأنفسكم من تطفيف في الكيل أو نقص في الميزان وصدق الله: ﴿**بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين**﴾.

قال الله تعالى في سورة الشعراء عن الوفاء بالوزن، الآيات (١٨٠) حتى (١٨٢): -

﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٨٠ ۞أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ ۝١٨١ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ ۝١٨٢﴾.

قال الشيخ المراغي[1]: -

وبعد أن نصحهم بتلك النصائح وعظهم بعظة أخرى، فنهاهم عن نقيصة كانت شائعة بينهم وهي التطفيف في الكيل والميزان، فقال: ﴿**أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين**﴾، أي إذا بعتم للناس فكيلوا لهم الكيل كاملاً ولا تبخسوهم حقهم فتعطوه ناقصاً، وإذا اشتريتم فخذوا كما لو كان

---

(١) الشيخ محمود حجازي ـ سورة هود ـ الآية (٨٥) ص ٣٩ ج ١٢.
(٢) الشيخ مصطفى المراغي ـ سورة الشعراء ـ الآيات (١٨٠ حتى ١٨٢) ص ٩٨ م ١٢.

البيع لكم. وخلاصة ذلك ـ خذوا كما تعطون، وأعطوا كما تأخذون.

﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ أي وزنوا بالميزان السوي العدل، وقد جاء في سورة المطففين مثل هذا مع التحذير منه فقال: ﴿ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم﴾ ثم عمم النهي عن البخس في كل حق.

وقال الشيخ محمود حجازي(٢): ـ

وقال شعيب لقومه: ﴿ألا تتقون. إني لكم رسول أمين. فاتقوا الله وأطيعون. وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين﴾... كما قال أخوه نوح وهود وصالح، لاتفاقهم جميعاً على الأمر بالتقوى، والطاعة والإخلاص في العبادة، والإمتناع من أخذ الأجر على تبليغ الرسالة، وعلى تحملهم المشاق والصعاب رجاء مثوبة رب العالمين لهم يوم القيامة، وهكذا أصحاب الدعوات لا يرجون بعملهم جزاء ولا شكوراً من العبد، ولا يبغون بها مالاً ولا جاهاً ولا رياسة كاذبة، وإلا كانوا كعلماء اليهود اشتروا الضلالة بالهدى وباعوا الباقية بالفانية... اتفق جميع الأنبياء في الأمور العامة للرسالات، ثم أخذ كل نبي يعالج المرض الشائع عند قومه، ولذا رأينا هوداً يقول منكراً على قومه أنهم يعبثون ببنائهم وأنهم طامعون في الدنيا حتى كأنهم مخلدون، وأنهم يبطشون بطش الجبارين، وقال صالح منكراً على قومه: أتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين؟ وقال لوط: أتأتون الذكور من الناس وتتركون النساء من الأزواج؟.

التحليل الاقتصادي: ـ

١ ـ بين الله تعالى أحد الجوانب الاقتصادية في نظام الموازين والمكاييل وهو نقص كل منهما حيث عرف قوم شعيب بهاتين الصفتين، كما

(٢) الشيخ محمود حجازي ـ سورة الشعراء ـ الآيات (١٨٠ حتى ١٨٢) ص ٦٩ ج ١٩.

أوضحت بذلك الآية الكريمة، وعلى ضوء هذا فإن النقص في الميزان أو المكيال يعتبر من حدود الله التي حرمها علينا في معايشنا مهما كان السبب حتى لو كان من أجل الزيادة في الربح أو الدخل الخاص أو رأس المال فهذا حرام لأن الأرباح والدخول الناتجة من نقص الميزان أو المكيال هي في النهاية مخالفة لحدود الله تعالى والتي نهانا عنها وحرمها علينا.

٢ ـ إن الوفاء في الكيل أو الميزان هو أحد المفاهيم الاقتصادية في تعاملاتنا المعيشية بإعطاء أصحاب الحق حقوقهم وذلك بإيفاء الوزن، فهذا يحقق المدلول الإقتصادي والمالي بالتوازن بين قيمة الموزون والسعر الحقيقي له، وتحديد القيمة الحقيقية التي حددها الله تعالى بالحق والعدل وإيفاء الميزان ليسود العدل بين الناس ويصبح سعر السلعة موازياً لقيمتها الحقيقية، وبالتالي ينعكس ذلك على الحياة الإقتصادية، ويكون المدخول الشخصي حلالاً بعيداً عن أي شائبة قد تعيبه من جراء الغش والخداع... كما تطمئن النفوس وتنتعش الأسواق ويعم الإستقرار الإقتصادي للدولة، وهذا هو المفهوم الاقتصادي في الإسلام عن الموازين والمكاييل.

٣ ـ إن الوفاء في الكيل والميزان هو حدود الله وتعاليمه والطريق إلى بناء اقتصاد إسلامي على هدى من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ... فالوفاء بالكيل إعطاء العدل القيمة الحقيقية لثمن السلعة ومن أجل التجارة الشريفة والإقتصاد السليم والمال الحلال بعيداً عن الإحتكار أو الغش التجاري.

٤ ـ إن حدود الله في الكيل والميزان بأن نلتزم بالوفاء بهما وفي كيلنا أو ميزاننا، أي أن الوفاء والحق والعدل هو من السمة الأساسية في بناء مجتمع اقتصادي إسلامي يسوده الإستقرار، وقد عرف النبي ﷺ بالأمين أي الوفي الذي يعطي كل ذي حق حقه، وغير ذلك من الأخلاق التي تنير لنا الطريق الإقتصادي السليم... فمن هذه السمات الإقتصادية

في الإسلام وسيرة الرسول العطرة نجد أن الأمانة مرتبطة ارتباطاً كلياً بالدائرة الإقتصادية للشخص وهي السمعة التجارية، وبالتالي فإن الوفاء والعدل والحق، وكل هذه السمات الإسلامية التي تزيد سمعة الشخص الاعتبارية في مجال التجارة، ومن ثم ينعكس عليه في تعامله مع الأشخاص سواء المستهلكين أو التجار، الأمر الذي يؤدي إلى الإستقرار الاقتصادي وانتعاش التجارة والأسواق.

٣ - الإصلاح في الأرض: -

أوضحنا في السابق كيف كان فساد قوم شعيب عليه السلام كما ذكر الله تعالى في سورة هود...

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾.

الآية (٨٨).

وقد دعا شعيب عليه السلام قومه للإصلاح ونهاهم عن ارتكاب المعاصي والفساد في الأرض ووعظهم بإصلاح مجتمعهم والبعد عن جميع المحظورات والمنهيات التي حرمها الله علينا... وحذرهم من ارتكاب المعاصي ومخالفة أمر الله فهو مهلكهم نظير ما فعلوا من فساد في الأرض.

ولهذا، فمن خلال قصة شعيب عليه السلام عرفنا أنه قبل أن نبدأ بإصلاح مجتمعنا يستلزم إصلاح أنفسنا وقلوبنا بطاعة أمر الله واتباع كتابه العزيز وسنة نبيه والبعد عن كل المحرمات والفساد في الأرض ليكون إصلاحنا مبنياً على أسس إسلامية في الاقتصاد... فينعكس ذلك على معايشنا وأرزاقنا ومعاملاتنا في الأموال والتجارة.

وقد ورد في كتاب ابن تيمية[1] عن معنى كلمة الصلاح... ما يلي: -

الصلاح: التوحيد والإيمان، وأصل الفساد: الشرك والكفر. كما قال عن المنافقين: ﴿**وإذا قيل لهم: لا تفسدوا في الأرض قالوا: إنما نحن مصلحون. ألا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون**﴾، وذلك إن صلاح كل شيء أن يكون بحيث يحصل له وبه المقصود الذي يراد منه؛ ولهذا يقول الفقهاء: العقد الصحيح ما ترتب عليه أثره وحصل به مقصوده. والفاسد ما لم يترتب عليه أثره ولم يحصل به مقصود. والصحيح المقابل للفاسد في اصطلاحهم هو الصالح.

وقد فسر أفاضل العلماء الآية (٩٣) من سورة الأعراف بما يلي: -

﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾.

قال الإمام الطبري[2] ما يلي: -

يقول تعالى ذكره فأدبر شعيب عنهم شاخصاً من بين أظهرهم حين أتاهم عذاب الله وقال لما أيقن بنزول نقمة الله بقومه الذين كذبوه حزناً عليهم يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي وأديت إليكم ما بعثني به إليكم من تحذيركم غضبه على إقامتكم على الكفر به وظلم الناس أشياءهم، ونصحت لكم بأمري إياكم بطاعة الله ونهيكم عن معصيته ﴿**فكيف آسي**﴾ يقول: فكيف أحزن على قوم جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله وأتوجع لهلاكهم.

---

(١) الإمام ابن تيمية ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (الحديث).
(جمع وترتيب عبد الرحمن بن القاسم وابنه محمد) ص ١٦٣ ـ م ١٨.

(٢) الإمام الطبري ـ سورة الأعراف ـ الآية (٩٣) ص ١٦٨ م ٤.

وقال الإمام الرازي[2]: ـ

قال تعالى: ﴿**فتولى عنهم**﴾ واختلفوا في أنه تولى بعد نزول العذاب بهم أو قبل ذلك، ثم قال: ﴿**فكيف آسي على قوم كافرين**﴾ الأسي شدة الحزن.

القول الأول: أنه اشتد حزنه على قومه، لأنهم كانوا كثيرين، وكان يتوقع منهم الإستجابة للإيمان، فلما أن نزل بهم ذلك الهلاك العظيم، حصل في قلبه من جهة الوصلة والقرابة والمحاورة وطول الألفة... ثم عزى نفسه وقال: ﴿**فكيف آسي على قوم كافرين**﴾ لأنهم هم الذين أهلكوا أنفسهم بسبب إصرارهم على الكفر.

والقول الثاني: أن المراد لقد أعذرت إليكم في الإبلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم، فلم تسمعوا قولي، ولم تقبلوا نصيحتي: ﴿**فكيف آسي عليكم**﴾ يعني أنهم ليسوا مستحقين بأن يأسى الإنسان عليهم.

اعلم أنه تعالى لما عرفنا أحوال هؤلاء الأنبياء وأحوال ما جرى على أممهم كان من الجائز أن يظن أنه تعالى ما أنزل عذاب الإستئصال، إلا في زمن هؤلاء الأنبياء فقط، فبين في هذه الآية أن هذا الجنس من الهلاك قد فعله بغيرهم، وبين العلة التي بها يفعل ذلك.

وقال الشيخ مصطفى المراغي[2]: ـ

فأدبر شعيب عنهم وخرج من بين أظهرهم حين أتاهم عذاب الله، وقال حزناً عليهم: يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي وأديت إليكم ما بعثني به إليكم.

﴿فكيف آسي على قوم كافرين﴾، أي فكيف أحزن على قوم كافرين﴾ أي فكيف أحزن على قوم جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله

(١) الإمام الرازي ـ سورة الأعراف ـ الآية (٩٣) ص ١٨٧ م ١٢.

(٢) الشيخ مصطفى المراغي ـ سورة الأعراف ـ الآية (٩٣) ص ٢٢٦ ج ٩.

وأتوجع لهلاكهم بعد أن أعذرت إليهم وبذلت جهدي في سبيل هـدايتهم ونجاتهم فاختاروا ما فيه هلاكهم، وإنما يأسى من قصر فيما يجب عليه من النصح والإنذار.

بعذ أن ذكر سبحـانه حـال الأمم السابقـة مع أنبيـائها وبين مـا في قصصهم من العظة والعبرة، فقد كانت العاقبة في كل حال للمتقين، والدائرة تدور على المبطلين.

أشار هنا إلى سنة الله في الأمم التي تكذب رسلها أن ينزل بها البؤس وشـظف العيش وسوء الحـال في دنياهم ليتضـرعوا إلى ربهم وينيبـوا إليه بالإقلاع عن كفرهم والتوبـة من تكذيب أنبيـائهم، وفي هذا من التحـذير لقريش والتخويف لهم ما لا يخفى.

ثم ذكر أنه بدل الرخاء بالبؤس ليعتبروا ويشكروا، لكنهم لم يفعلوا فأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

وتفسير الآية رقم (٨٨) من سورة هود والتي تحدثت عن رغبة وهدف شعيب في الإصلاح: -

قال الإمام الزمخشري[1]: -

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨ ﴾.

﴿إن أريد إلا الإصلاح﴾ ما أريد إلا أن أصلحكم بموعظتي وما دمت متمكناً منه لا ألوا فيه جهداً من الإصلاح: أي المقدار الذي استطعته منه، ويجوز أن يكون على تقـدير حـذف المضاف على قـولك: إلا الإصـلاح إصلاح ما استطعت **﴿وما توفيقي إلا بالله﴾** وما كوني موفقاً لإصابة الحق فيما

(١) الإمام الزمخشري - سورة هود - الآية (٨٨) ص ٢٨٨.

آتي وأذر وقوعه موافقاً لرضا الله إلا بمعونته وتأييده، والمعنى: إنه استوفق ربه في إمضاء الأمر على سنته وطلب منه التأييد والإظهار على عدوه، وفي ضمنه تهديد الكفار وحسم لأطماعهم فيه.

وقال الإمام ابن الجوزي[1]: ـ

قوله تعالى: ﴿**وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه**﴾، قال قتادة: لم أكن لأنهاكم عن أمر ثم أرتكبه، وقال الزجاج: ما أقصد بخلافكم القصد إلى ارتكابه.

قوله تعالى: ﴿**إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت**﴾ أي: ما أريد بما آمركم به إلا إصلاح أموركم بقدر طاقتي. وقدر طاقتي: إبلاغكم لا إجباركم.

أما الإمام الرازي[2] فقال: ـ

من الوجوه التي ذكرها شعيب عليه السلام فهو قوله: ﴿**إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت**﴾، والمعنى: ما أريد إلا أن أصلحكم بموعظتي ونصيحتي، وقوله: ﴿**ما استطعت**﴾ فيه وجوه:

الأول: التقدير مدة استطاعتي للإصلاح ما دمت متمكناً منه لا آلوا فيه جهداً. **والثاني**: أي المقدار الذي استطعت منه، **والثالث**: أي ما أريد إلا أن أصلح ما استطعت إصلاحه.

فكأنه عليه السلام قال لهم: إنكم تعرفون من حالي إني لا أسعى إلا في الإصلاح وإزالة الفساد والخصومة... فلما أمرتكم بالتوحيد وترك إيذاء الناس فاعلموا أنه دين حق وأنه ليس غرضي منه إيقاع الخصومة وإثارة الفتنة. فإنكم تعرفون إني أبغض ذلك الطريق ولا أدور إلا على ما يوجب الصلح والصلاح بقدر طاقتي... وذلك هو الإبلاغ والإنذار، وأما الإجبار على الطاعة فلا أقدر عليه. ثم إنه عليه السلام أكد ذلك بقوله: ﴿**وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب**﴾، وبين بهذا أن توكله واعتماده في

---

(١) الإمام ابن الجوزي ـ سورة هود ـ الآية (٨٨) ص ٩٠ م ٤ ج ١٠.

(٢) الإمام الرازي ـ سورة هود ـ الآية (٨٨) ص ٤٥ م ٦ ج ١٨.

تنفيذ كل الأعمال الصالحة على توفيق الله تعالى وهدايته.

وأما قوله: ﴿وإيه أنيب﴾ فهو إشارة إلى معرفة المعاد. وهو أيضاً يفيد الحصر، لأن قوله: ﴿وإليه أنيب﴾ يدل على أنه لا مرجع للخلق إلا إلى الله تعالى وعن رسولي ﷺ إنه كان إذا ذكر شعيب عليه السلام قال: «ذاك خطيب الأنبياء». لحسن مراجعته في كلامه بين قومه.

وقال الإمام أبو السعود[1]:

﴿إن أريد إلا الإصلاح﴾ أي ما أريد بالأمر والنهي إلا الإصلاح لكم ودفع الفساد في دينكم ومعاملاتكم ﴿ما استطعت﴾ ما بلغت إليه استطاعتي وتمكنت منه طاقتي.

﴿إن أريد﴾ أي ما أريد بما أباشره من الأمر والنهي، ﴿إلا الإصلاح﴾ إلا أن أصلحكم بالنصيحة والموعظة، ﴿ما استطعت﴾ أي مقدار ما استطعته من الإصلاح والتقيي، به للإحتراز عن الإكتفاء بالإصلاح في الجملة لا عن إرادة ما ليس في وسعه منه، ﴿وما توفيقي﴾ أي كوني موفقاً لتحقيق ما أنتحيه من إصلاحكم. ﴿إلا بالله﴾ أي بتأييده ومعونته بل الإصلاح من حيث الخلق مستند إليه سبحانه، قاله عليه السلام تحقيقاً للحق وإزاحة لما عسى يوهمه إسناد الإستطاعة إليه بإرادته من استبداده بذلك، ﴿عليه توكلت﴾ في ذلك معرضاً عما عداه فإنه القادر على كل مقدور، وما عداه عاجز محض في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمعزل عن مرتبه الإستعداد به والإستظهار، ﴿وإليه أنيب﴾ أي أرجع فيما أنا بصدده.

فيما أنا بصدده.

وقال الشيخ سيد قطب[2]:

﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت﴾ الإصلاح العام للحياة والمجتمع

---

(١) الإمام أبو السعود ـ سورة هود ـ الآية (٨٨) ـ ص ٢٣٤ م ٤.

(٢) الشيخ سيد قطب ـ سورة هود ـ الآية (٨٨) ـ ص ١٩١٩ ج ١٢.

الذي يعود صلاحه بالخير على كل فرد وكل جماعة فيه وإن خيل إلى بعضهم أن اتباع العقيدة والخلق يفوت بعض الكسب الشخصي ويضيع بعض الفرص، فإنما يفوت الكسب الخبيث ويعوض عنهما كسباً طيباً ورزقاً حلالاً ومجتمعاً متضامناً متعاوناً لا حقد فيه ولا غدر ولا خصام. ويتلطف شعيب تلطف صاحب الدعوة الواثق من الحق الذي معه، ويعرض عن تلك السخرية لا يباليها وهو يشعر بقصورهم وجهلهم. . . يتلطف في إشعارهم أنه على بينة من ربه كما يجده في ضميره وقلبه وإنه على ثقة مما يقول لأنه أوتي من العلم ما لم يؤتوا، وأنه إذ يدعوهم إلى الأمانة في المعاملة سيتأثر مثلهم بنتائجها لأنه مثلهم ذو مال وذو معاملات، فهو لا يبغي كسباً شخصياً من وراء دعوته لهم فلن ينهاهم عن شيء لم يفعله هو لتخلو له السوق إنما هي دعوة الإصلاح العامة لهم وله وللناس وليس فيما يدعوهم إليه خسارة عليهم كما يتوهمون.

وفسر بعض العلماء الآية (٨٥) من سورة الأعراف بما يلي: -

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

يقول الإمام الطبري[1]: -

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: **﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾**، يقول: ولا تعملوا في أرض الله بمعاصيه وما كنتم تعملونه قبل أن يبعث الله إليكم نبيه من عبادة غير الله والإشراك به وبخس الناس في الكيل والوزن **﴿بعد إصلاحها﴾** يقول: بعد أن قد أصلح الله الأرض بابتعاث النبي عليه السلام فيكم ينهاكم عما لا يحل لكم وما يكرهه الله لكم، **﴿ذلكم خير لكم﴾**، يقول هذا الذي ذكرت لكم

(١) الإمام الطبري - سورة الأعراف - الآية (٨٥) - ص ١٦٦ م ٥.
(٢) الإمام الرازي - سورة الأعراف - الآية (٨٥) - ص ١٧٥ م ١٢.

وأمرتكم به من إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له وإيفاء الناس حقوقهم من الكيل والوزن وترك الفساد في الأرض خير لكم في عاجل دنياكم وآجل آخرتكم عند الله يوم القيامة: **﴿إن كنتم مؤمنين﴾**، يقول: إن كنتم مصدقيّ فيما أقول لكم وأؤدي إليكم عن الله من أمره ونهيه.

وقال الإمام الرازي[٢]: -

لما كان أخذ أموال الناس بغير رضاها يوجب المنازعة والخصومة، وهما يوجبان الفساد، لا جرم قال بعده: **﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾**. والمعنى: خير لكم في الآخرة إن كنتم مؤمنين بالآخرة، والمراد: ترك البخس وترك الإفساد خير لكم في طلب المال في المعنى لأن الناس إذا علموا منكم الوفاء والصدق والأمانة، رغبوا في المعاملات معكم، فكثرت أموالكم **﴿إن كنتم مؤمنين﴾** أي إن كنتم مصدقين لي في قولي.

أعلم أن شعيباً عليه السلام ضم إلى ما تقدم ذكره من التكاليف الخمسة أشياء، فالأول: أنه منعهم من أن يقعدوا على طرق الدين ومناهج الحق، لأجل أن يمنعوا الناس عن قبوله.

وقال الإمام ابن كثير[١]: -

قال نبي الله شعيب: **﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت﴾**، أي ما أريد في جميع أمري إلا الإصلاح في الفعال والمقال بجهدي وطاقتي.

كما قال الشيخ محمد رشيد[٢] رضا: -

إن الإفساد في الأرض يشمل إفساد نظام الاجتماع البشري بالظلم وأكل أموال الناس بالباطل والبغي والعدوان على الأنفس والأعراض، وإفساد

---

(١) البداية والنهاية - الحافظ بن كثير الدمشقي - الآية (٨٨) سورة هود ص ١٩٠ - ج أول.

(٢) المنار - الشيخ محمد رشيد رضا - سورة الأعراف - الآية (٨٥) ص ٥٢٣ - م ٩.

الأخلاق والآداب بالإثم والفواحش الظاهرة والباطنة، وإفساد العمران بالجهل وعدم النظام وإصلاحها هو ما يصلح به أمرها وحال أهلها من العقائد الصحيحة المنافية لخرافات الشرك ومهانته، والأعمال الصالحة المزكية للأنفس من أدران الرذائل والأعمال الفنية المرقية للعمران وحسن المعيشة.

﴿ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾ الإشارة إلى كل ما تقدم من أمر ونهي، أي هو خير لكم في دينكم ودنياكم لا تكليف أعنات، فربكم لا يأمركم إلا بما هو نافع لكم ولا ينهاكم إلا عما هو ضار بكم، وهو على كل حال غني عنكم، ولو شاء لأعنتكم، ولكنه رحيم لا يفعل ذلك، وإنما تتحقق لكم خيرة ما ذكر إن كنتم مؤمنين بوحدانيته وصفاته تعالى، وبرسوله وما جاءكم به عنه سبحانه من الدين والشرع... وأن المعنى ذلكم الذي أمرتكم به من عبادة الله وحده وعدم إشراك شيء من خلقه في عبادته لما ترون فيه من خير ترجونه أو ضر تخافونه... ومن إيفاء الكيل والميزان بالقسط، وما نهيتكم عنه من الإفساد في الأرض، ذلكم كله خير لكم في معاشكم ومعادكم. وإنما تتحقق خيريته لكم إن كنتم مؤمنين بالله ورسوله وما جاءكم به من هذه الأوامر والنواهي وغيرها. ذلك بأن الإيمان يقتضي الإتباع والإمتثال العمل بجميع ما جاء به الرسول من عند الله وإن خالف الهوى أو لم تظهر له فائدته ومنفعته بادي الرأي، بل يقتضيه حتى فيما يظن المؤمن من أنه منافٍ لمصلحته، فتحصل له فوائده ومنافعه، وإن لم يعلم أنه علة أو سبب لها بحسب حكمة الله وسننه التي أقام بها نظام العالم الإنساني.

وقد فسر العلماء الآية (٩١) من سورة هود بما يلي: -

﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾.

جاء في تفسير الإمام الطبري[1]: -

يقول تعالى ذكره: قال قوم شعيب لشعيب:

(١) الإمام الطبري - سورة هود - الآية (٩١) ص ٦٤ - ٩ م.

يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول أي ما نعلم حقيقة كثيرة مما تقولُ ومخيرنا به وإنا لنراك فينا ضعيفاً، ذكر أنه كان ضريراً فلذلك قالوا له: إنا لنراك فينا ضعيفاً.

وقوله: وما أنت علينا بعزيز يعنون ما أنت ممن يكرم علينا فيعظم علينا إذلاله وهو علينا هين.

وقال الإمام الزمخشري[1]: ـ

﴿ما نفقه﴾، ما نفهم **﴿كثيراً مما تقول﴾** لأنهم كانوا يلقون إليه أذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله ـ وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ـ أو كانوا يفقهونه ولكنهم لم يقبلوه فكأنهم لم يفقهوه أو قالوا: ذلك على وجه الإستهانة به.

﴿فينا ضعيفاً﴾ لا قوة لك ولا عز فيما بيننا، فلا تقدر على الإمتناع منا إن أردنا بك مكروهاً.

﴿لرجمناك﴾ لقتلناك شر قتلة، **﴿وما أنت علينا بعزيز﴾** أي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم، وإنما يعز علينا رهطك لأنهم من أهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا كأنه قيل: وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا.

وقال الإمام الشوكاني[2]: ـ

أنك يا شعيب تأتينا بما لا عهد لنا به من الأخبار بالأمور الغيبية كالبعث والنشور ولا نفقه ذلك: أي نفهمه كما نفهم الأمور الحاضرة المشاهدة، فيكون نفي الفقه على هذا حقيقة لا مجازاً، وقيل: قالوا ذلك إعراضاً على سماعه واحتقار الكلام مع كونه مفهوماً لديهم معلوماً عندهم فلا يكون نفي الفقه حقيقة بل مجازاً. **﴿وإنا لنراك فينا ضعيفاً﴾**، أي لا قوة لك

(١) الإمام الزمخشري ـ سورة هود ـ الآية (٩١) ص ٢٨٩.
(٢) الإمام الشوكاني ـ سورة هود ـ الآية (٩١) ص ٥١٩.

تقدر بها على أن تمنع نفسك منا وتتمكن بها من مخالفتنا، وقيل: المراد أن ضعيف في بدنه، قاله علي بن عيسى، وقيل: إنه كان مصاباً ببصره. ﴿ولولا رهطك لرجمناك﴾ ورهط الرجل عشيرته الذين يستند إليهم ويتقوى بهم، ومنه الراهط لحجر اليربوع لأنه يتوثق به ويخبىء فيه ولده. والرهط يقع على الثلاثة إلى العشرة، وإنما جعلوا رهطه مانعاً من إنزال الضرر به مع كونهم في قلة والكفار ألوف مؤلفة لأنهم كانوا على دينهم فتركوه احتراماً لهم لا خوفاً منهم، ثم أكدوا ما وصفوه به من الضعف بقولهم: ﴿وما أنت علينا بعزيز﴾ حتى نكف عنك لأنك لأجل عزتك عندنا، بل تركنا رجمك لعزة رهطك علينا، ومعنى: لرجمناك لقتلناك بالرجم، وكانوا إذا قتلوا إنساناً رجموه بالحجارة، وقيل: معنى لرجمناك لشتمناك. ويطل الرجم على اللعن. ومنه الشيطان الرجيم وجيله.

وقال الشيخ محمد رشيد رضا[1]: ـ

﴿قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول﴾، إن الفقه في اللغة أخص من الفهم والعلم وهو الفهم الدقيق العميق المؤثر في النفس الباعث على العمل أي ما نفقه كثيراً مما ترمي مما وراء ظواهر أقوالك من مواطنها وتأويلها كبطلان عبادة آلهتنا وقبح حرية التصرف في أموالنا وعذاب محيط بيدنا، وإصابتنا بمثل الأحداث الجوية التي نزلت بمن قبلنا كأن أمرها بيدك وتصرفك أو تصرف ربك يصيب بها من تشاء أو يشاء لأجلك، ﴿إنا لنراك فينا ضعيفاً﴾، لا حول لك ولا قوة تمتنع بها منا إن أردنا أن نبطش بك وأنت على ضعفك تنذرنا العذاب المحيط الذي لا يفلت منه أحد، ﴿ولولا رهطك﴾ أي عشيرتك الأقربون ـ والرهط الجماعة من الثلاثة إلى السبعة أو العشر ﴿لرجمناك﴾ لقتلناك شر قتلة وهي الرمي بالحجارة حتى تدفن فيها، ﴿وما أنت علينا بعزيز﴾ اي بذي عزة ومنعة علينا تحول بيننا وبين رجمك، وإنما نعز رهطك ونكرمكم على قتلهم لأنهم منا وعلى ديننا الذي نبذته وراء

---

(١) الشيخ محمد رشيد رضا ـ سورة هود ـ الآية (٩١) ص ١٤٧ م ١٢.

ظهرك، وأهنته، ودعوتنا إلى تركه لبطلانه وفساده في زعمك.

وجاء في تفسير الشيخ المراغي[1]: -

﴿**قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول**﴾ أي ما نعلم حقيقة كثير مما تقول وتخبرنا به، من بطلان عبادة آلهتنا وقبح حرية التصرف في أموالنا ومجيء عذابه يحيط بنا، وإصابتنا بمثل الأحداث التي أصابت من قبلنا كأن أمرها بيدك يصيب بها ربك من يشاء لأجلك. ﴿**وإنا لنراك فينا ضعيفاً**﴾ لا قوة لك ولا قدرة على شيء من الضر والنفع، ولا تستطيع أن تمتنع منا إن أردنا أن نبطش بك. ﴿**ولولا رهطك لرجمناك**﴾ أي ولولا عشيرتك الأقربون لقتلناك بالحجارة حتى تدفن فيها. ﴿**وما أنت علينا بعزيز**﴾ أي وما أنت بذي عزة ومنعة تحول بيننا وبين رجمك، وإنما نعز رهطك على قلتهم: لأنهم منا وعلى ديننا الذي نبذته وراء ظهرك وأهنته، ودعوتنا إلى تركه لبطلانه في زعمك، فوبخهم شعيب في سفاهتهم كما حكى سبحانه عنه.

وجاء في تفسير العلماء للآية (٩٢) من سورة هود ما يلي: -

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾.

يقول الإمام الطبري[2] ما يلي: -

يقول تعالى ذكره، قال شعيب لقومه: يا قوم أعززتم قومكم فكانوا أعز عليكم من الله واستخففتم بربكم فجعلتموه خلف ظهوركم لا تأتمرون لأمره ولا تخافون عقابه ولا تعظمونه حق عظمته، يقال للرجل: إذا لم يقضِ حاجة الرجل نبذ حاجته وراء ظهره أي تركها لا يلتفت إليها وإذا قضاها قيل جعلها أمامه ونصب عينيه.

وإنما اخترناالقول الذي اخترناه في تأويل ذلك لقرب قوله: واتخذتموه

---

(١) الشيخ مصطفى المراغي - سورة هود - الآية (٩١) ص ١٤٨ م ١٢.

(١) الإمام الطبري - سورة هود - الآية (٩٢) ص ٩٦٤ م.

وراءكم ظهرياً من قوله: أرهطي أعز عليكم من الله، وقوله: إن ربي بما تعملون محيط، يقول: إن ربي محيط علمه بعملكم فلا يخفي عليه منه شيء وهو مجازيكم على جميعه عاجلاً وآجلاً.

وقال الإمام الرازي[1]: -

إن القوم زعموا أنهم تركوا إيذاءه رعاية لجانب قومه. فقال: أنتم تزعمون أنكم تتركون قتلي إكراماً لرهطي والله تعالى أولى أن يتبع أمره فكأنه يقول: حفظتكم إياي رعاية لأمر الله تعالى أولى من حفظكم إياي رعاية لحق رهطي.

وأما قوله: ﴿**واتخذتموه وراءكم ظهرياً**﴾ فالمعنى: أنكم نسيتموه وكأنكم جعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به. قال صاحب الكشاف: والظهري منسوب إلى الظهر والكسر من تغيرات النسب ونظيره قولهم في النسبة إلى الأمس أمسى بكسرة الهمزة، وقوله: ﴿**إن ربي بما تعملون محيط**﴾، يعني أنه عالم بأحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها.

وقال الإمام ابن كثير[2]: -

قال أبو روق يعنون ذليلاً لأن عشيرتك ليسوا على دينك: ﴿**ولولا رهطك لرجمناك**﴾ أي قومك لولا معزتهم علينا لرجمناك، قيل: بالحجارة، وقيل: لسبيناك، ﴿**وما أنت علينا بعزيز**﴾ أي ليس عندنا لك معزة، ﴿**قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله**﴾ يقول: أتتركوني لأجل قومي ولا تتركوني أعظاماً لجناب الرب تبارك وتعالى أن تنالوا نبيه بمساءة، وقد اتخذتم كتاب الله ﴿**وراءكم ظهريا**﴾ أي نبذتموه خلفكم لا تطيعونه ولا تعظمونه ﴿**إن ربي بما تعملون محيط**﴾ أي هو يعلم جميع أعمالكم وسيجزيكم.

---

(١) الإمام الرازي - سورة هود - الآية (٩٢) ص ٤٨ - ٦ م - ج ١٨.

(٢) الإمام ابن كثير - سورة هود - الآية (٩٢) ص ٤٥٧.

وجاء في تفسير الشيخ محمد رشيد رضا[1]: -

قال: ياْ قوم أرهطي أعز عليكم من الله؟ هذا استفهام إنكاري، أي: أرهطي أعز وأكرم عليكم من الله الذي أدعوكم إليه بأمره ﴿**واتخذتموه وراءكم ظهريا**﴾ أي أشركتم به وجعلتموه كالشيء اللقا الذي ينبذ وراء الظهر لهوانه على نابذه وعدم حاجته إليه فينسى حتى لا يحسب له حساب. وكان القوم يؤمنون بالله ويشركون به، ولا عجب من حالهم هذه فإنه شأن أكثر الناس اليوم، لا يراقبون الله في أقوالهم ولا في أعمالهم فيرجوه إذا أحسنوا ويخافوه إذا أساءوا أو فيمتنعوا عن الإساءة ويتسابقوا إلى الإحسان ابتغاء مرضاته ﴿**إن ربي بما تعملون محيط**﴾ علماً فهو يحصيه عليكم ويجزيكم به، وأما رهطي فلا يستطيعون لكم ضراً ولا نفعاً.

وقال الشيخ المراغي[2]: -

قال: يا قوم أرهطي أعز عليكم وأكرم من الله حتى كان امتناعكم عن رجمي بسبب انتسابي إليهم وأنهم رهطي لا بسبب انتسابي إلى الله تعالى الذي أدعوكم إليه بأمره. ﴿**واتخذتموه وراءكم ظهريا**﴾ أي: واستخففتم بربكم فجعلتموه خلف ظهوركم لا تأتمرون لأمره ولا تخافون عقابه ولا تعظمونه حق التعظيم، وكان القوم يؤمنون بالله ويشركون به سواه، وأكثر الناس اليوم لا يراقبون الله في أقوالهم ولا في أعمالهم فيرجوه إذا أساءوا ويتسابقون إلى الإحسان ابتغاء مرضاته. ﴿**إن ربي بما تعملون محيط**﴾ أي إن ربي محيط علمه بعملكم فلا يخفى عليه شيء منه وهو مجازيكم عليه، وأما رهطي فلا يستطيعون لكم ضراً ولا نفعاً.

التحليل

إن كل تشريع سماوي له عقابه وثوابه وكل له درجات . . فمن ذلك نسترشد كي

---

(١) الشيخ محمد رشيد رضا - سورة هود - الآية (٩٢) ص ١٤٧ م ١٢.
(٢) الشيخ مصطفى المراغي - سورة هود - الآية (٩٢) ص ٧٥ م ٤.

نبني مجتمعاً إسلامياً على أسس سليمة علينا أن نعتبر ونتعظ مما حدث لقوم شعيب وعقاب الله لهم رغم النصيحة والإرشاد والوعظ التي دعا إليها رسول الله شعيب فكان عقاب الله لهم درساً وعبرة للأجيال القادمة ، وإن بناء المجتمع الإسلامي يجب أن يقوم على قاعدة مستمدة من كتاب الله والإسترشاد بالعبرة بقصص القرآن الكريم لمجتمع أفسد في الأرض فنال عقاب الله .

٤ - العقاب والجزاء: -

بين الله تعالى لنا في قصة شعيب عليه السلام الدروس النافعة والمعاني الإسلامية الرشيدة للمجتمع المسلم الذي يقوم على شريعة الله وسنة نبيه ﷺ، والذي حدث لقوم شعيب عليه السلام كان سبب عصيانهم فيما نهاهم الله عنه من الفساد في الأرض وارتكاب المعاصي وقطع الطرق والغش والبخس وعدم إيفاء الكيل والميزان، وفي هذا عبرة ودرساً في حياتنا الاقتصادية العملية في طرق التعامل بالمال وفي الأسواق حتى نبتعد عن البخس والغش والحيل والتلاعب والمساومة والظلم في الأسواق والمال وفي التجارة وفي الاقتصاد بوجه عام.

وقد أنذر الله تعالى من يعصي أمره ورسالة أنبيائه بعقاب أليم، كالذي حدث للأمم السابقة التي ذكرها الله تعالى في سورة هود - الآية (٨٩).

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾.

وما أصاب هؤلاء الأقوام إنما كان بسبب تصرفاتهم مع أنبيائهم وظلمهم لأنفسهم وإعراضهم عن منهج الله القويم، قال تعالى:

﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾.

وقد فسر العلماء الآية (٩٣) من سورة هود بما يلي: -

﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن

يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾.

يقول الإمام الرازي[1]: ـ

المكانة الحالة التي يتمكن بها صاحبها من عمله، والمعنى: اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة، وكل ما في وسعكم وطاقتكم من إيصال الشرور إليّ فإني أيضاً عامل بقدر ما آتاني الله تعالى من القدرة.

ثم قال: ﴿سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب﴾. . . فانظروا العاقبة إني معكم رقيب. أي منتظر، والرقيب بمعنى الراقب من رقبة كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم أو بمعنى المراقب، كالعشير والنديم أو بمعنى المرتقي كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع.

وروى الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال: لم يعذب الله تعالى أمتين بعذاب واحد إلا قوم شعيب وقوم صالح، فأما قوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم وقوم شعيب أخذتهم من فوقهم.

وقال الإمام الشوكاني[2]: ـ

﴿ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون﴾ لما رأى إصرارهم على الكفر وتصميمهم على دين آبائهم وعدم تأثير الموعظة فيهم وتوعدهم بأن يعملوا على غاية تمكنهم ونهاية استطاعتهم، ثم بالغ في التهديد والوعيد بقوله: ﴿سوف تعلمون﴾ أي عاقبة ما أنتم فيه من عبادة غير الله والإضرار بعباده. وقد تقدم مثله في الأنعام ﴿من يأتيه عذاب يخزيه﴾ أي سوف تعلمون من هو الذي يأتيه العذاب المخزي الذي يتأثر عند الذل والفضيحة والعار، ﴿ومن هو كاذب﴾ والمعنى: ستعلمون من هو

---

(١) الإمام الرازي ـ سورة هود ـ الآية (٩٣) ص ٤٩ ـ م ٦ ج ١٨.

(٢) الإمام الشوكاني ـ سورة هود ـ الآية (٩٣) ص ٥١٩.

المعذب ومن هو الكاذب، وفيه تعريض بكذبهم في قولهم: ﴿**لولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز**﴾.

﴿**وارتقبوا إني معكم رقيب**﴾ أي انتظروا إني معكم منتظر لما يقضي به الله بيننا.

وقال ابن كثير[1]: -

﴿**ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب**﴾، وهذا أمر تهديد شديد ووعيد أكيد بأن يستمروا على طريقتهم ومنهجهم وشاكلتهم فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار، ومن يحل عليه الهلاك والبوار.

وقال الشيخ المراغي[2]: -

اثبتوا على ما أنتم عليه من الكّفر والمشاقة وسائر ما لا خير فيه، وهذا كلام من واثق بقوته بربه وضعف قومه على كثرتهم وإدلالهم عليه وتهديدهم له بقوتهم. ﴿**إني عامل**﴾ على مكانتي على قدر ما يؤيدني الله به من وسائل التأييد والتوفيق.

﴿**سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب**﴾ أي سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويذله، أنا أم أنتم؟ ومن هو كاذب في قوله ومن هو صادق مني ومنكم، وهذا تصريح منه بالوعيد بعد التلميح بالأمر والعمل المستطاع تعجيزاً لهم... ﴿**وارتقبوا إني معكم رقيب**﴾ أي وانتظروا ما أقول لكم من حلول ما أعدكم به وظهور صدقه إني مرتقب منتظر.

---

(١) البداية والنهاية - الحافظ بن كثير - سورة هود - الآية (٩٣) ص١٩٣ ج ١.
(٢) الشيخ مصطفى المراغي - سورة هود - الآية (٩٣) ص ٧٦ م ٤.

وقال الشيخ محمود حجازي[1]: ـ

ويا قومي اعملوا ما استطعتم على منتهى تمكنكم في قوتكم إني عامل على مكانتي وحالتي. وغداً سوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه ويذله في الدنيا والآخرة، ومن هو كاذب في قوله: ﴿**لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا**﴾ وانتظروا مراقبين من سيقع عليه العقاب إني معكم من المنتظرين، وهذا الأمر ﴿**اعملوا وارتقبوا**﴾ للتهديد والوعيد من وثق بربه وبوعده.

وقد فسر العلماء الأفاضل الآية (٩٤) من سورة هود بما يلي: ـ

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾.

يقول الإمام الطبري[2]: ـ

يقول تعالى ذكره: لما جاء قضاؤنا في قوم شعيب بعذابنا نجينا شعيباً رسولنا والذين آمنوا به فصدقوه على ما جاءهم به من عند ربهم مع شعيب من عذابنا الذي بعثنا على قومه برحمة منا له ولمن آمن به واتبعه على ما جاءهم به من عند ربهم، وأخذت الذين ظلموا صيحة من السماء أخذتهم فأهلكتهم بكفرهم بربهم، وقيل: إن جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة أخرجت أرواحهم من أجسامهم فأصبحوا في ديارهم جاثمين على ركبهم وصرعى بأفنيتهم.

وقال الإمام ابن كثير[3]: ـ

قوله: جاثمين أي هامدين لا حراك بهم، وذكر ههنا أنه أتتهم صيحة،

(١) الشيخ محمود حجازي ـ سورة هود ـ الآية (٩٣) ص ٤٧ ج ١٢.
(٢) الإمام الطبري ـ سورة هود ـ الآية (٩٤) ص ٦٥ ـ م ٩.
(٣) الإمام ابن كثير ـ سورة هود ـ الآية (٩٤) ص ٤٥٨.

وفي الأعراف رجفة، وفي الشعراء عذاب يوم الظلة، وهم أمة واحدة اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النقم كلها، وإنما ذكر في كل سياق ما يناسبه، ففي الأعراف لما قالوا: ﴿**لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا**﴾ ناسياً أن يذكر هناك الرجفة فرجفت بهم الأرض التي ظلموا بها وأرادوا إخراج نبيهم منها وههنا لما أساءوا الأدب في مقالتهم على نبيهم ذكر الصيحة التي استلبثتهم وأخمدتهم، وفي الشعراء لما قالوا: ﴿**فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين**﴾، قال: ﴿**فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم**﴾ وهذا من الأسرار الدقيقة ولله الحمد والمنة كثيراً دائماً.

وقال الشيخ المراغي[1]: -

﴿**ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا**﴾ أي، ولما جاء أمرنا بعذابهم الذي أنذروه نجينا رسولنا شعيباً والذين آمنوا به فصدقوه على ما جاءهم به من عند ربهم برحمة خاصة بهم، ﴿**وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين**﴾ أي: وأخذت أولئك الظالمين بسبب ظلمهم صيحة العذاب التي أخذت ثمود فأصبحوا جميعاً باركين على ركبهم مكبين على وجوههم في ديارهم.

وقال الشيخ محمود حجازي[1]: -

ولما جاء أمرنا، وحانت ساعة التنفيذ نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة خاصة بهم، وما ذلك على الله بعزيز، وأخذت الذين ظلموا الصيحة

---

(١) الشيخ مصطفى المراغي - سورة هود - الآية (٩٤) ص ٧٧ م ٤.
(٢) الشيخ محمود حجازي - سورة هود - الآية (٩٤) ص ٤٨ ج ١٢.

التي أخذت ثمود فأصبحوا جاثمين، وجوههم مكبة عى الأرض كالطير الجاثمة، وأصبحت ديارهم خاوية على عروشها كأنهم لم يقيموا فيها وقتاً من الأوقات إلا بعداً وهلاكاً لمدين كما بعدت وهلكت ثمود.

وقد فسر العلماء الأفاضل الآية (٩٥) من سورة هود، كما يلي: -

﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾.

يقول الإمام الزمخشري[١]: -

﴿**كأن لم يغنوا**﴾ كأن لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين مترددين. . . البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد، ألا تقري إلى قوله: ﴿**كما بعدت**﴾ والمعنى في البناءين واحد، وهو نقيض القرب إلا أنهم أرادوا التفصلة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضمان الخير والشر فقالوا: وعد وأوعد، وقيل معناه بعداً لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها.

وقال الإمام ابن كثير[٢]: -

وقوله: ﴿**كأن لم يغنوا فيها**﴾ أي يعيشوا في دارهم قبل ذلك، ﴿**إلا بعداً لمدين كما بعدت ثمود**﴾، وكانوا جيرانهم قريباً منهم في الدار وشبيهاً بهم في الكفر وقطع الطريق وكانوا عرباً مثلهم.

كما قال الشيخ المراغي[٣]: -

﴿**كأن لم يغنوا فيها**﴾ أي كأنهم لم يقيموا فيها متصرفين في أطرافها

---

(١) الإمام الزمخشري - سورة هود - الآية (٩٥) ص ٢٩١.
(٢) الإمام ابن كثير - سورة هود - الآية (٩٥) ص ٤٥٨.
(٣) الشيخ مصطفى المراغي - سورة هود - الآية (٩٥) ص ٧٨ م ٤.

متقلبين في أكنافها. ثم دعا عليهم بالهلاك فقال: ﴿**إلا بعداً لمدين كما بعدت ثمود**﴾ أي: هلاكاً لها وبعداً من رحمة الله كما بعدت من قبلهم ثمود من رحمته بإنزال سخطه بهم.

والخلاصة: أن الله أرسل على كل من ثمود ومدين صاعقة ذات صوت شديد فرجفت أرضها وزلزلت من شدتها وخروا ميتين وكانت صاعقتها أشد من الصاعقة التي أخذت بني إسرائيل حين قالوا: ﴿**إن الله جهرة**﴾ وقد أحياهم الله عقبها لأن هذه تربية لقوم نبي في حضرته، وتلك صاعقة كانت عذاب المشركين ظالمين معانديه أنجى الله نبي كل منهما ومؤمنيهما قبلها.

وقد فسر بعض العلماء الأفاضل الآية (٩٤) من سورة هود بما يلي: -

﴿ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾.

قال الإمام الطبري: -

يقول تعالى ذكره: فكذب أهل مدين شعيباً فيما أتاهم به عن الله من الرسالة فأخذتهم رجفة العذاب فأصبحوا في دارهم جاثمين جثوماً بعضهم على بعض موتى، كما حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: حدثنا سعيد عن قتادة فأصبحوا في دارهم جاثمين أي ميتين.

وقال الإمام الزمخشري[٢]: -

الرجفة: الزلزلة الشديدة.. وعن الضحاك صيحة جبريل عليه السلام لأن القلوب رجفت لها ﴿**في دارهم**﴾ في بلدهم وأرضهم أو في ديارهم فاكتفى بالواحد لأنه لا يلبس ﴿**جاثمين**﴾ باركين على الركب ميتين.

---

(١) الإمام الطبري - سورة العنكبوت - الآية (٣٧) ص ٩٥ م ١٢.
(٢) الإمام الزمخشري (الكشاف) سورة العنكبوت - الآية (٣٧) ص ٢٠٥ م ٣.

كما قال الشيخ محمود حجازي[3]: -

وإلى مدين أرسلنا لهم أخاهم شعيباً فدعاهم إلى الإيمان بالله وقال لهم: يا قوم اعبدوا الله ربكم مالكم من إله غيره، وارجوا اليوم الآخر أي افعلوا ما ترجون به العاقبة في يوم الحساب والجزاء، وإياكم والفساد في الأرض فإن عاقبته وخيمة... فكذبوه ولم يؤمنوا به فأخذتهم الصيحة بالعذاب فارتجفت قلوبهم واضطربت حيث لا ينفع الإضطراب والخوف، وأصبحوا في ديارهم جاثمين على ركبهم ميتين كأنهم أعجاز نخل خاوية، فهل ترى لهم من باقية؟ فهل من تذكر؟ وأهلكنا عاداً لما أرسلنا لهم أخاهم هوداً يدعوهم إلى الإيمان بالله ورسله، فكذبوه وكفروا، وأهلكنا ثمود لما أرسلنا لهم أخاهم صالحاً يدعوهم إلى عبادة الله فكفروا به وكذبوه. وها أنتم يا أهل مكة، ويا مشركي العرب قد تبين لكم ذلك، أي إهلاكهم وهم قد زين لهم الشيطان أعمالهم فكانت عاقبة أمرهم خسراً وكانوا مستبصرين أي عقلاء أصحاب فكر ونظر ولكنهم لم ينتفعوا بذلك... أفليس من العقل والحكمة أن تعتبروا وتتعظوا بهؤلاء.

وقد فسر بعض أفاضل العلماء الآية (٩٠) من سورة الأعراف بما يلي: -

﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝٩٠﴾.

قال الإمام الطبري[1]: -

يقول تعالى ذكره: وقالت الجماعة من كفرة رجال قوم شعيب وهم الملأ الذي جحدوا بآيات الله وكذبوا رسوله وتمادوا في غيهم لآخرين منهم:

(١) الأستاذ محمود حجازي - سورة العنكبوت - الآية (٣٧) ص ٧٦ م ٢ ج ٢٠.
(٢) الإمام الطبري - سورة الأعراف - الآية (٩٠) ص ١٦٧ م ٤.

لئن أنتم اتبعتم شعيباً على ما يقول وأجبتموه إلى ما يدعوكم إليه من توحيد الله والإنتهاء إلى أمره ونهيه وأقررتم بنبوته إنكم إذا لخاسرون، يقول: لمبغبونون في فعلكم وترككم ملتكم التي أنتم عليها مقيمون إلى دينه الذي يدعوكم إليه وهالكون بذلك من فعلكم...

وقال الإمام الرازي[1]: -

اعلم أنه تعالى بين عظيم ضلالتهم بتكذيب شعيب. ثم بين أنهم لم يقتصروا على ذلك، حتى أضلوا غيرهم، ولاموهم على متابعته فقالوا: ﴿لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذا لخاسرون﴾ واختلفوا فقال بعضهم: خاسرون في الدين. وقال آخرون: خاسرون في الدنيا، لأنه يمنعكم من أخذ الزيادة من أموال الناس، وعند هذا المقال كمل حالهم في الضلال أولاً وفي الضلال ثانياً، فاستحقوا الإهلاك...

وجاء في قول الشيخ محمد رشيد رضا[2]: -

والمناسب فيه وصفهم بالإستكبار فهو الذي جرأهم على تهديده وإنذاره الإخراج من قريتهم المشعر بأنهم هم أصحاب السلطان فيها، وهذا ما قالوه لقومهم اغواء لهم بصدهم عن الإيمان له، والأخذ بما جاء به، والمناسب فيه وصفهم بالكفر، فهو الحامل لهم عليه، سواء كان سببه الإستكبار عن اتباعه أو غيره، بل لو علم أولو الرأي من قومهم أن سبب صدهم عنه هو الإستكبار والعتو لما أطاعوهم، ولذلك عللوا لهم صدهم عنه بما يوهمهم أنه هو المصلحة لهم إذ قالوا لهم بصيغة القسم: لئن اتبعتم شعيباً أنكم في هذه الحالة لخاسرون، أي خاسرون لشرفكم ومجدكم، بإيثار ملته على ملة آبائكم وأجدادكم، ومناط عزكم وفخركم، واعترافكم بأنهم كانوا كافرين ضالين وأنهم معذبون عند الله تعالى - وخاسرون لثروتكم وربحكم من الناس بما حذفتموه من تطفيف الكيل والميزان وبخس الغرباء

---

(١) الإمام الرازي - سورة الأعراف - الآية (٩٠) ص ١٧٥ م ١٢.

(٢) الشيخ محمد رشيد رضا - المنار - سورة الأعراف - الآية (٩٠) ص ٥٢٨ م ٩.

أشياءهم لابتزاز أموالهم، وأي خسارة أكبر من خسارة الشرف والثروة؟

وقال الشيخ مصطفى المراغي[1]: ـ

قال الكافرون من قوم شعيب وهم الملأ الذين جحدوا آيات الله وكذبوا رسوله وتمادوا في غيهم لآخرين منهم: لئن اتبعتم شعيباً فيما يقول، وأجبتموه إلى ما يدعوكم إليه من توحيد الله وأقررتم بنبوته، إنكم إذا لخاسرون في فعلكم وترككم ملتكم التي أنتم عليها مقيمون، إلى دينه الذي يدعوكم إليه.

وعمموا الخسران ليشمل خسران الشرف والمجد إذ بإيثاركم ملته على ملة آبائكم وأجدادكم تعترفون بأنهم كانوا ضالين ومعذبين عند الله وخسران الثروة والربح بما تحترفونه من تطفيف الكيل والميزان وبخس الغرباء أشياءهم لابتزاز أموالهم.

ووصف الملأ ـ **أولاً**: بالإستكبار ـ لأنه هو الذي جرأهم على تهديده وإنذاره بالإخراج من القرية وإشعاره بأنهم أرباب السلطان فيها، **وثانياً**: بالكفر لأنه هو الحامل على الإغواء وصدهم عن الإيمان والأخذ بما جاء به، ثم عللوا لهم صدهم بأن في ذلك لهم مصلحة أيّما مصلحة وفائدة أيّما فائدة.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾.

الآية (٩١) سورة الأعراف.

يقول الإمام الطبري[2]: ـ

يقول: فأخذت الذين كفروا من قوم شعيب الرجفة... وأنها الزلزلة المحركة لعذاب الله فأصبحوا في دارهم جاثمين على ركبهم موتى هلكى، وكانت صفة العذاب الذي أهلكهم الله به... كما حدثني محمد بن

---

(١) الشيخ مصطفى المراغي ـ سورة الأعراف ـ الآية (٩٠) ص ٢١٨ ج ٩.

(١) الإمام الطبري ـ سورة الأعراف ـ الآية (٩١) ص ١٦٧ م ٤.

الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط عن السدي **﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً﴾** قال: إن الله بعث شعيباً إلى مدين وإلى أصحاب الأيكة، والأيكة هي الغيضة من الشجر، وكانوا مع كفرهم يبخسون الكيل والميزان فدعاهم فكذبوه فقال لهم: ما ذكر الله في القرآن وما ردوا عليه، فلما عتوا وكذبوه سألوه العذاب ففتح الله عليهم باباً من أبواب جهنم فأهلكهم.

قال الإمام ابن كثير[1]: -

أخبر تعالى أنهم أخذتهم الرجفة وذلك ما أرجفوا شعيباً وأصحابه وتوعدهم بالجلاء، كما أخبر عنهم في سورة هود فقال: **﴿ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾**، والمناسبة: هناك والله أعلم أنهم لما تهكموا به في قولهم: **﴿أصلاتك تأمرك﴾** الآية: فجاءت الصيحة فأسكتتهم، وقال تعالى إخباراً عنهم في سورة الشعراء: **﴿فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم﴾**، وما ذاك إلا لأنهم قالوا له في سياق القصة: **﴿فأسقط علينا كسفاً من السماء﴾** الآية، فأخبر أنه أصابهم عذاب يوم الظلة، وقد اجتمع عليهم ذلك كله **﴿أصابهم عذاب يوم الظلة﴾** وهي سحابة أظلتهم فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم، ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجة من الأرض شديدة من أسفل منهم فزهقت الأرواح وفاضت النفوس وخمدت الأجسام **﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾**، ثم قال تعالى: **﴿كأن لم يغنوا فيها﴾** أي كأنهم لما أصابتهم النقمة لم يقيموا بديارهم التي أرادوا إجلاء الرسول وصحبه منها.

وقد فسر بعض أفاضل العلماء الآية (٩٢) من سورة الأعراف بما يلي: -

---

(١) الإمام ابن كثير - سورة الأعراف - الآية (٩١) - ص ٢٣٣.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ .

يقول الإمام الطبري ما يلي[1]: ـ

يقول تعالى ذكره: فأهلك الذين كذبوا شعيباً فلم يؤمنوا به فأبادهم فصارت قريتهم منهم خاوية خلاء ﴿كأن لم يغنوا فيها﴾، يقول كأن لم ينزلوا قط ولم يعيشوا بها حين هلكوا.

وقال الإمام القرطبي[2]: ـ

الذين كذبوا شعيباً صاروا كأنهم لم يزالوا موتى. و﴿يغنوا﴾ يقيموا، يقال: ﴿الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين﴾، وهو مبالغة في الذم والتوبيخ وإعادة لتعظيم الأمر وتفخيمه. ولما قالوا: من اتبع شعيباً خاسر. . . قال الله الخاسرون هم الذين قالوا هذا القول، ﴿فكيف آسي على قوم كافرين﴾ أي أحزن.

وقال الإمام القاسمي[3] في ذلك: ـ

إنه استئناف لبيان ابتلائهم بشؤم قولهم: ﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا﴾ وعقوبتهم بمقابلته.

﴿كأن لم يغنوا فيها﴾ أي استؤصلوا بالمرة، وصاروا كأنهم، لما أصابتهم النقمة، لم يقيموا بديارهم، التي أرادوا إجلاء الرسول وصحبه منها.

ثم قال تعالى مقابلاً لقيلهم السابق: ﴿الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين﴾ ديناً ودنيا، لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا.

---

(١) الإمام الطبري ـ سورة الأعراف ـ الآية (٩٢) ص ١٦٨ م ٤.
(٢) الإمام القرطبي ـ سورة الأعراف ـ الآية (٩٢) ص ٢٦٨٨ م ٩.
(٣) الإمام القاسمي ـ سورة الأعراف ـ الآية (٩٢) ص ٢١٠ م ٧.

قال أبو السعود: أي الذين كذبوه عليه السلام، عوقبوا بمقالتهم الأخيرة، فصاروا هم الخاسرين، لا المتبعون له، وبهذا القصر اكتفى عن التصريح بإنجائه عليه الصلاة والسلام، كما وقع في سورة هود من قوله تعالى: ﴿**ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه**﴾.

وقال الشيخ مصطفى المراغي[1]: -

جاءت هذه الجملة بياناً من الله لما انتهى إليه أمرهم وكيف كانت عاقبة عملهم فكأن سائلاً سأل عما آل إليه تهديدهم لشعيب وقومه بقولهم: -

﴿**لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا**﴾ وقولهم لقومهم: -

﴿**لئن اتبعتم شسعيباً إنكم إذاً لخاسرون**﴾، فأجاب عن الأول جواباً مناقضاً له بقوله: ﴿**الذين كذبوا شعيباً...**﴾ إلخ. أي الذين كذبوا شعيباً وأنذروه بالإخراج من قريتهم قد هلكوا وهلكت قريتهم فحرموها كأن لم يقيموا ولم يعيشوا فيها بحال، وأجاب عن الثاني بقوله: ﴿**الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين**﴾ أي الذين كذبوا وزعموا أن من يتبعه يكون خاسراً - كانوا هم الخاسرين لما كانوا موعوديه به من سعادة الدنيا والآخرة، دون الذين اتبعوه فإنهم كانوا هم الفائزين المفلحين.

وفي الآية إيماء إلى أن الحريص على التمتع بالوطن والإستبداد فيه على أهل الحق تكون عاقبته الحرمان الأبدي منه، كما أن الحريص على الربح بأكل أموال الناس بالباطل ينتهي بالحرمان منه ومن غيره.

التحليل: -

إن كل تشريع سماوي له عقابه وثوابه وكل له درجات... فمن ذلك نسترشد كي نبني مجتمعاً اقتصادياً إسلامياً على أسس سليمة علينا أن نعتبر ونتعظ مما حدث لقوم شعيب وعقاب الله لهم رغم النصيحة والإرشاد والوعظ

---

(١) الشيخ مصطفى المراغي - سورة الأعراف - الآية (٩٢) ص ٢٢١ ج ٩.

التي دعا إليها رسول الله شعيب فكان عقاب الله لهم درساً وعبرة للأجيال القادمة، وإن بناء المجتمع الإسلامي يجب أن يقوم على قاعد مستمد من كتاب الله والإسترشاد بالعبر بقصص القرآن الكريم لمجتمع أفسد في الأرض فنال عقاب الله.

ثانياً ـ الدورة التجارية للموازين والمكاييل

١ ـ الحركة التجارية في الأسواق المحلية للكيل والميزان: ـ

أوضحت لنا قصة شعيب عليه السلام الكثير من المفاهيم الاقتصادية التي تدخل في حياتنا الاقتصادية سواء من ناحية النشاط أو الحرفة، ومنها الأعمال والحرف المختلفة ومزاولة التجارة والنشاط والحركة داخل الأسواق في البيع والشراء خاصة فيما يتعلق بقوة أو ضعف رواج التجارة وتوزيع السلع المنتجة سواء للإستهلاك المحلي أو لتصديرها خارج ذلك المجتمع، وكذلك الأنشطة المالية في حركة تداول العملات في الأسواق على ضوء حالات العرض والطلب والتصرف في الأموال والقيمة الحقيقية الشرعية بالنسبة لسعر البضائع. . . حيث أن الله تعالى أرسله إلى قومه لأنهم لم يقيموا الحق والعدل في تعاملهم بالتجارة، وكانوا ينقصون حقوق الناس في أموالهم ويأخذونها على وجه البخس ونقص المكيال والميزان في نشاطهم التجاري. . . وقد عم الفساد مجتمعهم بالظلم. . . لهذا جاء شعيب عليه السلام ليهديهم إلى الطريق الصحيح وإصلاح مجتمعهم وترك الفساد في الأرض، وأن يتبعوا نشاطهم الاقتصادي المستمد من كتاب الله بإقامة الحق والعدل. . . وعندما نحلل ذلك نأتي إلى بعض الجوانب الاقتصادية لتلك النشاطات. . .

فالمعروف أن الأسواق هي الأماكن الاقتصادية التي يزاول الناس فيها نشاطاتهم من بيع سلع أو شراء بضائع منتجة محلياً أو من الخارج.

والأسواق تحدد الحركة والأنشطة التجارية والمالية في الاقتصاد لأي بلد حيث يتعامل فيها الناس من زارع يأتي بمنتجاته ليبيعها، أو صانع يعرض سلعته، أو تاجر وهو الوسيط في الحركة التجارية بين المزارع والصانع وبين المشتري... فالأسواق تحدد الحركة المالية والاقتصادية للبلد من ناحية رواج ونشاط السلعة... والسوق يحدد ميزان العرض والطلب لأي سلعة سواء بيعها أو مشتراها، كذلك أن الأنظمة التي شرعها الله في التعامل بالأسواق وما حللها لنا بإقامة العدل وإعطاء كل ذي حق حقه والأمانة والصدق والإخلاص في إعمالنا... كل هذه القواعد الإسلامية هي أحد الدعائم والأسس الاقتصادية في أسواقنا.

كما حرم الله تعالى علينا التعامل سواء بالبيع أو الشراء في لحم الخنزير أو خمور أو ميتة... كما أن هنا أنشطة محرمة تجارياً كالغش والحيل والتلاعب في الكيل والميزان والمساومة والظلم وأكل أموال الناس والتهديد والوعيد... وقد كتب عنها أفاضل العلماء المسلمين.

وقد بين الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام أحد القواعد والأسس لأنشطتنا الاقتصادية وطرق وتعامل هؤلاء القوم في أسواقهم حيث نأتي إلى ما يلي: -

- كان قوم شعيب عليه السلام يفسدون مجتمعهم وأنشطتهم الاقتصادية في أسواقهم التجارية بالغش والتلاعب والحيل والمساومة والظلم في تجارتهم ومعاملاتهم للمشترين من قومهم.

- أوضح الله تعالى لنا من خلال قصة شعيب عليه السلام أن قومه كان يغلب على أسواقهم التجارية النقص في حقوق الناس في أموالهم ويأخذونها على وجه البخس في الكيل والميزان خفية وتدليساً لأنهم عصوا ربهم.

- وكي يصبح اقتصادنا... على أسس متينة قوية... فإن في قصة قوم شعيب عليه السلام الكثير من الدروس المستفادة... والأسواق متوفرة في كل قرية أو مدينة بها نشاط تجاري أو صناعي أو مالي... وكذلك توجد

علاقات اقتصادية بين دول العالم وتنشط فيها حركة التجارة والأسواق. . .
وقد أنارت التشريعات الإسلامية طريقنا لكي تحدد البيع والشراء في أسواق عالمنا الإسلامي على أسس من الحق والعدل والأمانة والصدق والإخلاص وعدم الغش والغبن والتلاعب وأكل الأموال بالباطل بنقص في الكيل والميزان.

وقد شرح الدكتور محمد فريز منفيخي في كتابه: «النظام الاقتصادي» من الكيل والميزان:

فقال: ما يبقى لكم بعد إيفاء الكيل والميزان من الربح الحلال خير لكم مما تأخذونه بالتطفيف ونحوه من الحرام إن كنتم مؤمنين به حق الإيمان، فالإيمان يطهر النفس من رذيلة الطمع ويجملها بفضيلة السخاء والكرم.

وأتموا الكيل للناس ولا تخسروهم إذا كلتم لهم حقوقهم قبلكم فإن كلتم لأنفسكم فلا جناح عليكم إن نقصتم عن حقكم ولم تفوا بالكيل، وزنوا بالميزان العدل دون شيء من الجور أو الحيف لأن جميع الناس محتاجون إلى المفاوضات والبيع والشراء، ومن ثم بالغ الشارع في المنع من التطفيف والنقصان سعياً في إبقاء الأموال لأربابها، ثم بين عاقبة هذه الأوامر وحسن مآلها فقال: ذلك خير، أي إيفاؤكم بالعهد وإيفاؤكم من تكيلون له ووزنكم بالعدل أمن توفون له خير لكم في الدنيا من نكثكم وبخسكم في الكيل والوزن، لأن ذلك مما يرغب الناس في معاملتكم وحب الثناء عليكم وذلك أجمل عاقبة لما يترتب على ذلك من الثواب في الآخرة والخلاص من العقاب الأليم، وكثير من الفقراء الذين اشتهروا بالأمانة والبعد عن الخيانة أقبلت عليهم الدنيا وحصل لهم الثروة والغنى وكان ذلك سبب سعادتهم فيها.

إذا بعتم للناس فكيلوا لهم الكيل كاملاً ولا تبخسوهم حقهم فتعطوه ناقصاً، وإذا اشتريتم فخذوا كما لو كان البيع لكم، وزنوا بالميزان السوي العدل، ثم عم النهي عن البخس في كل حق فقال: ولا تنقصوا الناس

أشياءهم وحقهم في كيل أو وزن أو غيرهما كالمزروعات والمعدودات كأخذ بيض كبير وإعطاء بيض صغير وإعطاء رغيف صغير وأخذ رغيف كبير وهكذا، ثم نهاهم عن جرم أعظم شأناً وأشد خطراً وهو الفساد في الأرض تجميع ضروبه وأشكاله فقال: لا تكثروا في الأرض الفساد بالقتل والغارة وقطع الطريق والسلب والنهب وغيرها، وبعد أن نهاهم عن ذلك خوفهم سطوة الجبار الذي خلقهم وخلق من قبلهم ممن كانوا أشد منهم بطشاً وعتوّاً.

---

(١) د. محمد فريز منفيخي - النظام الاقتصادي القرآني - ص ١١٢١.

٢ ـ الحركة التجارية الدولية للموازين والمكاييل: ـ

بين شعيب عليه السلام طريقة التعامل الصحيحة في مجال الموازين والمكاييل والتي يجب اتباعها في معاملاتنا الاقتصادية في الأسواق التجارية... كل هذه القواعد والأسس في الموازين والمكاييل أوضحها الله تعالى في قص شعيب عليه السلام ليبين لنا الطريق الاقتصادي السليم الذي نهتدي به من أجل إقامة الحق والعدل في موازيننا ومكاييلنا بالوفاء وعدم النقص والبخس والغش والغبن والتحايل والتلاعب... كل هذه المفاهيم الاقتصادية لإرساء الأسس والقواعد الإسلامية الصحيحة لتشريعنا الإسلامي كي نبني أمتنا الإسلامية على تشريع يسوده الحق والعدل.

إن القواعد الخاصة بالموازين والمكاييل ليست لفئة معينة ولكن كتشريع إسلامي لأمتنا الإسلامية والتعامل بيننا على أسس وقواعد إسلامية من تلك النظم في تعاملنا.

ولهذا فإن التشريع الإسلامي جاء لحماية حقوق الناس وعدم غبن فئة لأخرى، كي يسعد الجميع في دنياهم وأخراهم.

وهذا يستلزم ترابطاً إسلامياً بين كافة الشعوب الإسلامية، وذلك بوضع الأسس والقاعدة الإسلامية المستمدة من كتاب الله موضع التنفيذ، والتي تحدثت عنها قصة شعيب في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم.

أما فيما يتعلق بالجانب الأمني لحماية طرق التجارة: ـ

فقد بين لنا الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام أن قومه كانوا

يقطعون الطريق ويصدون عن سبيل الله من آمن بالله وبرسالة شعيب عليه السلام.

وقد نهانا الله تبارك وتعالى عن فعل هذه الأشياء، فقد ذكر في سورة الأعراف قوله تعالى: -

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾. الآية (٨٦).

وبهذا أوضحت لنا قصة شعيب عليه السلام أحد الدروس والعظات التي نستفيد منها لبناء اقتصاد إسلامي سليم وفق كتاب الله وسنة نبيه وهو تحريم قطع الطريق بما له من مفاسد في الأرض وكساد للإقتصاد.

وينبغي لكي تتم مزاولة النشاط الاقتصادي لأي قرية أو مدينة سواء كان ذلك في مجال التجارة أو الصناعة أو الزراعة أن تتوفر الحماية والأمن... فهما شرطان ضروريان للإنتعاش والإزدهار... ومن ذلك: -

أ : أن توفر الحماية الأمنية في أسواقنا وطرق تجارتنا بين القرى والمدن، وكذلك بين الدول يجنبها ما يحدث من غش أو تلاعب أو تسيب أو سرقة... كما أن التحكم في هذه الأسواق بمراقبتها والتفتيش عليها خاصة فيما يتعلق بالكيل والميزان وحراسة القوافل وتوافر الأمن والسلامة في جميع طرق القوافل والمواصلات الدولية... كل ذلك يزيد من النشاط التجاري وترابط وتقوية العلاقات بين المدن والقرى والدول الأخرى المجاورة.

ب : وكما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف: **﴿الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين (٩٢) فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين (٩٣) وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يَضَّرَّعُون (٩٤)﴾**.

وهكذا كان شعيب عليه السلام ينصح ويرشد قومه بعدم الفساد في

مجتمعهم وفي أنشطتهم التجارية، وفي كيلهم ووزنهم، وقد حذرهم وأنذرهم... وحاول أن يحميهم من أنفسهم بالإبتعاد عما حرمه الله، ولكن قومه لم يستجيبوا لهذا النصح وهم السلطة الغالبية الإدارية... والمتسلطة على أنشطتهم التجارية... وكما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف: **﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين﴾** آية (٨٨).

وهكذا يتبين لنا أن قوم شعيب عليه السلام كانوا هم أنفسهم يشكلون الجانب الأمني لحماية أنشطتهم التجارية... وكما أوضح الله لنا أنهم استباحوا البخس في الكيل والميزان وأكل حقوق الناس عن طريق نقص الوزن، بجانب ذلك استباحوا الغش والتلاعب والحيل. فكانت العاقبة والنتيجة أن أنزل الله تبارك وتعالى العقاب عليهم لأنهم فسدوا في مجتمعهم وعصوا أمر الله وشريعته وتكذيبهم لشعيب عليه السلام كما ذكر الله تعالى في سورة الشعراء: **﴿فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم (١٨٩) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٩٠)﴾**.

وبهذا ندرك حكمة الجانب الأمني لحماية الأنشطة التجارية وطرق وقوافل التجارة والتي توجب على ولي الأمر تطبيق شريعة الله وسنة نبيه في كل الأماكن التجارية والأسواق، وأن يأمر بالمعروف وينهى عن كل ما حرمه الله علينا وأن نقيم الحق والعدل بين أفراد الرعية.

كل هذه الدروس التي تعلمناها من خلال قصة شعيب لبناء اقتصادنا في أمتنا الإسلامية ولحماية أمتنا وأنشطتنا التجارية وفق ما شرعه الله.

وقد جاء في كتاب أخطاء يجب أن تصحح[1] في التاريخ (جزيرة العرب) عن قصة شعيب عليه السلام، ما يلي: ـ

كان أهل مدين وبلادهم تقع في الطريق من الحجاز إلى الشام ـ ينقصون المكيال ـ وهي رذيلة تمس نظافة القلب واليد، كما تمس المروءة

(١) أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ «جزيرة العرب» ـ الجزء الأول ـ ص ٦٩، ذ. جمال عبد الهادي محمد مسعود ـ الدكتورة وفاء محمد رفعت جمعة.

والشرف، كما كانوا بحكم موقع بلادهم يملكون أن يقطعوا الطريق على القوافل الذاهبة والآيبة بين شمال الجزيرة وجنوبها، ويتحكموا في طريق القوافل، ويفرضوا ما يشاءون من المعاملات الجائرة التي وصفها الله في سورة هود (آية ٨٤ ـ ٩٥). ومن ثم تبدو علاقة التوحيد والدينونة لله، بالأمانة والنظافة وعدالة المعاملة وشرف الأخذ والعطاء، ومكافحة السرقة الخفية سواء قام بها الأفراد أم قامت بها الدول. فهي بذلك ضمانة لحياة إنسانية أفضل، وضمانة للعدل والسلام في الأرض بين الناس. وهي الضمانة الوحيدة التي تستند إلى الخوف من الله وطلب رضاه، فتستند إلى أصل ثابت، لا يتأرجح مع المصالح والأهواء...

لقد رفض القوم أن يكونوا عبيداً لله عز وجل ـ كما رفضوا الخضوع لنظامه وشرعه. تماماً كما فعل عاد وثمود. فاستغلوا تحكمهم في طرق التجارة والسلع التجارية في تطفيف الكيل والميزان، وبخس الناس أشياءهم، والإفساد في الأرض، كما كانوا يصدون الناس عن دين الله.

لقد كان القوم ظلمة، يفتنون المؤمنين عن دينهم، ويصدونهم عن سبيل الله، لقد كان القوم يكرهون للحياة أن تكون مستقيمة على منهج الله. لماذا؟ لأن ذلك يذكرهم بجرائمهم ويذكرهم بانحرافهم، ويذكرهم بعبوديتهم لشهواتهم وشياطينهم، كما أن قيام حياة المجتمع المسلم على منهج الله، يحول بين الظلمة والإنحراف، إذ كيف ينحرفون، والمجتمع المسلم يجتث الرذيلة، ويحول بين الناس وبين ارتكاب المحرمات، ولو فرض أن ظالماً أو فاسقاً قد ارتكب جرماً أو محرماً، أقيم عليه الحد. ففي المجتمع المسلم، دين الله مصان، وأعراض الناس وأموالهم مصانة، وهذا ما لا يطيقه المنحرفون إذ كيف يحال بينهم وبين الرتع في أموال الناس وأعراضهم ودمائهم؟؟ لقد كان أهل مدين فسقة فجرة والفسق والفجور لا يعيش في مجتمع يقوم على نظام الله وشرعه، ولكنه يقوم في مجتمع معوج متمرد على دين الله عز وجل. وفي مثل هذا المجتمع لا يأمن الناس على أموالهم وأعراضهم ودينهم.

لهذا جند الكفار والمشركون، من قوم شعيب إمكانيات العصر التي مكن الله لهم بها في الأرض، من مال وبنين وجنات وعيون، وكثرة في العدد في سبيل الصد عن دين الله.... لقد جند هؤلاء المشركون كل أجهزتهم الإلحادية لمطاردة الحق على أرضهم والترويج لباطلهم، والحيلولة بين الناس وبين الدخول في دين الله، بل ومحاولة فتنة الناس عن دينهم.

(١) أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ «جزيرة العرب» - الجزء الأول - ص ٦٧ ذ. جمال عبد الهادي محمد مسعود - الدكتورة وفاء محمد رفعت جمعة.

٣ ـ الأنشطة المالية وسعة الرزق: ـ

أوضحت لنا قصة شعيب عليه السلام أن قومه كانوا ينقصون في الكيل والميزان ويأخذون الأموال بغير حق... وكما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف عن قوم شعيب: **﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾** آية (٩٦).

١ ـ وفيما يتعلق بالإقتصاد الإسلامي فقد حرمت علينا بعض الأنشطة التجارية والمالية غير المشروعة وخاصة في الأسواق... والتي منها على سبيل المثال لا الحصر: ـ

أ ـ أن البخس التجاري في عمليات الوزن والكيل أو في البيع هي من المحرمات التي نهانا الله تبارك وتعالى عنها.

ب ـ كذلك الغش التجاري وذلك بإعطاء السلعة أو البضاعة ناقصة أو غير مطابقة لوزنها أو شكلها الحقيقي.

جـ ـ الحيل التجارية التي يستعملها التجار عن طريق الخفية والتدليس وهي من الأمور التي نهانا الله عنها.

د ـ إن المساومة التجارية هي من الأمور التي نهانا الله عنها وذلك لأن البائع يعرف القيمة الحقيقية للبضاعة وما حلله الله في كسبه عليها، ولهذا فإن المساومة هي من الأمور التي يحدث فيها ظلم وأكل حقوق الناس بالباطل سواء من البائع أو المشتري.

هـ ـ إن التهديد والوعيد التجاري هي من الأمور التي يتخللها ظلم

وأكل حقوق الناس بأن القوي يسيطر على الضعفاء بأخذ أموالهم وهذه من الأمور التي تجعل مكاسبها حرام علينا.

و - إن بيع المحرمات التي نهانا الله عنها كالخنزير والميتة والدم أو التعامل بالربا هي من الأمور والأسس المالية التي تدر أرباحاً غير شرعية ومحرمة...

ز - إن الظلم من الأمور التي تعوق الأنشطة الاقتصادية والمكاسب التي حللها الله في مدخولاتنا من الأموال لأن الظلم حرمه التشريع الإسلامي... وقد ذكر الله في سورة الأعراف من خلال تلك القصة: ﴿**وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين**﴾ آية (١٠٢). ومن ذلك نجد أن من الأسس المالية في التعامل التجاري هي الوفاء التجاري أي الإلتزام بكل الشروط بين البائع والمشتري في مواصفات وشكل السلعة، وكذلك قبض واستلام الثمن... وكذلك التمسك بالحق التجاري لكل من البائع والمشتري... كما أن من الأسس المالية في التجارة الوفاء بالعهد بين البائع والمشتري فيما يتعلق بمدته وجميع التزاماته.

٢ - ذكر الله تعالى عن قوم شعيب في سورة هود:

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾. الآية (٨٧).

وتؤكد لنا هذه الآية الكريمة التحدي السافر والتهكم لقوم شعيب عليه السلام وأنهم تمسكوا بما كان يعبده آباؤهم من باطل وكفر بالله الواحد الأحد وارتكاب المعاصي والمفاسد في الأرض في تجارتهم ومكاسبهم المحرمة... ومن ذلك نأتي إلى تصرف الإنسان في أمواله حسب شريعة الله كما يلي: -

أ - علمتنا قصة شعيب عليه السلام أن التصرف في الأموال كي

نحقق المكاسب الحلال يجب أن تكون على أساس إعطاء كل ذي حق حقه وإقامة العدل في تجارتنا.

ب ـ إن تصرف الإنسان بالفساد والعثو في الأرض لجلب الأموال التي حرمها الله علينا كما حدث مع قوم شعيب عليه السلام لا ينفع بشيء بل يضر بالإنسان ويعرضه إلى أشد العذاب والعقاب الإلهي... وذكرت سورة الأعراف: **﴿ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا...﴾**. آية (٨٦).

جـ ـ أن تصرف الإنسان بعمل السيئات والتعامل مع الناس بالغش والخديعة والحيل الماكرة، نهانا الله عنه بل إن تصرفاتنا ينبغي أن تقوم على أساس من الوفاء والصدق والأمانة وتقوى الله عز وجل... وقد ذكر في سورة الأعراف: **﴿ما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾**. آية (١٠٢).

٣ ـ قال الله تعالى في سورة هود: **﴿قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز (٩١) قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهرياً إن ربي بما تعملون محيط (٩٢)﴾**.

وهكذا حددت هاتين الآيتين الكريمتين مفهوماً اقتصادياً هاماً يتعلق بالجانب المالي والتجاري، ويختص بتقييم الناس للشخص ذو السعة والغنى بأمواله... فقد قام قوم شعيب عليه السلام أنه لولا رهطه وتجارته وهذا يعني أنه كان يتمتع بقوة لانتسابه لقوم أقوياء، ولولا ذلك لتعرض للرجم من هؤلاء القوم الضالين الذين سخروا من رسالته التي دعاهم فيها إلى الحق وإقامة العدل في مجتمعهم.

ومن ذلك نسترشد أهم الدلالات الإسلامية لأنشطتنا المالية والتجارية التي يجب اتباعها عند بناء حياتنا الاقتصادية الإسلامية وهي أن ميزان قوة وضعف الشخص ليس بأمواله ولا تجارته أو نفوذه، بل تعتمد على

مدى قوة إيمانه بـالله وحسن تطبيقـه لشريعـة الله عز وجـل في مجتمعه وطيب علاقته مع الناس فهـذا هو القـوي أمام الله وحـده لأنه يـراعي حق الله تبارك وتعالى وحقوق الناس معاً. . .

٤ ـ ذكر الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿**واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثـركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين**﴾ آية (٨٦).

من ذلك نتعلم جوانب مالية لأنشطة قوم شعيب حيث كانوا قليلي العـدد وأن الله رزقهم وكثـر عددهم. . . وبالتـالي انعكست زيـادة السكان لديهم باتساع أنشطتهم التجارية والاقتصاديـة ورزقهم الله من نعمته وفضله. . . كما زادت المدخولات المالية لديهم وقد أوضح لهم شعيب عليه السلام الطريق الصحيح لتـطبيق شريعـة الله في نشاطهم التجاري ومدخـولاتهم الماليـة وبين لهم الحلال والحـرام. . . ولكن القوم أبوا وعصوا أمر ربهم وسلكوا طريق ما حرمه الله عليهم. . . وإذا نـظرنا إلى مجتمعنـا الإسلامي نجـد أن الله تبارك وتعـالى مّن علينـا بالأراضي الشاسعة وبالعدد الكبير من السكان وبنعم كثيرة مختلفة لا تعــد ولا تحصى من حيث القيمـة أو الثـروات الـطبيعيــة وزيــادة مدخولاتنا. . . لذلك ينبغي علينا أن نتعظ من تلك القصة ونبني حياتنا الإسلامية وفق شـريعة الله ونبتعـد عن المحرمـات والمحظورات التي نهانا الله عز وجل عنها. . .

٥ ـ تعتبر الزكاة أحد أركان الإسلام الرئيسية لأنها تطهـر النفس وتساعـد الفقراء والمساكين. . . وفي سورة هود: ﴿**قالوا يـا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد**﴾. آية (٨٧).

وهكذا نرى الملامح المالية لأنشطة قوم شعيب عليه السلام فهم لـم يؤمنوا بشعيب عليه السلام ولا بصلاته، كما أنهم أرادوا العبث بأموالهم التي رزقهم الله عز وجل بها وأن يفعلوا بها مـا يشاؤن فهـذا مخالف

لتعاليم الله وشريعته. . . فالمال مال الله تبارك وتعالى ونحن مستخلفون فيه. . . مسؤولون عن كيفية انفاقه محاسبون عليه يوم القيامة. . . والإنسان المسلم المؤمن الذي يطبق شريعة الله هو الذي يدفع الزكاة المفروضة عليه ويتصدق للفقراء والمساكين من أمواله حسب شريعة الله. . . كل هذه الملامح الاقتصادية أوضحتها الشريعة الإسلامية السمحاء كي يبارك الله عز وجل في أنشطتنا المالية والتجارية ونبني مجتمعنا الإسلامي على أسس من الطهارة والنقاء.

٦ ـ ذكر الله تعالى في سورة الأعراف: **﴿أولم يهدِ للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾** آية (١٠٠).

وقد أكدت لنا قصة شعيب عليه السلام أننا لا نمتلك أموالنا فلسنا مخلدين في الأرض بل أن الله هو مالك الملك فنحن نحاسب عليها أمام الله تبارك وتعالى فيما حلله أو حرمه علينا. . . ولما كان قوم شعيب عليه السلام قد عصوا أمر ربهم فهم يحسبون أنهم مخلدون في الأرض بأموالهم وأملاكهم. . . لذلك أكلوا حقوق الناس بغير حق عن طريق النقص والبخس في الكيل والميزان والتلاعب والغش والحيل التجارية وغير ذلك في النشاطت المحرمة والتي كانوا يزاولونها في تجارتهم فكان العقاب والعذاب الإلهي. . .

قال الإمام الطبري(*) في تفسيره للآية (٨٧) من سورة هود:

يقول تعالى ذكره، قال قوم شعيب: يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك عبادة ما يعبد أباؤنا من الأوثان والأصنام أو أن نفعل في أموالنا ما تشاء من كسر الدراهم وقطعها وبخس الناس في الكيل والوزن إنك لأنك الحليم، وهو الذي يحمله الغضب أن يفعل ما لم يكن ليفعله في حال الرضا الرشيد يعني رشيد الأمر في أمره أن هم لم يتركوا عبادة الأوثان.

(*) الإمام الطبري ـ سورة هود ـ الآية (٨٧) ـ ص ٦٣ ـ ٩ م.

وجاء في تفسير الإمام ابن الجوزي(*) للآية (٨٧) من سورة هود: -

قوله تعالى: ﴿أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾، قال الفراء: معنى الآية: أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا. أو أن نترك أن نفعل في أموالنا مانشاء؟

أحدهما: إن فعلهم في أموالهم هو البخص والتطفيف قاله ابن عباس، فالمعنى قد تراضينا فيما بيننا بذلك.

والثاني: أنهم كانوا يقطعون الدراهم والدنانير فنهاهم عن ذلك، قاله ابن زيد، وقال القرظي: عذبوا في قطعهم الدراهم.

وفي قوله: **﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾** أربعة أقوال:

أحدهما: أنهم قالوه استهزاء به، رواه أبو صالح عن ابن عباس وبه قال قتادة والفراء.

والثاني: أنهم قالوا له: إنك لأنت السفيه الجاهل. فكنى بهذا عن ذلك ذكره الزجاج.

والثالث: إنهم سبوه بأنه ليس بحليم ولا رشيد فأثنى الله عز وجل عليه فقال: بل إنك لأنت الحليم الرشيد لا كما قال لك الكافرون، حكاه أبو سليمان الدمشقي عن أبي الحسن المصيصي.

والرابع: إنهم اعترفوا له بالحلم والرشد حقيقة وقالوا: أنت حليم رشيد، فلم تنهانا أن نفعل في أموالنا ما نشاء، حكاه الماوردي وذهب إلى نحوه ابن كيسان.

أما الإمام الرازي(*) فقال:

إعلم أن شعيباً عليه السلام أمرهم بشيئين: بالتوحيد وترك البخس، فالقوم أنكروا عليه أمره بهذين النوعين من الطاعة. فقوله: **﴿أن نترك ما يعبد**

(*) الإمام ابن الجوزي - سورة هود - الآية (٨٧) - ص ١٥٠ م ٤ ج ١٠.
(*) الإمام الرازي - سورة هود - الآية (٨٧) - ص ٤٧ م ٦ ج ١٨.

آباؤنا﴾ إشارة إلى أنه أمرهم بالتوحيد، وقوله: **﴿أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾** إشارة إلى أنه أمرهم بترك البخس. أما الأول فقد أشاروا فيه إلى التمسك بطريقة التقليد لأنهم استبعدوا منه أن يأمرهم بترك عبادة ما كان يعبد آباؤهم يعني الطريقة التي أخذناها من آبائنا وأسلافنا كيف نتركها وذلك تمسك بمحض التقليد.

ويقول الإمام القرطبي(*):

أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾ زعم الفراء أن التقدير أو تنهانا أن نفعل في أموالنا ما نشاء والمعنى ما تشاء أنت يا شعيب.

وقيل، معنى: **﴿أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾** إذا تراضينا فيما بيننا بالبخص فلم تمنعنا منه؟ . . . **﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾** يعنون عند نفسك بزعمك ومثله في صفة أبي جهل: «ذق إنك أنت العليم الكريم، أي عند نفسك بزعمك. وقيل: قالوه على وجه الإستهزاء والسخرية قاله قتادة.

وقال سفيان بن عيينة: العرب تصف الشيء بضده للتطير والتفاؤل، وقيل: هو تعريض أرادوا به السب، وأحسن من هذا كله، ويدل على ما قبله على صحته. أي أنك أنت الحليم الرشيد حقاً، فكيف تأمرنا أن نترك ما يعبد آباؤنا، ويدل عليه **﴿أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا﴾**، أنكروا لما رأوا من كثرة صلاته وعبادته، وإنه حليم رشيد بأن يكون يأمرهم بترك ما كان يعبد آباؤهم وبعده أيضاً ما يدل عليه: **﴿قال: يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً﴾** أي أفلا أنهاكم عن الضلال؟ وهذا كله يدل على أنهم قالوه على وجه الحقيقة وإنه اعتقادهم فيه.

وجاء في تفسير الإمام الشوكاني:(*):

وقولهم: **أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾** جواب له عن أمرهم بإيفاء الكيل والوزن ونهيهم عن نقصهما وعن بخس الناس وعن العثي في

(*) الإمام القرطبي - سورة هود - الآية (٨٧) - ص ٣٣١٨.

(*) الإمام الشوكاني - سورة هود - الآية (٨٧) - ص ٥١٩.

الأرض. والمعنى: أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا وتأمرك أن نترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء من الأخذ والإعطاء والزيادة والنقص والتقدير: أصلواتك تأمرك أن تفعل في أموالنا ما تشاء ومعناه: أصلواتك تأمرك أن نفعل نحن في أموالنا ما تشاؤه أنت وندع ما نشاؤه نحن، وما يجري به التراضي بيننا: ثم وصفوه عظيمين فقالوا: ﴿**إنك لأنت الحليم الرشيد**﴾ على طريقة التهكم به لأنهم يعتقدون أنه على خلافهما. أو يريدون إنك لأنت الحليم الرشيد عند نفسك وفي اعتقادك، ومعناهم: إن هذا الذي نهيتنا عنه وأمرتنا به يخالف ما تعتقده في نفسك من الحلم والرشد، وقيل: إنهم قالوا ذلك لا على طريقة الإستهزاء بل عندهم كذلك وأنكروا عليه الأمر والنهي منه لهم بما يخالف الحلم والرشد في اعتقادهم.

وقال الإمام القاسمي[1]:

أي إن كنتم مصدقين ببقاء شيء فيما يبقى لكم عند الله من الكمالات والسعادات الأخروية، خير لكم من تلك المكاسب الفانية التي تشقون بها، وتشقون على أنفسكم في كسبها وتحصيلها، ثم تتركونها بالموت، ولا يبقى منها معكم شيء إلا وبال التبعات والعذاب اللازم لما في نفوسكم من رواسخ الهيئات. ﴿**وما أنا عليكم بحفيظ**﴾ أي رقيب احكم القبائح وأكفكم عنها بسيطرة وإنما أنا مبلغ نذير. أي من الأصنام، أجابوا به أمرهم بالتوحيد على الإستهزاء والتهكم بصلواته والإشعار بأن مثله لا يدعوا إليه داعٍ عقلي وإنما دعاك إليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه، وكان شعيب كثير الصلاة، فلذلك جمعوا وخصوا الصلاة بالذكر. ﴿**أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء**﴾ من نقص ونحوه: ﴿**إنك لأنت الحليم الرشيد**﴾ أي الموصوف بالحلم والرشد في قومك يعنون أن ما تأمر به لا يطابق حالك وما شهرت به، كما قال قوم صالح عليه السلام: ﴿**قد كنت فينا مرجواً قبل هذا**﴾، أو قالوا ذلك تهكماً به، والمراد أنه على الضد من ذلك. قيل: وهذا أرجح

---

(١) الإمام القاسمي ـ سورة هود ـ الآية (٨٧) ـ ص ١٦٢ م ٩.

لأنه أنسب بتهكمهم قبله والأدق هو الأول لمماثلته لما خوطب به صالح وتعقيبه بمثل ما عقب به.

وقال الشيخ المراغي[1]: ـ

﴿**أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء**﴾ أي أو أن نترك فعلنا ما نشاء في أموالنا من التطفيف وغيره من التنمية والإستغلال والتصرف في الكسب بما نستطيع من الحذق والإحتيال والخديعة فما ذاك إلا حجر على حريتنا وتحكم في إرادتنا وذكائنا.

والخلاصة: أنهم ردوا عليه الناحيتين الدينية والدنيوية بما رأوا من شبه مزيفة وحجج آفنة. ثم اتبعوا ذلك بما يدل على السخرية والهزء به فقالوا: ﴿**إنك لأنت الحليم الرشيد**﴾ أي أنت ذو الجهالة السفاهة في الرأي والغواية في الفعل بهوس الصلاة لكنهم عكسوا القضية تهكماً واستهزاء كما يقال للبخيل لو رآك حاكم لاقتدى بك في سخائك.

وجاء في أحكام القرآن لابن بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي[2]:

قوله: ﴿أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾.

قال ابن وهب: قال مالك: كانوا يكسرون الدنانير والدراهم. وكذلك قال جماعة من المفسرين المتقدمين؛ وكسر الدنانير والدراهم ذنب عظيم لأنها الواسطة في تقدير قِيم الأشياء والسبيل إلى معرفة كمية الأموال وتنزيلها في المعاوضات، حتى عبر عنها بعضُ العلماء إلى أن يقولوا: إنها القاضي بين الأموال عند اختلاف المقادير أو جَهْلِها، وإن[1] من حبسها ولم يصرفها

(١) الشيخ المراغي ـ سورة هود ـ الآية (٨٧) ـ ص ٧٣ م ٤.

(٢) أحكام القرآن لابن بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ٤٦٨ ـ ٥٤٣ هـ، تحقيق علي محمد البجاوي ـ المجلد الثالث ـ ص ١٠٦٣ حتى ١٠٦٦ ـ سورة هود ـ آية: ٨٧.

فكأنه حبس القاضي وحجبه عن الناس، والدراهم والدنانير إذا كانت صحاحاً قام معناها، وظهرت فائدتها، فإذا كسرت صارت سلمة، وبطلت الفائدة فيها، فأضرّ ذلك بالناس؛ فلأجله حرم. وقد قال ابن المسيب: قطع الدنانير والدراهم من الفساد في الأرض، وكذلك قال زيد بن أسلم في هذه الآية، وفسره به، ومثلها[1] عن يحيى بن سعيد من رواية مالك عنهم كلّهم.

وقد قال عمرُ بن عبد العزيز: إن ذلك تأويل قوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾.

وقد قيل في قوله تعالى: «وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون»؛ قال زيد بن أسلم: كانوا يكسرون الدراهم والدنانير، والمعاصي تتداعى.

قال أصبغ: قال عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة مولى زيد بن الحارث العتقي: من كسرها لم تقبل شهادته، وإن اعتذر بالجهالة لم يعذر، وليس هذا بموضع عذر، فأما قوله: لم تقبل شهادته؛ فلأنه أتى كبيرة؛ والكبائر تسقط العدالة دون الصغائر.

وأما قوله: لا يقبل عذره بالجهالة في هذا فلأنه أمر بين لا يخفى على أحد. وإنما يقبل العذر إذا ظهر الصدق فيه أو خفي وجه الصدق فيه، وكان الله أعلم به من العبد كما قال مالك.

- إذا كان هذا معصية وفساداً يرد الشهادة فإنه يعاقب من فعل ذلك. اختلف في عقوبته على ثلاثة أقوال:

الأول: قال مالك: يعاقبه السلطان على ذلك هكذا مطلقاً من غير تحديد للعقوبة.

الثاني: قال ابن المسيّب - ونحوه عن سفيان: إنه مرَّ برجل قد جُلد، فقال ابن المسيب: ما هذا؟ فقالوا: رجل كان يقطعُ الدراهم. قال ابن المسيب: هذا من الفساد في الأرض ولم ينكر جلده.

الثالث: قال أبو عبد الرحمن التجبي: كنت عند عمر بن عبد العزيز قاعداً، وهو إذ ذاك أمير المدينة، فأُتي برجل يقطع الدراهم، وقد شهد عليه، فضربه وحلقه، فأمر فطِيف به، وأمره أن يقول: هذا جزاء من يقطع الدراهم، ثم أمر به أن يرد إليه، فقال له: إنه لم يمنعني أن أقطع يدك إلا أني لم أكن تقدمت في ذلك قبل اليوم، فقد تقدمت في ذلك، فمن شاء فليقطع.

وقد كنت أيام الحكم بين الناس أضرب وأحلق؛ وإنما كنت أفعل ذلك بمن يربي شعره عوناً على المعصية وطريقاً إلى التجمل به في الفسوق، وهذا هو الواجب في كل طريقة للمعصية أن يقطع إذا كان ذلك غير مؤثر في البدن.

وأما قطع يده فإنما أخذ ذلك عُمر ـ والله أعلم ـ في فصل السرقة، وذلك أن قرض الدراهم غير كسرها، فإن الكسر إفساد الوصف والقرض تنقيص القدر، فهو أخذ مال على جهة الإختفاء.

فإن قيل: ليس من حرز، والحرز أصل في القطع.

قلنا: يحتمل أن يكون عمرُ رأي أن تهيئتها للفصل بين الخلق ديناراً أو درهماً حرز لها، وحرز كل شيء على قدر حاله.

وقد أنفذ[٤] بعد ذلك ابن الزبير، وقطع يد رجل في قطع الدراهم والدنانير.

وقد قال علماؤنا المالكية: إن الدراهم والدنانير خواتيم الله عليها اسم[٥] الله.

ولو قطع على قول أهل التأويل من كسر خاتماً لله لكان أهلاً لذلك، إذ من كسر خاتم سلطان عليه اسمه أدب، وخاتم الله تُقضى به الحوائج، فلا يستويان في العقوبة.

وأرى القطع في قرضها دون كسرها، وقد كنت أفعل ذلك أيام توليتي الحكم، إلا أني كنت محفوفاً بالجهال، فلم أجب بسبب المقال للحسدة الضلال، فمن قدر عليه يوماً من أهل الحق فليفعله احتساباً لله تعالى.

ب ـ سعة الرزق في الحياة الدنيا:

أوضح شعيب عليه السلام لقومه معنى الرزق الحسن. . . والذي يعتبر أحد الأنشطة الاقتصادية والرئيسية لمعايش الإنسان. . . والرزق الحسن يدخل في نشاط المرء وتعامله في الأسواق إما عن طريق البيع أو الشراء. . . والمكاسب التي تجيء من وراء هذا الرزق الحسن حلال تنعكس آثارها على الإنسان بالحمد والشكر لله عز وجل والرضا والقناعة بما قسمه الله تبارك وتعالى له. . .

والرزق الحسن يقوم على الحق والعدل والوفاء والأمانة في الأسواق التجارية وغيرها من الأماكن التي تشهد رواجاً وانتعاشاً اقتصادياً. . . وقد ذكر في سورة هود:

﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ الآية (٨٨).

والرزق بصفة عامة منه ما هو حلال وما هو حرام. . . وقد علمنا من قصة شعيب عليه السلام كيف كانت عاقبة قومه الذين كذبوه ولم يصدقوا رسالته. . . التي دعاهم فيها لإقامة الحق والعدل. . . وأن يوفوا الكيل والميزان وألا يبخسوا الناس أشياءهم. . . وذلك من أجل أن يكون رزقهم حلالاً. . . ينعكس على حياتهم وأنشطتهم التجارية والمالية. . . ويصبح كسبهم مشروعاً بعيداً عن المحرمات والمنهيات التي حددها لهم شعيب عليه السلام. . .

وهكذا أكدت لنا قصة شعيب عليه السلام عاقبة الرزق الحرام وأنه من الآثام التي حرمها الله علينا... وحتى يكون اقتصادنا ومعاملاتنا التجارية على أساس سليم... ينبغي أن نتقي الله تبارك وتعالى... في كل شيء... في الكيل... وفي الميزان... في المعاملات التجارية في الأسواق... وأن نبتعد عن الغش والحيل والخديعة... وأن نتعظ مما حدث لقوم شعيب عليه السلام...

الرزق في المنظور الشرعي: -

وقد تحدثت الآية (٨٨) من سورة هود عن الرزق...

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗا﴾.

وعندما نطالع ما قاله أفاضل العلماء في ذلك نأتي إلى ما يلي: -

ورد في تفسير الإمام الطبري[1]: -

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾.

يقول تعالى ذكره: قال شعيب لقومه يا قوم أرأيتم إن كنت على بيان وبرهان من ربي فيما أدعوكم إليه من عبادة الله والبراءة من عبادة الأوثان والأصنام وفيما أنهاكم عنه من إفساد المال ورزقني منه رزقاً حسناً يعني حلالاً طيباً وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه يقول: وما أريد أن أنهاكم عن أمر ثم أفعل خلافه بل لا أفعل إلا بما أمركم به ولا انتهى إلا عما أنهاكم عنه.

---

(١) الإمام الطبري - سورة هود - الآية (٨٨) ص ٦٠ حتى ٦٢ - ٩م.

وقد جاء في تفسير الإمام الزمخشري[1]:

وقيل: كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها وأرادوا بقولهم: ﴿**إنك لأنت الحليم الرشيد**﴾ نسبته إلى غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا به، وقيل معناه: إنك للمتواصف بالحلم والرشد في قومك يعنون إن ما تأمر به لا يطابق حالك وما شهرت به.... ﴿**ورزقني منه**﴾ أي من لدنه ﴿**رزقاً حسنا**﴾ وهو ما رزقه من النبوة والحكمة، وقيل: رزقاً حسناً، والمعنى: أخبروني إن كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبياً على الحقيقة أيصح لي أن لا أمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصي والأنبياء لا يبعثون إلا لذلك.

وفي تفسير الإمام الرازي[2]

اعلم أنه تعالى حكى عن شعيب عليه السلام ما ذكره في الجواب عن كلماتهم، فالأول قوله: «أرأيت ما أن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً﴾ وفيه وجوه:

الأول: إن قوله: ﴿**إن كنت على بينة من ربي**﴾، إشارة إلى ما آتاه الله تعالى من العلم والهداية والدين والنبوة، وقوله: ﴿**ورزقني منه رزقاً حسناً**﴾ إشارة إلى ما آتاه الله من المال الحلال، فإنه يروى أن شعيباً عليه السلام كان كثير المال.

والتقدير: أنه تعالى لما آتاني جميع السعادات الروحانية وهي البينة، والسعادات الجسمانية وهي المال والرزق الحسن فهل يسعني مع هذا الإنعام العظيم أن أخون في وحيه وأن أخالفه في أمره ونهيه. وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم، وذلك لأنهم قالوا له: ﴿**إنك لأنت الحليم الرشيد**﴾ فكيف يليق بك مع حلمك ورشدك أن تنهانا عن دين آبائنا فكأنه

(١) الإمام الزمخشري الخوارزمي - الكشاف - سورة هود - الآية (٨٤)، ص ٢٨٤.
(٢) الإمام الرازي - سورة هود - الآية (٨٨)، ص ٣٩ حتى ٤١ م ٦ ج ١٨.

قال: إنما أقدمت على هذا العمل. لأن نعم الله تعالى عندي كثيرة وهو أمرني بهذا التبليغ والرسالة. فكيف يليق بي مع كثرة نعم الله تعالى على أن أخالف أمره وتكليف.

الثاني: أن يكون التقدير كأنه يقول: لما ثبت عندي أن الإشتغال بعبادة غير الله والإشتغال بالبخس والتطفيف عمل منكر، ثم أنا رجل أريد إصلاح أحوالكم ولا أحتاج إلى أموالكم لأجل إن الله تعالى آتاني رزقاً حسناً فهل يسعني مع هذه الأحوال أن أخون في وحي الله تعالى وفي حكمه.

الثالث: قوله: ﴿**إن كنت على بينة من ربي**﴾ أي ما حصل عنده من المعجزة، وقوله: ﴿**ورزقني منه رزقاً حسناً**﴾ المراد أنه لا يسألهم أجراً ولا جعلاً وهو الذي ذكره سائر الأنبياء من قولهم: ﴿**لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلا على رب العالمين**﴾.

المسألة الثانية:

قوله: ﴿**ورزقني منه رزقاً حسناً**﴾ يدل على أن ذلك الرزق إنما حصل من عند الله تعالى وبإعانته وأنه لا مدخل للكسب فيه، وفيه تنبيه على إن الإعزاز من الله تعالى والإذلال من الله تعالى. وإذا كان الكل من الله تعالى فأنا لا أبالي بمخالفتكم ولا أفرح بموافقتكم، وإنما أكون على تقرير دين الله تعالى وإيضاح شرائع الله تعالى.

وقد جاء في تفسير الإمام أبو السعود[1]:

﴿**قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة**﴾ أي حجة واضحة وبرهان نير عبر بهما عما آتاه الله تعالى من النبوة والحكمة رداً على مقالتهم الشنعاء في جعلهم أمره ونهيه غير مستند إلى سند ﴿**من ربي**﴾ ومالك أموري ﴿**ورزقني منه**﴾ أي من لدنه ﴿**رزقاً حسناً**﴾ هو النبوة والحكمة أيضاً، عبر عنهما بذلك تنبيهاً على أنهما مع كونهما بينة رزق حسن كيف لا وذلك مناط الحياة الأبدية له ولأمته.

(١) الإمام أبو السعود- سورة هود- الآية (٨٨)، ص ٢٣٢ حتى ٢٣٥ م ٤.

وأريد بالصلاة الدين على معنى أدينك بأمرك أن تُكلفنا بترك عبادة الهتنا القديمة وترك التصرف المطلق في أموالنا وتخالفنا في ذلك وتشق عصانا، وهذا مما لا ينبغي أن يصدر عنك فإنك أنت المشهور بالحلم الفاضل والرشد الكامل فيما بيننا، كما كان قول قوم صالح، قد كنت فينا مرجواً قبل هذا مسروداً على ذلك النمط فأجيبوا بما أجيبوا به، وعلى هذا الوجه يكون المراد بالرزق الحسن الحلال الذي آتاه الله تعالى، والمعنى: حينئذ أخبروني إن كنت نبياً من عند الله تعالى ورزقني مالاً حلالاً استغني به عن العالمين أيصح أن أخالف أمره وأوافقكم فيما تأتون وما تذرون، ﴿**وما أريد**﴾ بنهيّ إياكم عما أنهاكم عنه من البخس والتطفيف: ﴿**أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه**﴾ أي أقصده بعدما وليتم عنه واستبد به دونكم، يقال: خالفت زيداً إلى كذا إذا قصدته وهو مولٍ عنه وخالفته عن كذا إذا كان الأمر على العكس ﴿**إن أريد**﴾ أي لا أريد بما أباشره من النهي والأمر ﴿**إلا الإصلاح**﴾ إلا أن أصلحكم بالنصيحة والموعظة ﴿**ما استطعت**﴾ أي مقدار ما استطعته من الإصلاح والتقييد به للإحتراز عن الإكتفاء بالإصلاح في الجملة لا عن إرادة ما ليس في وسعه منه، ﴿**وما توفيقي**﴾ أي كوني موفقاً لتحقيق ما أنتحيه من إصلاحكم ﴿**إلا بالله**﴾ أي بتأييده ومعونته بل الإصلاح من حيث الخلق مستند إليه سبحانه، وإنما أنا من مباديه الظاهرة، قاله عليه السلام تحقيقاً للحق وإزاحة لما عسى يوهمه إسناد الإستطاعة إليه بإرادته من استبداده بذلك، ﴿**عليه توكلت**﴾ في ذلك معرضاً عما عداه فإنه القادر على كل مقدور وما عداه عاجز محض في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمعزل عن مرتبة الإستعداد به والإستظهار، ﴿**وإليه أنيب**﴾ أي أرجع فيما أنا بسدده. . .

وقد جاء في تفسير الإمام محمد رشيد رضا[1]:

قال ابن عباس (رض) يقولون: إنك لست بحليم ولا رشيد: ﴿**قال يا**

---

(١) الإمام محمد رشيد رضا ـ سورة هود ـ الآية (٨٨)، ص ١٤٥ حتى ١٥٠ م ١٢.

قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي﴾، أي: يا قومي الذين أنا منهم وهم مني وأحب لهم ما أحب لنفسي، أخبروني عن شأني وشأنكم إن كنت على حجة واضحة من ربي فيما دعوتكم إليه وما أمرتكم به وما نهيتكم عنه فكان وحياً منه لا رأياً مني: ﴿ورزقني منه رزقاً حسناً﴾ في كثرته وفي صفته وهو كسبه بالحلال بدون تطفيف مكيال ولا ميزان ولا بخس لحق أحد من الناس فأنا مجرب في الكسب الطيب وما فيه من خير وبركة لا فقير معدم اخترع الآراء النظرية فيما ليس لي خبره به أي أرأيتم والحالة هذه ماذا أفعل وماذا أقول لكم غير الذي قلته عن نبوة ربانية وتجارب غني مالية؟ هل يسعني الكتمان أو التقصير في البيان؟، ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾ أي: وإنني على بينتي ونعمتي ما أريد أن أخالفكم في ذلك مائلاً إلى ما أنهاكم عنه مؤثراً لنفسي عليكم بل أنا مستمسك بـه قبلكم، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت﴾، أي ما أريد إلا الإصلاح العام فيما آمر به وفيما أنهى عنه ما دمت أستطيعه لأنه أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ليس لي هوى ولا منفعة شخصية بي فيهما ولـولا ذلك لمـا فعلته. ﴿ومـا توفيقي إلا بالله﴾ التوفيق ضد الخذلان وهو الفوز والفلاح في إصابة الإصلاح وكل عمل صالح وسعي حسن، والمعنى: وما توفيقي لإصابة ذلك فيما أستطيعه منه ألا بحول الله وقوته وفضله ومعونته وأعلاها ما خصني به دونكم من نبوته ورسالته: ﴿عليه توكلت﴾ في أداء ما كلفني من تبليغكم ما أرسلت به لا على حولي وقنوتي، ﴿وإليه أنيب﴾ أي وإليه وحده أرجع في كل ما نابني من الأمور في الدنيا وإلى الجزاء على أعمالي في الآخرة فأنا لا أرجو منكم أجراً ولا أخاف منكم ضراً. ﴿ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح﴾، والشقاق شـدة الخلاف الذي يكون به أحد المختلفين في شق وجانب غير الـذي يكون بـه أحد المختلفين في شق وجانب غير الذي يكون فيه الآخر، أي: لا نحملنكم وتكسبنكم مشاقتكم وعداوتكم لي أن تقضي بالإصرار عليها إلى إصابتكم بمثل ما أصاب مكذبي الرسل قبلكم: قوم نوح أو هود أو صالح من عذاب الخزي والإستئصال: ﴿وما قوم لوط منكم ببعيد﴾ زماناً ولا مكاناً ولا إجراماً

قال الزمخشري: يجوز أن يستوي في بعيد وقريب وقليل وكثير المذكر والمؤنث لورودها على وزن المصادر كالصهيل والشهيق ونحوهما، وقدر لبعيد قبل ذلك موصوفاً فقال بشيء بعيد، وقدر غيره: وما إهلاك قوم لوط... إلخ... ويقال عليه مثله: ﴿واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾ أي اطلبوا منه المغفرة لما أنتم عليه من الشرك والمعاصي بتركهما ثم توبوا إليه كلما وقع منكم معصية.

ذكر الله تعالى في سورة هود - الآية (٨٤): -

﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ﴾.

وعندما نتابع ما كتبه أفاضل العلماء عن المقصود بالخير، فنرى الإمام ابن الجوزي[1] يقول: -

قوله تعالى: ﴿إني أراكم بخير﴾ فيه قولان: -

أحدهما: أنه رخص الأسعار قاله ابن عباس والحسن ومجاهد.

والثاني: سعة المال وهو مروي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال قتادة وابن زيد وقال الفراء: أموالكم كثيرة وأسعاركم رخيصة فأي حاجة بكم إلى سوء الوزن والكيل؟

وقال الإمام القاسمي[2]: -

إني أراكم بخير﴾ أي نعمة وثروة في رزقكم ومعيشتكم وعافية، وتمتع في وجودكم يعني فلا تتعرضوا لزوال ذلك عنكم بما تأتونه مما تنهون عنه.

قال الإمام ابن كثير[3]: -

﴿ورزقني منه رزقاً حسناً﴾ يعني النبوة والرسالة يعني وعمي عليكم

(١) الإمام ابن الجوزي - سورة هود - الآية (٨٤) ص ١٤٧ م ٤ ج ١٠.
(٢) الإمام القاسمي - سورة هود - الآية (٨٤) ص ١٥٥ م ٩.
(٣) الإمام ابن كثير - البداية والنهاية - الآية (٨٨) - سورة هود - ص ١٩٠ ج أول.

معرفتها فأي حيلة لي بكم. وهذا كما تقدم عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه سواء وقوله: ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾ أي لست آمركم بالأمر إلا وأنا فاعل له، وإذا نهيتكم عن الشيء فأنا أول من يتركه، وهذه هي الصفة المحمودة العظيمة وضدها هي المردودة الذميمة كما تلبس بها عداء بني إسرائيل في آخر زمانهم وخطباؤهم الجاهلون. قال الله تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾.

قال الإمام القاسمي[1]: -

قال القاشاني: لما رأى شعيب عليه السلام، ضلالتهم بالشرك واحتجابهم عن الحق وتهالكهم على كسب الحطام بأنواع الرذائل وتماديهم في الحرص على جمع المال بأسوأ الخصال نهاهم عن ذلك وقال: إني أراكم بخير، في استعدادكم من إمكان حصول كمال وقبول هداية، وإني أخاف عليكم إحاطة خطيئاتكم لاحتجابكم عن الحق ووقوفكم مع الغير، وصرف أفكاركم بالكلية إلى طلب المعاش وإعراضكم عن المعاد وقصور هممكم على إحراز الفاسدات الفانيات عن تحصيل الباقيات الصالحات، فلازموا التوحيد والعدالة واعتزلوا عن الشرك والظلم الذي هو جماع الرذائل وأم الغوائل.

قال الإمام محمد رشيد رضا[2]:

﴿إني أراكم بخير﴾ أي بثروة وسعة في الرزق يجب أن تترفع أنفسكم عن دناءة بخس حقوق الناس وأكل أموالهم بالباطل بما تنقصون من المبيع لهم من مكيل وموزون وهو كفر لنعمة الله عليكم بالغنى والسعة، والواجب عليكم شكرها بالزيادة على سبيل الإحسان: ﴿وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط﴾ أي عذاب يوم محيط ما يقع فيه من العذاب بكم إذا أنتم

---

(١) الإمام القاسمي ـ سورة هود ـ الآية (٨٥) ص ١٥٨ م ٩.

(٢) الإمام محمد رشيد رضا ـ سورة هود ـ الآية (٨٤) ص ١٣٩ م ١٢.

أصررتم على شرككم بالله بعبادة غيره، وكفركم بنعمه بنقص المكيال والميزان وهذا اليوم يصدق بيوم القيامة ويوم عذاب الإستئصال.

وقال الدكتور محمد فريز منفيخي[1] في ذلك: ـ

الله تعالى أصلح حال البشر بنظام الفطرة ومكنهم في الأرض بما آتاهم من القوى العقلية وقوة الجوارح وبما أودع في خلق الأرض من سنن حكيمة وقوانين مستقيمة، وبما بعث به الرسل من المكملات لنظام الفطرة من آداب وأخلاق ونظم في المعاملات والإجتماع، وبما أرشد إليه المصلحين من العلماء والحكماء الذين يأمرون بالقسط ويهدون الناس إلى ما فيه صلاحهم في دينهم والعاملين من الزراع والصناع والنجار أهل الأمانة والإستقامة الذين ينفعون الناس في دنياهم، فعليكم ألا تفسدوا فيها ببغي ولا عدوان على الأنفس والأعراض والأخلاق بارتكاب الإثم والفواحش ولا تفسدوا فيها بالفوضى وعدم النظام وبث الخرافات والجهالات التي تقوض نظام المجتمع، وقد كانوا من المفسدين للدين والدنيا، كما يستفاد من هذه الآية وما بعدها. ذلك خير لكم في دينكم ودنياكم فإن ربكم لا يأمر إلا بالنافع ولا ينهي إلا عن الضار.

وقال لهم نبي الله شعيب: إني أراكم بثروة وسعة في الرزق تغنيكم عن الدناءة في بخس حقوق الناس وأكل أموالهم بالباطل بما تنقصون لهم من المبيع في مكيل أو موزون، وكانوا تجاراً مطففين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم ينقصون المكيال والميزان إلا أن هذا كفراناً بنعمة الله عليكم إذ كان يجب عليكم شكرانها بالزيادة على سبيل الصدقة والإحسان وإني أخشى عليكم يوماً يحيط بكم عذابه إذا أنتم أصررتم على شرككم بالله بعبادة غيره وكفرتم بنعمه بنقص المكيال والميزان، وهذا العذاب أما في الدنيا بعذاب الإستئصال وأما في يوم القيامة، وأما في كليهما، ويا قوم أتموا الكيل والميزان بالعدل بلا زيادة ولا نقصان، وقد

(١) الدكتور محمد فريز منفيخي ـ النظام الاقتصادي القرآني ـ ص ١٢٢٤.

أمرهم بالواجب بعد أن نهاهم عن ضده لتأكيده وللتنبيه إلى كون عدم التعمد للنقص لا يكفي لتحري الحق بل يجب معه تحري الإيفاء بالعدل والسوية عن غير زيادة، وإن كان التيقن من ذلك لا يكون إلا بزيادة طفيفة وتعمدها في الكيل والوزن للناس سخاء وفضيلة يمدح فاعلها عليها، وفي الاكتيال أو الوزن عليهم طمع فهو رذيلة مذمومة.

ثالثاً ـ سلطة الدولة الشرعية لحماية الاقتصاد في الموازين والمكاييل

علمنا الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام ما يؤكد أنه أرسل إلى قومه لتبليغ رسالة ربه وتشريعه بعد أن فسد هؤلاء. . . فقد استشرى البخس وعدم الوفاء بالكيل والميزان بينهم. . . ومن ثم كان من أسس رسالة الإصلاح في رسالة شعيب عليه السلام. . . وضع الأمور في نصابها وإقامة العدل والقسط.

لهذا فقد سن الله تعالى تشريعاً اقتصادياً في أسس وقواعد الموازين والمكاييل من خلال قصة شعيب عليه السلام.

إن سلطة الدولة في التشريع الإسلامي ملزمة لحماية الاقتصادي من أشراف وسيطرة ووضع وسن النظم والقواعد والقوانين التي تحمي المواطن أو المستهلك في مجال الموازين والمكاييل في التشريع الإسلامي وهو كالتالي: ـ

أ : إن سلطة الدولة الشرعية لحماية الاقتصاد الإسلامي بتطبيق قواعد إتمام الكيل والميزان ومعاقبة كل من يخل أو يغش أو يبخس وينقص في أي منهما بتطبيق نصوص الشريعة الإسلامية. . . كما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف:

﴿**قد جاءتكم فأوفوا الكيل والميزان**﴾. آية (٨٥).

وفي سورة هود: ﴿**ويا قوم أوفوا المكيال والميزان**﴾. آية (٨٥).

وفي سورة الشعراء: ﴿**أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين**﴾. آية (١٨١).

ذكر الله تعالى في سورة المطففين: ﴿**ويل للمطففين (١) الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون (٢)**﴾.

ب : كذلك تتدخل الدولة بسلطتها الشرعية في مراقبة الأسواق لإقامة الحق والعدل بين البائع والمشتري فيما يتعلق بالوزن حيث أنه لا تلاعب ولا حيل في الوزن بل تعامل بالقسطاس، كما ذكر الله تعالى في سورة الشعراء:

﴿**وزنوا بالقسطاس المستقيم**﴾. (١٨٢).

وكذلك ذكر الله تعالى في سورة المطففين: ﴿**وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون**﴾. آية (٣).

وكذلك في سورة هود: ﴿**ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط**﴾. آية (١٥).

جـ : وقد شرع الله بتدخل السلطة الشرعية للدولة لحماية الأسواق التجارية والمالية وإقامة العدل والحق بين الناس بعدم البخس ونقص في الكيل والميزان... كما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف:

﴿**ولا تبخسوا الناس أشياءهم**﴾ آية (٨٥).

وفي سورة الشعراء: ﴿**ولا تبخسوا الناس أشياءهم**﴾، الآية (١٨٣).

د : إن تدخل سلطة الدولة الشرعية للمحافظة على إقامة مجتمع إسلامي يسوده الحق والعدل وحمايته من المتلاعبين الغشاشين الذين يفسدون ويعثون في الأرض فساداً يحتاج إذا لزم الأمر ذلك إلى معاقبة هؤلاء المفسدين لحماية الأمة منهم تطبيقاً لشريعة الله عز وجل، كما ذكر الله تعالى في سورة هود:

﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ الآية (٨٥).

وفي سورة الأعراف ذكر الله تعالى: **﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلك خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾** الآية (٨٥).

وفي سورة الشعراء ذكر الله تعالى: **﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾** الآية (١٨٣).

وفي سورة العنكبوت ينصح شعيب قومه: **﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾** الآية ٣٦.

هـ : كذلك سلطة الدولة الشرعية لحماية أسواقها واقتصادها عن طريق أئمة المساجد والوعاظ، ومن خلال وسائل الإعلام المختلفة المقروءة والمسموعة والمرئية بالنصح والإرشاد وتوجيه التجار لاتباع شريعة الإسلام، وما بينه الله تعالى لإقامة الحق والعدل في الكيل والميزان بتذكيرهم بما حدث لقوم شعيب نتيجة فسادهم في الأرض، كما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف:

١ **﴿وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾** الآية (٨٦).

وكما بين الله تعالى في سورة العنكبوت في تلك القصة:

﴿فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾. الآية (٣٧).

ومن ذلك نأتي إلى النقاط الرئيسية للقواعد الشرعية الإسلامية لسلطة الدولة في الموازين والمكاييل:

١ ـ السلطة الشرعية للدولة في الموازين والمكاييل:

أرشدنا الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام أنه أرسل إلى قومه ليهديهم إلى طريق الحق والعدل ويتموا موازينهم ومكاييلهم ويحثهم على المكسب الحلال... وقد نهاهم شعيب عليه السلام عن الإفساد في الأرض كما حذرهم عاقبة البخس والنقص في الكيل والميزان، وكذلك الغش والغبن والتلاعب في الوزن.

وهذا كله يعتبر من القواعد الشرعية في أسس الموازين والمكاييل بإقامة الحق والعدل في أمتنا الإسلامية.

وقد أعطى الله تعالى يوسف عليه السلام درساً في مجال الموازين والمكاييل...

فقد كان يوسف عليه السلام هو المسئول والوزير الأول الذي بيده السلطة الشرعية والتنفيذية للدولة...

وكرئيس ومسئول ومتصرف لدولة مصر في الموازين والمكاييل استطاع تحديد الكميات من القمح وتوزيعه حسب ما يراه، خاصة في السنوات التي تميزت بالقحط، كما بين الله تعالى:

﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ﴾. الآية (٦٣) من سورة يوسف.

وكما ذكرت الآية (٦٥).

﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾.

وهكذا وضع يوسف عليه السلام معالم السياسة الاقتصادية التي قـام بتنفيذها من خلال سلطته الشرعية والاقتصادية والتي تعلمنا منها أحكام ونظام الموازين والمكاييل.

٢ ـ سلطة الدولة في تنظيم الموازين والمكاييل:

إن الدين الإسلامي يحثنا على النظام والدقة في أعمالنا ومواعيدنا وفي تجارتنا وأسواقنا وكل معاملاتنا التجارية والمالية والإقتصادية، فالتنظيم هو الأساس لبناء حياتنا ومعيشتنا اليومية، ولهذا فإن سلطة الدولة لتنظيم الموازين والمكاييل تعتبر أمراً ضرورياً بينه الله تعالى بأن أرسل شعيب عليه السلام لقومه ليهديهم وينظم حياتهم بعبادة الله وحده والبعد عن الفساد.

ولهذا فإن التنظيم والنظام في الموازين والمكاييل من الأسس الهامة لأمتنا الإسلامية من خلال سلطة الدولة، وقد رأينا الآن في أمتنا الإسلامية وجود إدارات ومصالح حكومية وهيئات دينية وشرعية تنظم وتشرف وتهيمن على اقتصادنا في الأسواق...

ولهذا فإن عملية التنظيم بإشراف الدولة بسلطتها أمر ضروري، كما علمنا الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام الذي جاء ليهديهم إلى الحق والعدل والنور وإلى التشريع الإلهي.

وقد وضع يوسف عليه السلام نظام المكاييل والموازين وبالذات في خطته لأربعة عشر سنة وذلك في التبادل التجاري بين دولة مصر والشعوب والقبائل المجاورة لها في سنوات القحط السبع حيث عرفنا يوسف عليه السلام مخططاً ومنفذاً من دروس القرآن الكريم في الاقتصاد عن التعاون بين الشعوب ومساعدة المحتاج في وقت الأزمات...

ونتيجة لتبادل التجارة بين مصر ومسؤولها وبين الشعوب المجاورة عرف نظام الموازين والمكاييل التي استعملت في ذلك العصر.

تعلمنا من قصة يوسف عليه السلام في الموازين والمكاييل أنه استعان مكيالاً معيناً يكتـال به، مما يؤكد وجود أشكال مختلفة من هذا الكيل. . . وقد قال تعالى ذلك في قوله:

﴿ ﴾. الآية (٧٢) من سورة يوسف.

أوضح يوسف عليه السلام أنه نتيجة تبادل التجارة بين الشعوب، فهو أعطى لإخوته القمح والغلال بنظام الكيل حيث ذكر الله تعـالى صواع وهو مكيال معين.

إن الصاع هو وحدة كيل يكتال بها وهي لها وزن معين معروف بين التجـار، ومن ذلك عـرفت الشعوب والقبـائل والمصـريون الـذين يتعاملون مع صوامع الغلال وحدة ووزن هذا الكيل أو الصاع.

ومن خلال التعامل بين الشعوب في مجال الموازين والمكاييل تبين أن الـوفـاء في الكيـل هـو العمـود والأسـاس الاقتصـادي في التبـادل بين الشعوب. . . كما بين الله تعالى في قوله:

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾. الآية (٥٩) من سورة يوسف.

كذلك فإن تبادل التجارة بين الشعوب أكد أن الموازين والمكاييل توثق العقد سواء كان كتابياً أو شفهياً، ومن الضروري أن يلتزم به المتعاقدين. . . كما قال الله تعالى:

﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ ﴾. الآية (٦٠) من سورة يوسف.

كذلك بين الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾. الآية (٦٣) من سورة يوسف.

٣ ـ سلطة الدولة الشرعية في حماية الاقتصاد في الموازين والمكاييل:

علمنا الله تعالى أنه أرسل شعيب عليه السلام بعد فساد قومه في الأرض وعدم تطبيق شريعة الله بينهم وأكل حقوق وأموال الناس، ولهذا فإن الحماية الإسلامية في الاقتصاد أمر تشريعي مهم لحفظ الكيان والهيكل التنظيمي والقواعد الرئيسية للإقتصاد سواء في تجارتنا في الأسواق أو أموالنا المتداولة... كل هذه الأسس بينها الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام... وأن سلطة الدولة التشريعية لحماية اقتصادها وبالذات فيما يتعلق بالموازين والمكاييل ولذلك:

أ : تعتبر قصة شعيب عليه السلام من القصص القرآنية التي تنبه وترشد أمتنا الإسلامية إلى ضرورة الرجوع إلى كتاب الله وتطبيق شريعته السمحاء وتتدخل سلطة الدولة لحماية اقتصادها وأسواقها وأموالها.

ب : من ذلك يتبين لنا أن المغزى الحق لقصة شعيب عليه السلام مع قومه في التاريخ الاقتصادي لقصص القرآن الكريم أن الدولة بسلطتها التشريعية والتنفيذية هي من الأسس الهامة لحماية اقتصادها وأسواقها، وبالذات بالمراقبة والتنظيم والإشراف وإرساء القواعد والأسس التشريعية في الكيل والميزان.

٤ ـ سلطة الدولة في الأسعار وتحديد الوزن والمكاييل:

تحدثنا فيما مضى عن سلطة الدولة الشرعية لحماية اقتصادها فيما يختص بمجال الموازين والمكاييل وذلك سواء من ناحية تنظيمها أو للحماية العامة للمجتمع في الأسواق وفي التجارة... وعلى ضوء ذلك فإن على الدولة أن تقوم بتحديد جميع أحجام وأنواع الموازين والمكاييل، أي: ـ

الدولة لها السلطة التشريعية والتنفيذية في تحديد حجم الوزن والمكيال المراد تطبيقه، وذلك من حيث النوع والكمية بمقياس دقيق، ويعرف بين الأسواق الاقتصادية حيث نرى الأعراف بين أمم العالم بهيئاتها العلمية والدولية قد استعملت بعضاً من أنواع تلك المكاييل وحجم الوزن مثلاً كالرطل والأوقية والكيلو وغير ذلك...

ولقد علمنا شعيب عليه السلام عندما بخس قومه في الكيل والميزان بأنه يوجد حجم ووزن معين حدد من قبل الدولة أو اعتبر عرفاً تجارياً بين الناس.

رابعاً ـ الحكمة الإلهية في

الصلاة بين شعيب عليه السلام وقومه

بين الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام أنه كان يهدي قومه بأن يصلوا لله تعالى، ولكن قومه استكبروا واستهزؤا به...

كما قال الله تعالى في سورة هود: ﴿قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾.

ومن ذلك نسترشد أن الصلاة هي أحد أركان الإسلام، وقد تحدث عنها أفاضل العلماء بإفاضة، فهي تطهر النفس وتزكيها وهي الصلة بين العبد والرب كما تنفعه في آخرته وتصلح دنياه...

ومن ذلك نتعلم المفاهيم الرئيسية والتي لها الجانب التوجيهي الإلهي والتربوي للإنسان المسلم الذي يداوم على صلاته من جوانب عديدة اقتصادية تنفعه في حياته المعيشية ومهنته التي يزاولها في الحياة الدنيا.

ولقد بين الله تعالى في كتابه العزيز وفي سنة نبيه الكريم أن الله تعالى أوصى الإنسان المسلم بالصلاة والمداومة عليها، كما ذكر الله تعالى في سورة هود:

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾. الآية (١١٤).

وكذلك ذكر الله تعالى في سورة مريم: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾. الآية (٣١).

التحليل الإقتصادي وأثر الصلاة في التجارة والإقتصاد: ـ

ومن ذلك نستخلص النقاط التالية: ـ

١ ـ لقد وجهنا كتاب الله تعالى بالمداومة على الصلاة فهي واجبة على كل مسلم لأنها أساس دينه... ومن خلال مداومة المسلم على صلاته فإن الله يهديه إلى الإيمان والخشوع والتقوى وتطهير النفس، ويوقظ ضميره الحي للخير، ويتذكر الإنسان في صلاته الجزاء والعقاب والحسنات.

والسيئات والبعد عن المحرمات والمحظورات في تجارته وأمواله وعمله فهي تطرد وسوسة الشيطان، وتجعل الإنسان المسلم يحافظ على الصلاة وتربيه التربية النفسية الإسلامية التي تعتمد على التسامح والتوكل على الله في كل أعماله.

٢ ـ ونتيجة لذلك فإن المسلم بكافة مهنه وحرفه تنعكس على حياته آثار مداومته للصلاة لتظهر واضحة جلية في حياته الإقتصادية سواء في البيع أو الشراء أو أي مهنة أو حرفة يزاولها المسلم، وذلك بأن يأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعمل الخيرات وأداء الزكاة والصدقة وبر الوالدين والمعاملة الحسنة مع الآخرين وعدم التكاسل، كما ينعكس ذلك على اتباع النظام الإلهي الذي فرضه على كل مسلم في مختلف نواحي الحياة لأنه يخشى الله تعالى. وبالتالي فإنه يحافظ على أوقات عمله اليومي سواء في تجارته أو في النواحي المالية، أو عندما يرتبط

مع شخص آخر بميعاد فإن نفسيته الإسلامية والتوجيه الإلهي بمداومته على الصلاة تجعله يحافظ على كل دقيقة من وقته.

٣ - لقد بين الله تعالى أن تقسيم الصلاة إلى خمس أوقات من صلاة الصبح إلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء له حكمة إلٓهية خططت وقسمت مواعيد أوقات الصلاة في اليوم الواحد أي في كل أربعة وعشرين ساعة يتخللها خمس صلوات في اليوم، وقسم كل صلاة عدد ركعاتها سواء اختلفت عدد الركعات المفروضة أو السنة التي شرحها أفاضل العلماء. . . وهي كالتالي: -

أ - صلاة الصبح ركعتان.

ب - صلاة الظهر والعصر - أربع ركعات.

جـ - صلاة المغرب - ثلاث ركعات.

د - صلاة العشاء - أربع ركعات.

إن ذلك التوجيه الإلهي للصلاة الذي فرض على كل مسلم له حكمة. . . فتقسيم مواعيد الصلاة في كل فترة وأخرى، وكذلك في عدد ركعات الصلاة فإنها غير متساوية، وكذلك الميعاد والوقت الذي حدده الله تعالى في صلاة كل وقت، وفسره أفاضل العلماء بتوقيت الشمس. . . كل هذا يرشدنا إلى حكمة إلٓهية في تخطيطنا اليوم للإنسان المسلم بأن يقسم أوقاته اليومة ويجعل جزءاً منها للعمل لقوته اليومي وللعبادة وبر الوالدين وغير ذلك من دروب الحياة، وفيما شرعه الله. . . كل ذلك نتعلمه من الحكمة الإلهية في تقسيم أوقات الصلاة بالتخطيط لتقسيم أوقاتنا حسب ما شرعه الله وسنة نبيه وما أحله وحرمه الله في كتابه العزيز.

٤ - إن الحكمة الإلهية في المداومة على الصلاة هي تعويد كل مسلم على اتباع النظام. . . فإن النظام واجب على كل مسلم. . . فالمسلم المؤمن المداوم على صلاته يطيع كلام الله ويتبع منهجه عز وجل ويتعلم النظام

من خلال مداومته على الصلاة خمس مرات في اليوم . . . فعندما يداوم المسلم وهو طفل صغير حتى مماته على أداء الصلاة في وقتها فإنه يتعود على النظام الأساسي في الإسلام، وبالتالي ينعكس ذلك على حياته العملية في كافة نواحيها الاقتصادية وغيرها.

وهذه الحكمة الإلهية في المحافظة على الصلاة تكسبنا التعود على اتباع النظام ودقة المواعيد في منهج حياتنا الإسلامية سواء في معاملاتنا الاقتصادية والمالية والتجارية أو في المنزل والأصدقاء وبقية أفراد الأسرة . . .

٥ - إن المداومة على الصلاة والمحافظة على أدائها منذ الصغر تساعدنا على التحلي بالصبر ومساعدة الغير والتسامح والقوة في الإيمان والبعد عن الكذب والغش والإنفاق الذي حرمه الله علينا، والتعامل بالربا والفواحش في تجارتنا . . كل ذلك يعود إلى التمسك بالمداومة على الصلاة، فإن قَلت أو كثُرت فإنها الصلة والترابط بين الإنسان وربه، وبالتالي كل ما أكثر منها في الدنيا كثر ثوابه في الآخرة . . .

الآيات القرآنية التي أوضحت التوجيه الإلهي للمحافظة على أداء الصلاة وأثر ذلك في حياة المسلمين

السورة	الآية	الرقم
البقرة	وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ	٤٥
البقرة	وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ	١١٠
البقرة	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ	١٥٣
البقرة	حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ	٢٣٨

الرقم	الآية	السورة
٤٣	يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا	النساء
١٠٣	فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا	النساء
١٧٠	وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ	الأعراف

الرقم	الآية	السورة
٣	﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾	الأنفال
١١٤	﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾	هود
٣١	﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا﴾	مريم
٧٣	﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾	الأنبياء
٤١	﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾	الحج

السورة		
المؤمنون	الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ	٢
المؤمنون	وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ	٩
النور	رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ	٣٧
النور	وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ	٥٦
العنكبوت	اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَٰبِ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ	٤٥

السورة	الآية	الرقم
لقمان	يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ	١٧
الجمعة	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ	١٠
المعارج	ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ	٢٣
الماعون	فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ	٥

٢ ـ (الأحاديث النبوية الشريفة التي تحث المسلم على حرصه لأداء الصلاة):

* باب مواقيت الصلاة وفضلها *

وقوله: إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً. وقته عليهم حدثنا عبد الله بن مسلمة قال: قرأت على مالك عن ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز أخر الصلاة يوماً فدخل عليه عروة بن الزبير فأخبره أن المغيرة بن شعبة أخر الصلاة يوماً وهو بالعراق، فدخل عليه أبو مسعود الأنصاري فقال: ما هذا يا مغيرة أليس قد علمت أن جبريل ﷺ نزل فصلى فصلّى رسول الله ﷺ، ثم صلى فصلى رسول الله ﷺ، ثم صلى فصلى رسول الله ﷺ، ثم فصلى فصلى رسول الله ﷺ، ثم قال: بهذا أمرت، فقال عمر لعروة: اعلم ما تحدث أو أن جبريل هو أقام لرسول الله ﷺ وقت الصلاة، قال عروة: كذلك كان بشير بن أبي مسعود يحدث عن أبيه.

* فضل الصلاة لوقتها *

حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك، قال: حدثنا شعبة، قال الوليد بن العيزار: أخبرني، قال: سمعت أبا عمرو الشيباني يقول: حدثنا صاحب هذه الدار وأشار إلى دار عبد الله قال: سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله قال: الصلاة على وقتها، قال: ثم أي: قال: ثم بر الوالدين، قال: ثم أي، قال: الجهاد في سبيل الله، قال: حدثني بهن ولو استزدته لزادني.

* الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت في كتاب كنز العمال[1] *
عن الحرص على أداء الصلاة *

١٩٢٥٣ ـ إن للصلاة أولاً وآخراً، وإن أول وقت صلاة الظهر حين تزول الشمس، وآخر وقتها حين يدخل وقت العصر، وإن أول وقت العصر حين يدخل وقتها، وإن أخر وقتها حين تصفر الشمس، وإن أول وقت المغرب حين تغرب الشمس، وإن آخر وقتها حين يغيب الشفق، وإن أول وقت العشاء الآخرة حين يغيب الأفق، وإن آخر وقتها حين ينتصف الليل، وإن أول وقت الفجر حين يطلع الفجر، وإن آخر وقتها حين تطلع الشمس. (حم ت[2] عن أبي هريرة).

١٩٢٥٤ ـ وقتُ صلاة الظهر إذا زالت الشمس وكان ظل الرجلِ كطوله ما لم يحضر العصر، ووقت صلاة العصر ما لم تصفر الشمس، ووقتُ صلاة المغرب ما لم يغب الشفق، ووقت صلاة العشاء إلى نصف الليل الأوسط، ووقت صلاة الصبح من طلوع الفجر ما لم تطلع الشمس.

* في فضلها ووجوبها *

٢١٦١٥ ـ عن تميم الداري[3] قال: أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاةُ المكتوبة؛ فإن أتمها وإلا قيل: انظروا هل له من تطوع؟ فأكملت الفريضة من تطوعه فإن لم تكمل الفريضة، ولم يكن له تطوع أخذ بطرفيه فيقذف به في النار. (ش).

٢١٦١٨ ـ عن عمر قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله أي شيء

---

(١) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان نوري ـ المتوفى سنة ٩٧٥ م ـ ٣٥٦، ٣٦٠ ـ م ٧.

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب الصلاة باب ما جاء في مواقيت الصلاة رقم (١٥١) ص.

(٣) تميم الداري: أبو رقية الداري مشهور في الصحابة كان نصرانياوراهب اهل عصره. وعابد أهل فلسطين وقدم المدينة فأسلم، وتوفي في فلسطين، بيت جيرين. الإصابة لإبن حجر (١/٣٠٥) ومر الحديث مرفوعاً برقم (١٨٨٨٥) ص

عند الله في الإسلام؟ قال: الصلاة لوقتها، ومن ترك الصلاة فلا دين له، الصلاةُ عماد الدين. (هب).

٢١٦١٩ ـ عن نافع أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمـاله: إن أهم أمركم عندي الصلاة فمن حفظها أو حافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، ثم كتب: إن صلاة الظهر إذا كان الفيء، ذراعاً إلى أن يكون ظل أحدكم مثله، والعصر والشمس بيضاء نقية قدر ما يسير الراكب فرسخين أو ثلاثة، والمغرب إذا غربت الشمس، والعشاء إذا غاب الشفق إلى ثلث الليل، فمن نام فلا نامت عينه، فمن نام فلا نامت عينه، فمن نام فلا نامت عينه، والصبح، والنجوم بادية مشتبكة، فمن نام فلا نامت عينه. (مالك، عب، هق)[1].

١٩٢٦٣ ـ أحب الأعمال إلى الله عز وجل تعجيل الصلاة لأول وقتها. (حم عن أم فروة).

١٩٢٦٤ ـ الوقت الأول من الصلاة أفضل من الوقت الآخر، كفضل الآخرة على الدنيا. (أبو الشيخ عن ابن عمر).

١٩٢٦٥ ـ خير الأعمال وأقربها إلى الله: الصلاة في أول وقتها. (ك الرافعي عن ابن عمر).

١٩٢٦٦ ـ فضل الوقت الأول من الصلاة على الوقت الآخر، كفضل الآخرة على الدنيا. (أبو الشيخ عن ابن عمر).

*** الترهيب عن ترك الصلاة ***

١٩٠٨٨ ـ من ترك الصلاة مكتوبة حتى تفوته من غير عذر فقد حبط عمله. (ش عن أبي الدرداء وعن الحسن مرسلاً).

١٩٠٨٩ ـ من ترك الصلاة فكأنما وتر[1] أهله وماله. (ط ق في المعرفة عن نوفل).

١٩٠٩٠ ـ من ترك الصلاة متعمداً كتب اسمه على باب النار ممن يدخلها. (أبو نعيم عن أبي سعيد).

١٩٠٩١ ـ من فاتته الصلاة فكأنما وتر أهله وماله (الشافعي ق عن نوفل بن معاوية).

١٩٠٩٢ ـ العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر.

(١) وتر: أي نُقِصَ، يقال: وترته، إذا نقصته. النهاية [١٤٨/٥] ب.

٣ـ صلاة شعيب عليه اسلام وأثرها في التجارة والإقتصاد: ـ

وفيما يلي بعض ما فسره أفاضل العلماء للآية (٨٧) من سورة هود: ـ

قال الإمام الزمخشري: (*): ـ

كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات، وكان قومه إذا رأوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم: ﴿**أصلواتك تأمرك**﴾ السخرية والهزء. والصلاة وإن جاز أن تكون آمره على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله ـ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ـ وأن يقال: إن الصلاة تأمر بالجميل والمعروف، كما يقال: تدعو إليه وتبعث عليه، إلا أنهم ساقوا الكلام مساق الطير، وجعلوا الصلاة آمرة على سبيل التهكم بصلاته، وأرادوا إن هذا الذي تأمر به من ترك عبادة الأوثان باطل لا وجه لصحته، وإن مثله لا يدعوك إليه داعي عقل ولا يأمرك به آمر فطنة، فلم يبقَ إلا أن يأمرك به آمر هذيان ووسوسة الشيطان، وهو صلواتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك... ومعنى تأمرك ﴿**أن نترك**﴾ تأمرك بتكليف أن نترك ﴿**ما يعبد آباؤنا**﴾.

وجاء في تفسير الإمام الرازي(*) ما يلي: ـ

في لفظ الصلاة وههنا قولان:

(*) الإمام الزمخشري ـ سورة هود ـ الآية (٨٧) ـ ص ٢٨٦.
(*) الإمام الرازي ـ سورة هود ـ الآية (٨٧) ـ ص ٤٢ م ٦ ج ١٨.

الأول: المراد منه الدين والإيمان لأن الصلاة أظهر شعائر الدين، فجعلوا ذكر الصلاة كناية عن الدين. والمراد: دينك يأمرك بذلك.

والثاني: أن المراد منه هذه الأعمال المخصوصة، روى أن شعيباً كان كثير الصلاة وكان قومه إذا رأوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم: أصلاتك تأمرك السخرية والهزؤ، وكما أنك إذا رأيت معتوهاً يطالع كتباً ثم يذكر كلامك فاسداً فيقال له: هذا من مطالعة تلك الكتب على سبيل الهزؤ والسخرية فكذلك ههنا.

فإن قيل: تقديرة الآية: أصلواتك تأمرك أن نفعل في أموالنا ما نشاء. وهم إنما ذكروا هذا الكلام على سبيل الإنكار، وهم ما كانوا ينكرون كونهم فاعلين في أموالهم ما يشاءون فكيف وجه التأويل. قلنا: فيه وجهان:

الأول: التقدير، أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا. وأن نترك فعل ما نشاء.

الثاني: أن تجعل الصلاة آمرة وناهية والتقدير: أصلواتك تأمرك بأن نترك عبادة الأوثان وتنهاك أن نفعل في أموالنا ما نشاء.

ثم قال تعالى حكاية عنهم: ﴿**إنك لأنت الحليم الرشيد**﴾ وفيه وجوه:

الأول: أن يكون المعنى أنك لأنت السفيه الجاهل، إلا أنهم عكسوا ذلك على سبيل الإستهزاء والسخرية به.

الثاني: أن يكون المراد أنك موصوف عند نفسك وعند قومك بالحلم والرشد.

الثالث: إنه عليه السلام كان مشهوراً عندهم بأنه حليم رشيد، فلما أمرهم بمفارقة طريقتهم. قالوا له: إنك لأنت الحليم الرشيد المعروف الطريقة في هذا الباب. فكيف تنهانا عن دين ألفيناه من آبائنا وأسلافنا، والمقصود استبعاد مثل هذا العمل ممن كان موصوفاً بالحلم والرشد وهذا الوجه أصوب الوجوه.

وجاء في تفسير الإمام محمد رشيد(*) رضا ما يلي: ـ

قالوا: يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا، والإستفهام للإنكار والإستهزاء به وبعبادته عليه السلام، والصلاة تنهي صاحبها عن الفحشاء والمنكر بما تكسبه من مراقبة الله تعالى، ومن نهى نفسه كان جديراً أن ينهي غيره، يعنون أهذه الصلاة التي تداوم عليها تقتضي بتأثيرها في نفسك أن تحملنا على ترك ما كان عليه آباؤنا من عبادة هذه الأصنام التي كانوا يعبدونها تقرباً إلى الله بها وتشفعاً عنده بجاه الأرواح التي تحتلها، أو الأولياء التي وضعت لذكراهم وما أنت خير منهم وأجدر باتباعهم.

وقال الشيخ المراغي ما يلي: ـ

﴿قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا﴾؟، أي: أصلاتك التي هي من نتاج الوسوسة وفعل المجانين تأمرك بأن نترك ما سار عليه آباؤنا جيلاً إثر جيل من عبادة الأوثان والأصنام، وإنما جعلوه مأموراً مع أن الصادر عنه إنما هو الأمر بعبادة الله وغيرها من الشرائع لأنه عليه السلام لم يكن يأمرهم من تلقاء نفسه بل بوحي من ربه ويبلغهم أنه مأمور بذلك، وإسناد الأمر إلى الصلاة دون غيرها من العبادات لأنه كان كثير الصلاة معروفاً بذلك حتى إنهم إذا رأوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فكانت هي من بين الشعائر ضحكة لهم.

وقد ذكر الدكتور جمال عبد الهادي محمد مسعود والدكتور وفاء محمد رفعت جمعة[1]، عن قصة شعيب عليه السلام، ما يلي: ـ

وهو رد واضح التهكم، فهم لا يدركون أو لا يريدون أن يدركوا ـ أن

(*) الإمام محمد رشيد رضا ـ سورة هود ـ الآية (٨٧) ـ ص ١٤٣ م ١٢.

(*) الشيخ المراغي ـ سورة هود ـ الآية (٨٧) ـ ص ٧٢ م ٤.

(١) أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ «جزيرة العرب» ـ الجزء الأول ـ ص ٧٠، ذ. جمال عبد الهادي محمد مسعود ـ الدكتورة وفاء محمد رفعت جمعة.

الصلاة هي من مقتضيات العقيدة، ومن صورة العبودية والدينونة، وأن العقيدة لا تقوم بغير توحيد الله، ونبذ ما يعبدونه من دونه هم وآباؤهم، كما أنها لا تقوم إلا بتنفيذ شرائع الله في التجارة، وفي تداول الأموال وفي كل شأن من شؤون الحياة والتعامل. فهي لحمة واحدة لا يفترق فيها الإعتقاد عن الصلاة عن شرائع الحياة وعن أوضاع الحياة.

وقبل تسفيه هذا التصور من أهل مدين قبل ألوف السنين، يحسن أن نذكر أن الناس اليوم ـ إلا من رحم ربي ـ لا يفترقون في تصورهم ولا في أفكارهم لمثل هذه الدعوة عن قوم شعيب. وأن الجاهلية التي تعيشها البشرية اليوم ليست أفضل ولا أكثر إدراكاً من الجاهلية الأولى. وأن الشرك الذي كان يزاوله قوم شعيب هو ذاته الشرك الذي تزاوله البشرية بما فيها أولئك الذين يقولون أنهم يهود أو نصارى... إلخ، فكلهم يفصل بين العقيدة والشعائر، والشريعة والتعامل، فيجعل العقيدة والشعائر لله ووفق أمره، ويجعل الشريعة والتعامل لغير الله، ووفق أمر غيره... وهذا هو الشرك في حقيقته وأصله.

تحليل أثر المداومة على الصلاة في التجارة والإقتصاد: ـ

الصلاة هي أحد أركان الإسلام الخمسة... والصلاة لا تسقط عن المسلم مهماً كانت ظروفه حتى أثناء المرض... والمسلم المؤمن الذي يحرص على أداء الصلاة يقوي إيمانه ويدعم صلته بالله سبحانه وتعالى وتزداد ثقته في نفسه، لأنه يتمسك بمنهج الله عز وجل ولا يستطيع الشيطان أن يتسلل إليه أو أن يغويه لأنه يواجه إيماناً صلباً وعزيمة قوية، فلا يمكنه أن يبث سمومه من المحظورات والمنهيات التي نهانا الله تعالى عنها وهذا هو الذي دعا به شعيب عليه السلام قومه...

وعندما نحلل أثر المداومة على الصلاة في حياة الإنسان في دنياه نأتي إلى ما يلي: ـ

الإيمان والخشوع والتقوى والطمأنينة ـ تطهير النفس ـ إيقاظ الضمير لفعل الخير ـ التذكر بالعقاب والجزاء ـ البعد عن المحرمات ـ طرد وسوسة الشيطان ـ التوكل على الله تعالى في العمل ـ المحافظة على حدود الله في البيع والشراء والتعامل الدنيوي ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ إعطاء الصدقة والزكاة ـ المحافظة على الوقت في صلواتنا، وسينعكس هذا على الوقت لأعمالنا ـ إن تقسيم الصلاة في اليوم الواحد إلى خمس صلوات ترشدنا إلى تخطيط الله في تقسيم الصلاة في اليوم، وهذا سيؤثر على ذلك بالتخطيط لأعمالنا ـ الحافظة على المواعيد بوقتها ـ اتباع النظام في حياتنا اليومية ـ التحلي بالصبر ـ دقة في المواعيد ـ مساعدة الغير ـ البعد عن المحرمات من الكذب والغش والنفاق والتحايل التي حرمها الله.

منهاج تدريس علوم الموازين والمكاييل في الجامعات الإسلامية

وفق خواطرنا وما استخلصناه من قصة نبي الله شعيب عليه السلام

إذا كنا نعتبر منهج يوسف عليه السلام في التخطيط اللبنة الأولى للأساسيات الإقتصادية التي ينبغي أن يدرسها طلاب الجامعات الإسلامية... فإن تدريس علوم الموازين والمكاييل وأثرهما في الاقتصاد التطبيقي يعتبر أيضاً من أهم ما جاءت به شريعتنا الإسلامية السمحاء التي تنعكس على الفرد وعلى الجماعة فيسود المجتمع الإستقرار الإقتصادي وتنتعش الأسواق وتزدهر الحالة الاقتصادية.

ولذلك نوصي بما يلي: -

١ - يستحسن أن تشمل خطة التدريس للجامعات الإسلامية أهمية الموازين والمكاييل في حياتنا الاقتصادية وخاصة في علم الاقتصاد التطبيقي.

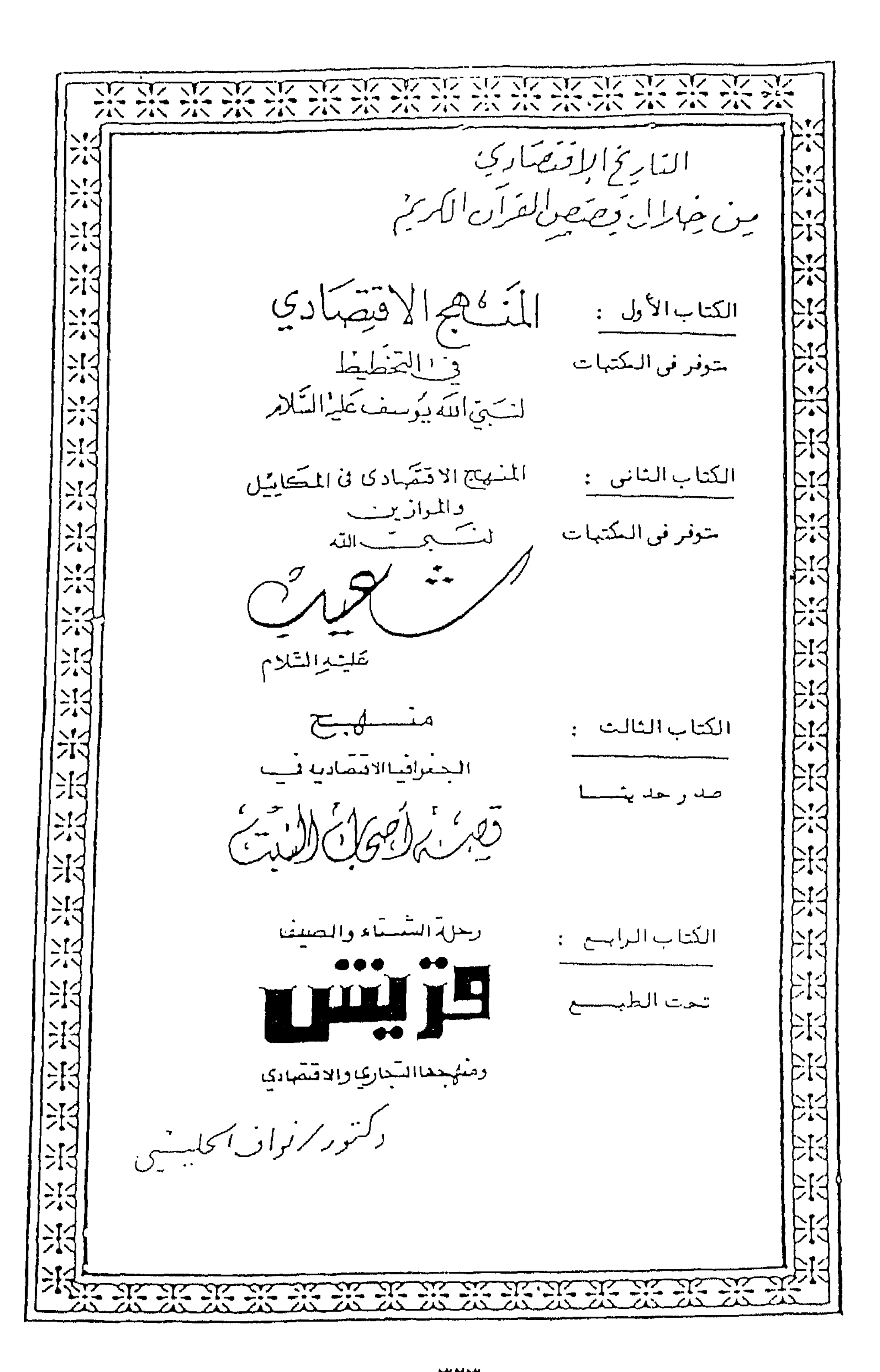
٢ - من الأفضل أن يتعلم طلاب الجامعات الإسلامية أثر البخس والتطفيف على كافة البضائع في الأسواق، وأن ذلك من المحظورات التي حرمتها الشريعة الإسلامية وحذر منها شعيب عليه السلام.

٣ - إن الإستقرار الإقتصادي للمبادىء التي دعا إليها شعيب عليه السلام بإيفاء الكيل والميزان والإخلاص والصدق في التعامل داخل الأسواق

يعتبر عاملاً هاماً في تمتع التجار بالرزق الحلال فيبارك الله تعالى فيه وينعكس ذلك على حياتهم وأسرهم.

٤ ـ كذلك يتعلم طالب العلم في المعاهد الفنية المتخصصة النظام التطبيقي للإقتصاد فيما يتعلق بالموازين والمكاييل من حيث تعريفها وخواصها وطرق استعمالها وأنواعها، وكل ما ذكر في القرآن الكريم عنها... وكل ذلك يدرس في جامعات المسلمين التي تهتم بدراسة الإقتصاد من خلال قصص القرآن الكريم... ونستفيد من خلال دعوة شعيب عليه السلام خاصة المبادىء والمصطلحات الإسلامية في الموازين والمكاييل التي تشكل عنصراً هاماً في حياتنا اليومية.. خاصة في مجال المال والتجارة.

٥ ـ ويستطيع طالب العلم دراسة الموازين والمكاييل في المعاهد الفنية المتخصصة وجامعات المسلمين، خاصة من ناحية اهتمام السلطتين التشريعية والتنفيذية للهيئة الحاكمة... حيث تلعب الموازين والمكاييل دوراً رئيسياً في تحديد الأسعار، وبالتالي تؤثر على السياسة النقدية التي تنعكس على كل أسرة.



المراجع

اسم الكتاب	الناشر
١ ـ جامع البيان في تفسير القرآن، تأليف الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ.	دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان.
٢ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف أبي القاسم جاد الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ٤٦٧ ـ ٥٣٨ هـ.	دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة
٣ ـ زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج عبد الرحمٰن بن الجوزي القرشي البغدادي ولد ٥٠٨ ـ وتوفي سنة ٥٩٦ هـ.	المكتب الإسلامي للطباعة والنشر. دمشق ـ بيروت.
٤ ـ التفسير الكبير ـ للإمام الفخر الرازي	دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
٥ ـ تفسير القرطبي ـ الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.	دار الشعب، القاهرة.
٦ ـ تفسير النسفي ـ للإمام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي.	دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة.

٧ - تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي - المتوفي ٧٧٤ هـ. دار المعرفة - بيروت - لبنان.

٨ - تفسير أبي السعود - المسمى - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لقاضي القضاة الإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي - المتوفى سنة ٩٥١ هـ دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

٩ - فتح القدير - الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني - المتوفى بصنعاء سنة ١٢٥٠ هـ. محفوظ العلي - بيروت.

١٠ - روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني - تأليف العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي - المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ. دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

١١ - تفسير القاسمي المسمى - محاسن التأويل، تأليف علامة الشام محمد جمال الدين القاسمي - ١٢٨٣ - ١٣٣٢ هـ. دار الفكر - بيروت.

١٢ - تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، تأليف السيد. محمد رشيد رضا منشىء مجلة المنار. دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.

١٣ - تفسير المراغي - تأليف صاحب الفضيلة الأستاذ مصطفى المراغي - أستاذ الشريعة الإسلامية واللغة العربية بكلية دار العلوم سابقاً.

١٤ ـ التفسير الواضح ـ تأليف د. محمد محمود حجازي ـ جامعة الأزهر. مطبعة الإستقلال الكبرى ـ القاهرة.

١٥ ـ في ظلال القرآن ـ بقلم سيد قطب. دار الشروق القاهرة.

١٦ ـ المنتخب في تفسير القرآن الكريم، وضع لجنة القرآن والسنة بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بجمهورية مصر العربية. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة.

١٧ ـ كتاب الأموال للإمام الحافظ الحجة أبي عبيد القاسم بن سلام ـ المتوفى سنة ٢٢٤ هـ.
(تحقيق خليل محمد هراس ـ من علماء الأزهر الشريف). مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

١٨ ـ أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ـ المتوفى سنة ٥٤٣ هـ.
(تحقيق علي محمد البجاوي). دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

١٩ ـ البداية والنهاية ـ تأليف الحافظ بن كثير الدمشقي ـ المتوفى ينة ٧٧٤ هـ. مكتبة المعارف ـ بيروت ـ لبنان.

٢٠ ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان نوري المتوفى سنة ٩٧٥ هـ مؤسسة الرسالة. دمشق ـ بيروت.

٢١ ـ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، تأليف الأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري ـ المدرس بالجامعة المصرية. المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ ـ القاهرة.

٢٢ ـ بحوث في قصص القرآن ـ بقلم السيد دار الكتاب اللبناني ـ

عبد الحافظ عبد ربه ـ من علماء الأزهر الشريف. — بيروت.

٢٣ ـ معجم لسان العرب المحيط للعلامة ابن منظور ـ معجم لغوي علمي.
(اعداد وتصنيف يوسف خياط). — دار لسان العرب ـ بيروت.

٢٤ ـ الإمام ابن تيمية ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (الفقه).
(جمع وترتيب عبد الرحمٰن بن القاسم وابنه محمد). — مكتبة المعارف ـ الرباط ـ المغرب.

٢٥ ـ النظام الإقتصادي القرآني تحليل التخلف ونظام التقدم.
١٣٩٨ ـ ١٣٩٩ هـ
١٩٧٨ ـ ١٩٨٩ م
الدكتور محمد فريز منفيخي مدرس الإحصاء والإقتصاد القياسي في كلية الاقتصاد والتجارة جامعة دمشق. — دار قتيبة دمشق ـ بيروت.

٢٦ ـ أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ «جزيرة العرب» ـ الجزء الأول ـ الدكتور جمال عبد الهادي محمد مسعود، والدكتورة وفاء محمد رفعت جمعة.

٢٧ ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم مجمع اللغة العربية ـ تصدير الدكتور إبراهيم مدكور ـ رئيس المجمع.

٢٨ ـ النقود والمكاييل والموازين، تأليف: محمد عبد الرؤوف ابن تاج العارفين بن علي — وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورة العراقية، سلسلة

المناوي ـ المتوفى سنة ١٠٣١ هـ، تحقيق الدكتور رجاء محمود السامرائي. | كتب التراث (١٠٧) دار الرشيد للنشر.

٢٩ ـ فهارس سنن ابن ماجه، معجم ألفاظ سنن ابن ماجه وفهارس أخرى.
صنع فهارسه بالكمبيوتر محمد مصطفى الأعظمي. | شركة الطباعة العربية السعودية، ص. ب: ٦٤٦٣ ـ الرياض.

٣٠ ـ مكة في عصر ما قبل الإسلام، تأليف: أحمد أبو الفضل عوض الله. | مطبوعات دارة الملك عبد العزيز رقم (١٠) ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م. الرياض.

٣١ ـ اطلس تاريخ الإسلام
د. حسين مأنس | الزهراء للإعلام العربي ـ القاهرة.

فهــرس

المنهج الإقتصادي في الموازين والمكاييل

لنبي الله شعيب عليه السلام